عبد العزيز جدير







# الحوار الأخير

## پول بولز - محمد شكري

جداول Jadawel

عبد العزيز جدير

# الحوار الأخير

## پول بولز ـ محمد شكري

Jadawel جداول

# الحــوار الأخيــر

پول بولز ـ محمد شكري

الكتاب: الحوار الأخير . . پول بولز/ محمد شكري
المؤلف: عبد العزيز جدير

جداول
للنشر والتوزيع
الحمرا ـ شارع الكويت ـ بناية البركة ـ الطابق الأول
هاتف: 746638 1 00961 ـ فاكس: 746637 1 00961
ص.ب: 5558 ـ 13 شوران ـ بيروت ـ لبنان
e-mail: info@jadawel.net
www.jadawel.net

الطبعة الأولى
أيلول / سبتمبر 2011
ISBN 978-614-418-075-4



طبع في لبنان
copyright © Jadawel S.A.R.L
Hamra Str. Al-Barakah Bldg.
P.O.Box: 13 -5558 Shouran
Beirut - Lebanon
First Published 2011 Beirut

تصميم الغلاف: محمد ج . إبراهيم

# المحتويات

# الإهداء

إلى المهدي النجرة ومحمد بنسعيد آيت يدر..

# مقدّمة

يشبه الخصام الأدبي السرّ العائلي في خصوصيته وحميميته ومرارته وطوله. ولا يمكن أن يدرك حقيقة ما يجري إلّا الخصوم وهم لا يدلون برأيهم حول هذا الخصام لأسباب لا يعرفها جيدًا إلّا هم. ولما تمتد يد المنية إلى أحد الأطراف تغدو الحقيقة أكثر هروبًا واستعصاءً على الإدراك. ولكي يتمكّن پول بولز من عرض وجهة نظره إلى الأحداث من العالم الآخر حيث هو، فقد تفوّق عبدالعزيز جدير في تسليط بعض الضوء على عشبة الرواند هاته التي نمت في طنجة.

لم يكن لپول بولز ولد من صلبه، لكنه لم يكن مجرّدًا من الغريزة الأبوية. لقد كُتب الكثير عن حياة پول بولز بالمغرب ولكن القليل من كتب عن الوقت والموهبة اللذين خصّصهما للآخرين وبخاصّة للشباب. كان جوزيف ماك فليبس، مدير المدرسة الأميركية بطنجة، أهم المتحدثين عن هذا الجانب من حياة بولز الإبداعية. فقد دأب پول لعدة سنوات على كتابة مسرحيات وتأليف قطع موسيقية لفائدة جمعية الإنتاج الدرامي بالمدرسة. كان يحتفظ بأعماله الخاصة جانبًا ليشتغل أسابيع بلا انقطاع وليتعاون بأناة مع الطلبة والأساتذة لخلق سلسلة من الأعمال المسرحية المتميّزة. ونظرًا إلى أن اسمه كان مرتبطًا دائمًا بهذا الإنتاج، فقد كان ماك

فليبس يبذل قصاراه لإقناع أسماء بارزة أخرى لتُسهم بمواهبها: أيرا بلين وإيف سان لوران بالنسبة للملابس، وبراين غيسن بالنسبة للماكياج والديكور، ومارغريت ماك بي بالنسبة للجداريات والمحترم دافيد هربرت ليضمن أن تكون طنجة بكاملها في الموعد. ويمجِّد ماك فليبس بفخر حضور بولز القوي ليسمو بالحركة الإبداعية لمدرسته وليرسِّخ الأعمال المسرحية كأعمال متفردة في الروزنامة الفنية لطنجة.

في سنة 1962، وبعد وصولي إلى طنجة بفترة وجيزة ربطت بيننا علاقة صداقة. في سن الرابعة والعشرين أعلنت نفسي كاتبًا واعدًا. وخلال السبعينيات أنهيت جولتي حول المغرب، وكان پول يقرأ كل ما أنتجه ويقوم بالتعليق عليه. كان يكتب بعناية ويأمل في أن يحذو الآخرون حذوه. كان شديد الحرص على سلامة الإملاء والنحو. وكان يلحّ على الدقة في استعمال اللغة ويجبرني على كتابة ما أعنيه بالضبط. وبفضله نشرت أولى قصصي القصيرة وكانت انطلاقتي الأدبية. والحق أنني محظوظ جدًّا لأني عثرت على هذا الأديب الشهير كموجِّه لمساري الأدبي، ولم أكن المستفيد الوحيد.

كان پول وجين بولز يقيمان بشقتين منفصلتين، إحداهما فوق الأخرى، بعمارة إتيسا، وهي عمارة صغيرة رمادية اللون توجد خلف القنصلية الأميركية. كانت تشبه مسكنًا من طابقين من دون سلم يربط بينهما. كان الزوجان يتواصلان عبر لعبة هاتفية كانت تزعق بهما عند بعثها لمكالمات بسيطة. وكان بولز قد تخلّص من هاتفه لكي يتمكّن

من الاشتغال في هدوء. فأصبحت الطريقة الوحيدة لرؤيته هي أن تطرق بابه. من الخامسة تقريبًا حتى السابعة، بعد ظهر كل يوم، كان پول يتواجد «ببيته» ليستقبل سيلًا من الزوار الشباب الذين سافروا إلى طنجة ليجلسوا إلى أقدام الأستاذ. تدخل عبر بهو صغير حيث تكدّست حقائب جلدية ألصقت بها بطائق كُتبت عليها أسماء الفنادق والسفن البخارية وأسماء الأماكن الغريبة التي زارها أثناء رحلاته عبر العالم. تخيم الظلال على الغرفة التي يستقبل بها ضيوفه. هناك حائط مملوء بالكتب ومقعدان واطئان وطيفوران وجذع بقمة مكورة. في هذا الجو الذي يتوازن فيه الليل والنهار، يصبّ پول الشاي ويوزع الحلوى وهو يرتدي أحيانًا الثياب على الطريقة الأميركية المحافظة. وكانت هذه الشقة الصارمة التي تشبه الزنزانة تحثّ على تلك الأسفار.

بالنسبة إليَّ، كان الوقت المفضل لرؤية بولز لوحده هو الليل بعد تناول العشاء. كان لا يبرح غرفته كثيرًا ويعشق قراءة التقارير الأولى عن الحياة الاجتماعية بطنجة. الطريقة الوحيدة لولوج العمارة في تلك الساعة المتأخرة من الليل هي أن تكون على علاقة جيدة مع الحارس الذي ينام على كومة من جلود الغنم بالمرآب بالقرب من الموستنغ [سيارة پول]. بعد قليل قد يفتح لك الباب ويوجِّهك نحو مصعد بلا حيطان.

في الخمسينيات سجل پول وترجم قصص الفنان أحمد اليعقوبي. وكان ثاني «رواة طنجة»، وهي الصفة التي سيُشهرون بها، هو العربي العياشي. فقد سجل «حياة مليئة بالثقوب» وقام پول بترجمة

ونسخ هذه «الرواية الشفوية» ونشرها سنة 1964 بدار غروف بنيويورك. ودفعًا لاعتراض السلطات المغربية على ما ورد في الرواية من أوصاف للبؤس المدقع الذي عرفه العربي خلال طفولته فقد انتحل اسم إدريس بن حامد الشرادي.

رحل العربي إلى كاليفورنيا. وعلى وجه السرعة عوض بمحمد المرابط. كان سرّ التعرف على هؤلاء «الرواة» هو التوفر على لغة مشتركة، ولما كانت معرفتي بالعربية محدودة وكانوا هم لا يتحدَّثون الإنجليزية فقد كانت اللغة التي تجمعنا هي الإسبانية. تعرّفت على محمد المرابط لأنه كان يتواجد ببيت پول كل ليلة تقريبًا، يجلس وجذعه عارٍ ليقطع الكيف بسكين صيد. كانت قوته العضلية وطبيعة مزاجه يوحيان ببركان على أهبة الانفجار، خاصة إذا قاطعت زيارتك حصة تسجيل. كان يهدّد ويطرد العديد من الزوار. كان لا يقوى على إفزاع آيلين آن راكسدال، التي تزوّجتها بطنجة. كانت آيلين آن قد درست بجامعة مدريد وتجيد الحديث بالإسبانية. كانت خطيبتي الجميلة هي الشخص الوحيد الذي بإمكانه إخراج محمد عن مزاجه الشرس لما تتمتع به من ذكاء ودعابة. وكان محمد بدوره يشعر أن پول شديد الولع بآيلين آن.

تعاون پول ومحمد لإعداد جملة من الكتب ابتداء من «الحب ببضع شعيرات» الذي نشره بيتر أوين سنة 1967. وقد حكم نفس النظام سير عملهما. يقوم محمد بتسجيل قصته ويعمل پول، بفضل تمكّنه الكبير من الإسبانية والدارجة المغربية، على ترجمتها وتهييئها للنشر.

وقد أثمر تعاونهما نشر دزينة من الكتب بالإنجليزية. وظلّت جين تتذمر لأنها تعتقد أن پول يضيع وقتًا كثيرًا في هذه الترجمات ويهمل عمله الخاص.

يعتقد معظم الكتّاب الشباب أن الكتابة ستمنحهم غنى وشهرة وفي حال «رواة طنجة» قد يضاهي غناهم ثروة پول بولز. كان پول يعيش حياة أميركي زاهد، أذواقه معتدلة، لكنه قال لي مرّة إنه لن يكون قادرًا على إطعام القط أو الببغاء بالاعتماد على ما يتناوله محمد كحقوق من بيتر أوين المعروف بشحِّه الصارخ، إلَّا أن محمدًا كان يتهيأ لبناء أسرة، وامتلاك سيارة ويقضي وقته في صيد الأسماك. ولا يظهر أنه كان يتوفر على مصدر آخر للعيش غير پول.

شاب مغربي آخر يقود المستونغ ويقوم بخدمة پول على أكمل وجه إنه عبد الواحد بولعيش. كان أكثر المغاربة أنسًا وخفة روح. لا يدخن ولا يشرب الخمر. ربطت بينهما صداقة عمر. كرّس حياته لپول خلال مرحلة مرضه إلى أن وافته المنية. وإقرارًا بالفضل، أوصى له پول بكل ما يملك.

كان عبدالواحد شخصًا رائقًا ومسالمًا، لكن «رواة طنجة» كانوا أكثر تعقيدًا. كل واحد منهم يحمل في أحشائه قصصًا تلتهب لتنكشف وليعترف بها پول. كان يمثل القنطرة الوحيدة الممكنة بينهم وبين الناشرين.

في بداية العقد السابع بدأ «راوٍ» رابع يشهر ظهوره عند پول. لم أعرف محمد شكري جيدًا. شأن العربي ومحمد فقد نشأ أُميًّا، لكنه

عمل على تثقيف نفسه وهو راشد، إنه صنيع مدهش. كان يختلف عن سابقيه في أمرين اثنين: قدرته على الكتابة بالعربية وتميّزه بالشرب. أتذكر وجهًا رماديًا مجعدًا، جعله يبدو أعمر من عمره، أمر يعزيه پول للإسراف في شرب الڤودكا. مسحة من الهمّ تخيم على قسماته، وهو ما يمكن أن يكون نتيجة تربية فقيرة أو شعور بإحساس محطِّم.

نشرت رواية شكري السير ذاتية «الخبز الحافي» سنة 1974 عند بيتر أوين. ظهر له عملان، فيما بعد، «جان جينه في طنجة» و«تنيسي وليامز في طنجة» وقد قام پول بترجمة كل هذه الأعمال.

سنوات بعد ذلك، وبعد أن غادرت المغرب بزمن، انفجرت القنبلة. سلسلة من المقالات التي تهاجم پول بدأت تظهر على صفحات الجريدة العربية الصادرة من لندن «الشرق الأوسط».

وقد أعلن الكاتب المغربي الطاهر بن جلون أن محمد شكري وجه انتقادًا عنيفًا وساخطًا لپول بولز. وصار بولز الذي بلغ السادسة والثمانين من عمره والذي ما زال يقيم بشقته الصغيرة بطنجة هدفًا لهجوم شرس وجائر.

وهكذا، ولما بلغ أمر هذه المقالات الجارحة في حقّه التمس من عبدالعزيز جدير أن يشتغل معه عليها حتى يتسنّى له إرجاع الأمور إلى نصابها بالرد على متهمه وتفنيد ما جاء به ودحضه. وقد احتفظ جدير بتسجيل كامل لهذه الردود.

مات بولز في الثامن عشر من نوڤمبر/ تشرين الثاني 1999، ستة

أسابيع قبل يوم عيد ميلاده التسعين. يوم الرابع عشر من فبراير/ شباط من سنة 2000 نظم منفذ وصيته المدير ماك فليبس حفلًا تذكاريًا بقصر مرشان بطنجة تضمن عروضًا متعددة لجمعية الإنتاج الدرامي وأمسية من القراءات والذكريات والموسيقى أُقيمت على شرف بول.

ضمّت قائمة المتدخلين كلًّا من السيدة كلود توما مترجمة بول إلى الفرنسية، والكاتب الغواتيمالي رودريغو راي روصا الذي ترجم بول أعماله [إلى اللغة الإنجليزية]، وكاتب هذا الكتاب، [وكاتب مقدمته]، وفرجينيا سبنسر كار المرخص لها بكتابة سيرته ومحمد شكري.

وقد حضر أفراد من العائلة الملكية [المغربية] والسفير الأميركي وأعضاء من الحكومة المغربية على شرف أشهر شخصية أدبية بطنجة. وتماشيًا مع التعدد اللغوي للمدينة، فقد قدمت التدخلات بالعربية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية. وتضمّنت موسيقى بولز المقدّمة للحضور «ست استهلالات على البيانو»، «رعوية»، و«وصول أطاوالبا»، القطعة الموسيقية التي ألّفها لفائدة جمعية الإنتاج الدرامي «صيد ملائكي للشمس».

كان البهو غاصًا بالحاضرين، وكان ثمة غياب واحد بارز هو غياب محمد شكري.

جون هويكنز
لندن

# محطات

## يا جارة..

بداية زوال ذات يوم من شهر رمضان لسنة (1997) دخلنا، الرسام أحمد أفيلال وأنا، إحدى مكتبات المدينة، وكان شكري هناك يوزّع بعض نسخ أحد كتبه.. تصفّحنا بعض المجلات وألقينا نظرة على الكتب الصادرة حديثًا.. وغادرنا المكتبة، ثلاثتنا، في وقت واحد، فقال شكري موجِّهًا حديثه إلينا، وتلك عادته عندما يكون رائق المزاج أو يرغب في قول شيء بعينه:

- أهلًا..

تبادلنا التحية. وما أن امتد حبل الحديث بيننا حتى قال سي محمد:

- التقيت هذه الأيام عبدالواحد [سائق بولز] غضّ الطرف لما رآني، ورغم ذلك بادرته قائلًا:

- لماذا أنت غاضب مني؟ ماذا فعلت لك؟ لم أقم بأي شيء يغضبك. قد يموت النصراني غدًا، وهو ليس خالدًا، فلماذا

يستمر العداء بيننا.. أنا كتبت عنه أشياء، وأنا حرّ في كتابتها.. هو دَبَّرْ راسه.. أنا لم أمسَّك، أنت، بسوء..

وأعقبت ذلك دردشة موضوعها طنجة والناس في رمضان، امتدت ثلاثمائة متر غادرنا على إثرها محمد شكري..

قال لي أفيلال:

- كلام السي محمد ليس بريئًا..

قلت له:

- أعتقد أنه يتصرف وفق مبدأ «وإياك أعني يا جارة».

ولعل بذرة عدم نشر فحوى هذا «الحوار الأخير»، بين محمد شكري وپول بولز، آنذاك، بذرت في ذهني، يومها. بعد ذلك الحديث القصير والدال في الوقت نفسه. ومن المبررات الواهية التي سقتها «لأقنع» نفسي بعدم نشر هذه الأوراق، في تلك الفترة، بالرغم من إلحاح بولز الشديد على وجوب نشرها لتوضيح موقفه من كل ما قيل فيه وقيل بشأنه:

- أن لا يعتبر أحد (وخاصة شكري) أنني طرف في «ما يحدث» بين شكري وبولز..

- أن نشر هذه الأوراق «بعد فوات الأوان» قد يطبع استقبالها ببرود شبه تام ولا يثير «مساندًا أو معارضًا» يدفعه غرض في نفس يعقوب إلى دخول حلبة الرقص..

- أن شكري يبقى كاتبًا مغربيًّا، ويبقى كاتبًا أثار جدلًا.. وقد يبدو نشر هذه الأوراق موقفًا منه ينغِّص عليه لحظة انتشاء..

ولو أن عددًا من الكتّاب، المغاربة أو العرب، رأوا في نشره لكتابه عن بولز إعلانًا عن توقف عن الكتابة أو بداية نضوب معينها..

أسوق هذه الاعتبارات على الرغم من أن الظرف لم يعد يطلبها، لأنني أعتبر نشر هذه الأوراق «بعد فوات الأوان» لا ينقص من قيمتها. فهي إسهام في بلورة حوار انطلق متدثرًا بعباءة مونولوغ، وها هو يستوي حوارًا بنشر إضاءات بولز وردوده. ونعتبر أن ما نقوم به هو عمل صحفي يبتغي الحقيقة التي هي المقصد والمبتغى، وهو جهد يندرج أيضًا ضمن ما يُسمّى تاريخ الأدب. ونشير إلى أن بولز كان كاتَبَ ناشرًا أجنبيًا بشأن نشر هذا «الحوار الأخير» باللغة الفرنسية، عقب صدور ترجمة كتاب شكري عن بولز، باللغة الفرنسية. ورغم إغراء التعويض المادي والمعنوي ظلّلت أماطل وأسوّف وأختلق المعاذير من قبيل: (إنني أقوم بمراجعته الآن، قدمت المسودة لبعض الأصدقاء لإبداء الرأي والاستئناس به أو لقد بعثت به إلى كاتب عربي لكتابة مقدّمة مناسبة) حتى لا يُعتبر عملي هذا تلبية لرغبة بولز، من جهة، أو موجهًا ضد الطرف الثاني، من جهة ثانية.. ولعل استقلال الفرد يفرض عليه سلوكًا معينًا يطبعه الاحتراز، ويحرّره من الإلقاء بنفسه في «أحضان» طرف آخر سواء كان فردًا أو مؤسّسة.. لنيل جزاء لن يبلغ شأو حرية الفرد واستقلاليته مهما كان قدره..

## طبيعة أدب محمد شكري[1] (مارس/آذار 1985)

- پول لقد ترجمت، أيضًا، نصوصًا لمحمد شكري. هل تذكر القصص التي ترجمتها، قبل أن تترجم «الخبز الحافي»، والتي نُشرت ضمن كتاب جماعي عنوانه «خمس نظرات» (1974)؟

- طبعًا أذكرها. ويمكن أن أشير إلى قصة «بشير حيًّا وميتًا».

- كيف تقيّم هذه القصص؟ هل تقدم صورة معينة عن بلد معين (المغرب)؟ هل تمثل صوتًا ما؟

- نعم، أعتقد ذلك. بالتأكيد. إني أعرف أن شكري كاتب واقعي. إنه يرغب في إعادة خلق الواقع. أعتقد أن أنواع الواقع التي يتناولها هي ألوان اجتماعية. إذن، يجب أن أقبلها كحقائق، لا سيّما وأن شكري لا يتخيّل في كتاباته، وقلّما يفعل. كل كتابات شكري تنتمي إلى جنس السيرة الذاتية.

- تقصد أنها تمثل ذكريات.

- نعم.

- أشياء عاشها شكري، رآها أو سمع بها.

- بالتأكيد. كل مواد «الخبز الحافي» تنتمي إلى الذاكرة/المذكرات، تنتمي إلى الجنس الأدبي المعروف بالسيرة الذاتية.

---

(1) حوار من حوارات أجريت مع بولز محورها محمد شكري، ويعود إلى السنة المُشار إليها أعلاه: 1985.

- لقد تحدّثت عن الحضور الضئيل للتخييل، بل غيابه في كتابات شكري، لكنني أعتقد بوجود مستوى معين من التخييل في «الخبز الحافي» نتيجة كونه موجهًا، في الأصل، لجمهور غربي يختلف أفق انتظاره عن أفق انتظار الجمهور العربي. والتوجه إلى هذا الجمهور، يتطلب تكييفًا وانتقاءً للتيمات المعالجة في الكتاب، ويتطلب توفر رغبة حقيقية لإحداث السحر بل الإعجاب. ألم يكتب هذا الكتاب إلّا بعد أن وقّع شكري على عقد، مع ناشر أجنبي، يلحّ على أن يكون الكتاب شبيهًا بكتاب العربي العياشي.

- كثير من المغاربة يقولون الشيء ذاته. لكن، إعجاب من يريد شكري نيله؟ بالتأكيد، ليس إعجابي أنا (ضحك). بالطبع هو يتحدَّث كثيرًا عن الجنس، والجنس، تيمة مشتهاة جدًّا ومرغوب فيها في الغرب. إني أعلم أن شكري كان على وعي تام بكل هذا (لأن بيتر أوين كان يرغب في كتاب شبيه بكتاب العياشي). فشكري، ليس رجلًا ساذجًا. أحيانًا، نعتقد أنه رجل ساذج، ولكنه ليس كذلك. أعتقد أن موقفه اتجاه الأدب موقف غربي أكثر منه موقف عربي أو مغربي. لقد قرأ لكتاب من روسيا وكتاب من فرنسا. كنت أستحسن الأمر جيدًا، فيما يتعلّق به، لأن ذلك يجعل منه شخصًا عالميًّا، شخصًا عموميًّا أكثر مما لو كتب، فقط، عن فاس أو عن الحياة في المدينة القديمة. إن شكري كان يكتب عن تيمات مرغوب فيها أو هي مطابقة لذوق العصر في الغرب،

بالرغم من أن الغرب عالم كبير جدًا. كان لشكري إحساس دائم بأن الأدب لا يوجد في العالم العربي. بالنسبة إليه، الأدب الحقيقي يوجد خارج حدود العالم العربي، وهو يعتقد أنه تحدث بمطلق الصراحة، لأن الكتّاب، في العالم العربي، لا يمكن أن يقولوا كل ما عاشوه. هناك تقاليد صارمة ومتزمتة جدًا، ولا يمكن الخروج عن هذه التقاليد من دون أن نتعرض للنقد من الجميع. أي من لدن كل العرب. لقد تجرأ شكري وتحدث عن أشياء لا يتحدَّث عنها كثيرًا، حقيقة، في العالم العربي. لقد تجاسر (ضحك).

## ندوة «بولز والمغاربة»

في سنة (1990) نظّم المركز الثقافي الفرنسي بطنجة ندوة محورها پول بولز، واتخذت لها عناوين مداخلات وعروض منها: مترجَمو بولز (العربي العياشي، محمد المرابط ومحمد شكري)، مترجمو پول بولز (بريس ماتيوسان، كلود توما).. دُعيت للمشاركة في تلك الندوة لعلاقتي بالرجل وبأدبه. وقد قدّمت عرضًا بعنوان «حضور پول بولز في اللغة العربية». وأنا بصدد تهييء ذلك العرض اتصلت بمحمد شكري (وكان اللقاء بمقهى روكسي، ذات مساء من السنة ذاتها) وسألته هل سبق له أن كتب شيئًا ما عن پول بولز لأشير إليه في العرض المفترض..كان ردّ سي محمد:

- ما كتبت عليه حتى حاجه. ولا يهمني أن أكتب عنه شيئًا (محرِّكًا رأسه ذات اليمين والشمال).

كنت يومها أملك عشرات الشرائط المحتضنة لعشرات الحوارات مع بولز في قضايا مختلفة، تهمّ أدبه خاصة، وحياته عامة. أذكر، كما يذكر الحاضرون خلال تلك الندوة، أن قضية اعتداء الناشر الإنجليزي بيتر أوين، على حقوق محمد شكري أثيرت يومها واقترحت السيدة ثريا حجي التمسماني وقفة تضامنية مع شكري من خلال جمع توقيعات لعريضة، من المفترض، أن تبعث إلى بيتر أوين.. وقد كتب السيد جورج بوسكي، مدير المركز الثقافي الفرنسي بطنجة، في ورقة تقييمية لنشاط المركز لسنة ( 1990 ـ 1989) عن صاحب «الخبز الحافي» ما نصّه: «وكانت مناظرة الكاتب محمد شكري لحظة جميلة، ونشأت عنها لجنة للدفاع عن حقوق صديقنا، كاتب «الخبز الحافي»، ضد الناشرين الجشعين.. وتلك قضية يجب متابعتها!..» وقد دُعي للحديث، في اليوم المخصّص للترجمة في تلك الندوة كل من العلوي المدغري، محمد شكري، بريس ماتيوسان، كلود توما.. وقد ارتجل سي محمد شكري كلمة، خلال تلك الندوة، (احتفظت بها مسجلة، في إطار اهتمامي بتوثيق كل ما يهمّ بولز سواء كان مكتوبًا، مرئيًا أو مسموعًا) هذا نصّها:

«عدد من الأسئلة يطرحها المغاربة حول ما كتبه پول بولز عن المغرب.. لكن هل من الضروري، أن أي كاتب، بصفة عامة، أو فنان سواء كان رسامًا أو كاتبًا أو شاعرًا يجب أن نطلب منه أن يدافع عن المجتمع الذي يعيش فيه، وإن لم يكن مجتمعه. كما يدافع المحامي عن كل القضايا الخاسرة والرابحة؟

أنا أعتقد، أن إقامة كاتب في أي بلد كان ليس التزامًا من جانبه لكي يدافع عن قضايا المجتمع الذي يعيش فيه. فمثلًا، نحن نعرف إقامة بعض الكتّاب بين قطر وآخر، مثل لورنس داريل الذي كتب رباعية الإسكندرية، أو يانيس ريتسوس أو كفافيس. وپول بولز يدخل في هذا النطاق. فكل واحد منهم كانت له رؤية تختلف عن [الآخر]. طبعًا، المجتمع العربي ليس موحّدًا. وطبعًا، كل واحد كان ينظر إلى المجتمع الذي يعيش فيه حسب الرؤيا التي كان يتبناها في مجتمعه، ذلك أن مجيء پول بولز، فيما أعتقد، إلى هذا المجتمع والإقامة، بهذا المدى الطويل، فيه نوع من الهروب أيضًا من مجتمعه الملوَّث المليء بالضجيج. ربما أزعجه ذلك. إذن في هذا المجال، ينبغي أن لا نطلب من پول بولز الكثير مما استطاع أن يبرزه في قصصه، بالخصوص، وليس في رواياته، كواقع مغربي عاشه بين مدينة وأخرى. أحيانًا في فاس، وأحيانًا في مراكش، أو أحيانًا، في الأطلس، مثلًا. هنا، نتساءل: هل ينبغي لنا أن نتعامل مع شخصيّات أعماله، كحالات مرضية في مجتمع مغربي في معظمه، قد لا يعاني من الحالات الشاذة الآتية من الغرب، لأن كثيرًا من أبطاله يأتون للتنفيس عن بعض المشاكل التي يعانون منها في مجتمعهم. ربما، يجدون، هنا، تنفيسًا فقط. استراحة» (تصفيق. انتهى).

بعد شكري تحدّثت المترجمة كلود ناتالي توما، روبير بريات، بريس ماتيوسان عن رواية «بيت العنكبوت» [التي كانت كلود توما منهمكة في ترجمتها] حيث ردّوا على أسئلة

الحضور.. ثم أشار متدخل إلى أن ترجمة بولز لنصوص «رواة طنجة» حافظت على هذه النصوص من الضياع ومكّنت من تداولها.. وقد أصبح «خبز» شكري مقروءًا باللغة الفرنسية أيضًا وليس باللغة الإنجليزية فحسب، لما تعرض للمنع، في طبعته العربية، فردّ شكري قائلًا:

«أولًا، اللغة الإنجليزية، قرّاؤها، في المغرب، محدودون جدًّا. ومن أعطى هذا النوع من الشهرة [للكتاب]، يعني في المغرب العربي، هي اللغة الفرنسية، التي هي اللغة الثانية المقرّرة في البرامج التعليمية بالمغرب. والمسكونون بهذه اللغة وبقراءتها [كثر]. بعدما نقرأ كتابًا باللغة العربية نتنفس (ضاحكًا) بقراءات أجنبية، عن طريق الفرنسية، سواء كانت الكتب مكتوبة، أصلًا، باللغة الفرنسية أو مترجمة من لغات أخرى إلى الفرنسية. وربما هناك قضية يجب أن أقولها، فلا يجب أن نفكر فقط في المغرب العربي. هناك دول كثيرة، دول إفريقية، قارئة باللغة الفرنسية، وربما في الكتاب بعض المشاعر التي يتجاوب معها من عاش المشاعر ذاتها وتعكس الفقر والمعاناة والمشاكل الأسرية التي لا يتعاطف معها القارئ الإنجليزي أو الأميركي أو السويدي، ويحسّ بها [كما يحسّ بها] الإفريقي، لأنه سينظر إليها من الناحية الأنثربولوجية، أو ينظر إليها بنوع من التعجب. ولكن لن يحصل نوع من التواصل. إذن الإقبال على هذا النوع من الكتب، في الدول التي مستواها الاقتصادي راقٍ، يكون أقل منه في دول العالم الثالث».

روبير بريات:

- هناك سيد يريد أن يطرح سؤالًا منذ وقت ليس باليسير، ولا يمكن أن أغفله.

المتدخل:

- سؤال آخر لمحمد شكري:

محمد شكري (موجِّهًا حديثه لمن سيسأله):

- يمكن أن أردّ باللغة العربية، لكن يمكن أن تطرح السؤال باللغة الفرنسية، إذا رغبت في ذلك. ويمكن أن يترجمه السيد العلوي لأنني ناطق باللغة العربية مائة بالمائة.

- واش كان الكتاب [الخبز الحافي] يُنشر قبل ما يترجم؟

فكان ردّه على صاحبه:

- « ـ هذا السؤال مهم جدًّا. أجيب عليه. لولا پول بولز لما كتب «الخبز الحافي». لماذا؟

أولًا، في الوقت الذي عرفت فيه پول بولز كانت عندي رغبة أن يظهر لي كتاب في السوق. وبما أنه، حتى ذلك الوقت (1972)، كنت أكتب قصصًا ومقالات، فصدفة جاء ناشر إنجليزي، وهو بيتر أوين، اقترح عليه أن يقول لي أن أكتب السيرة الذاتية لحياتي، على الطريقة التي كتبت بها [سيرة] العربي العياشي أو إدريس الشرادي ومحمد المرابط. إذن، يعني هو كان الحافز، فقط، وهذا لا يعني أني كتبت

كتابي من خلال پول بولز. لم يوجهني. لم يقل لي: بهذه الطريقة، أكتب حياتك..».

ثم ينغمس محمد شكري في يمّ اللغة الفرنسية ويتابع حديثه بها:

«كان اقتراحه [بولز] حافزًا لكتابة هذه الرواية التي اتخذت شكل سيرة ذاتية لمهمَّش وليس لهامشي. لقد نبّهت دائمًا إلى التمييز بين مهمَّش وهامشي. ومن المهمَّشين الآخرين شكّلت جيلًا. لم أكن أتحدث دائمًا عن حياتي، حياتي الشخصية. فقد كانت هناك طفولة منسية، طفولة بئيسة.. وكانت هناك أيضًا البطالة والأُميّة. وهكذا إذن.. حاولت أن أكتب وثيقة اجتماعية، أنثربولوجية تقريبًا، وذلك من دون أن أكون على وعي بذلك. وقد وعيت ذلك الأمر، فيما بعد. لقد كنت محظوظًا أن هذه الرواية السير ذاتية كان من نتائجها طرح أسئلة. كيف يجب أن نكتب سيرة ذاتية روائية في عالم ثالث. نعم، هناك تكملة، وذلك لأننا لا نوقّع، أبدًا، عقدًا قبل أن نبدأ عملًا أدبيًا ولا قبل أن ننتهي منه. أتمنى أن أنتهي من [هذا الكتاب] بعد ثلاثة أشهر أو أربعة. سيكون هناك تغيير من حيث الأسلوب. سيكون نصف الكتاب، تقريبًا، تكملة تشبه ما كان عليه الجزء الأول، لكن بعد أن شرعت أتواصل مع الحياة عبر رموز الثقافة، الحضارة، فلا بدّ أن يتغيّر الأسلوب. لذلك سيكون هناك بعض الهذَيان الأدبي. الهذيان الأدبي من مقطع إلى آخر. وستكون هناك مقاطع واقعية».

روبير بريات، موجّهًا حديثه لسي محمد:

- عندما نجيد، مثلك السيد شكري، الدعابة باللغة الفرنسية، ونضيف إليها استعمال مصطلحات مثل التمييز بين مهمّش وهامشي، أعتقد أنه من حقنا أن نعتبر أنفسنا ناطقين بالعربية أولًا، ولكن أيضًا ناطقين بالفرنسية.. طاب مساؤكم.

# الحوار الأخير

## شكري/بولز بعد صدور «پول بولز وعزلة طنجة»

عندما شرعت مقالات شكري تُنشر على صفحات الجريدة العربية اللندنية (الشرق الأوسط)، لم يتوقف زوار پول عن طرح هذه الأسئلة عليه:

- لماذا يهاجمك؟
- لماذا يكتب ما يكتب؟
- ما هي دوافعه؟

لم تكن أجوبة پول تتغيّر. كانت تظلّ وفيّة لهذا الموقف:

- يصعب أن نعرف كيف يشتغل عقله، لأن ما يكتبه يفتقد إلى المنطق. إنه هو وحده الذي يقدر، ربما، على معرفة لماذا يكتب ما يكتب. إذا كان ما يزال قادرًا على ذلك.

وذات مرّة تجرّأت وعلّقت على الأمر بالشكل التالي:

- لكن لدينا دائمًا تأويلنا الخاص لعمل الآخرين. يمكن أن نحكم عليه، نحدّد دوافعه الحقيقية..
- يبدو لي أنه يعاديني، ولكنني لا أعلم لماذا؟ أنا لست مذنبًا. يهاجمني لكن من دون سبب. ذلك فعل إنسان أخرق. فعل

يصعب فهمه؛ لأنه غير منطقي. فأنا لم أهاجمه قط، وها هو يهاجمني! لماذا؟

- هل تعتقد أنه قادر على الكتابة عنك؟ أي أنه يعرفك بما فيه الكفاية لكي يرسم لك بورتريهًا كاملًا، أو أنه يعرف نصوصك بما فيه الكفاية لكي يقدّم عنها قراءة شاملة؟

- يبدو لي أنه لم يقرأ أبدًا أعمالي. لم يحدثني أبدًا عن أعمالي. ربما، قرأ مؤخَّرًا بعض الشيء، أو تصفّح بعض كتبي. ليس هناك مبرر موضوعي يجعله يقرأ كل ما كتبت. لكن شكري لا يهاجم أعمالي أو ينتقدها. إنه يهاجمني أنا، شخصيًّا. وهذا ما يصعب إدراكه. قد يقول قائل هذا أمر سهل إدراكه. لو كانت له وجهة نظر أدبية صرف لأمكن فهم الأمر. لو أن ما كتبت لم يعجبه فذلك امتيازه أو ذلك حظه فلينتقده، باعتماد منهج معين، إذا كان قادرًا أن يفعل ذلك!! لكنه يهاجمني أنا، شخصيًّا، وهذا أمر يصعب فهمه. وأعتقد أن لا حقّ له في مهاجمتي. ولا أرى في تصرفه هذا عملًا منطقيًّا مقنعًا. لذلك أقول إنه يصعب على أي كان أن يعرف ما يدور داخل مخّه.

بينما ظلّت طائفة أخرى من الزوار توحي لپول بفكرة يفيدها السؤال التالي:

- هل تعتقد أنك يمكن أن تلجأ إلى العدالة لو أن مضمون هذا الهجوم ظلّ يزداد عنفًا وضراوة؟

- تعلمون أني لم أقرأ النصّ بعد، ولا يمكنني أن أقرأه. عندما

أعرف مضمونه بالضبط، سأتصرف حسب المقتضى. وحسب ما أعلم، إني سمعت أنه يتهمني بأنني «لص»، أي أنني «سرقت» ليس ماله بل أيضًا أفكاره وأعماله (ضحك). إنه الجنون المطبَق. بإمكان أي كان أن يتأكّد أن هذا الزعم متهافت، سطحي، لا أساس له من الصحة. لأن الزعم إن لم يتمّ تقديم الدليل عليه يبقى زعمًا وكفى..

لا أفكر في تقديم شكوى ضده، في الوقت الراهن، على الأقل لأنني لا أرى نفعًا وراء الدخول في صراع أخرق، وذلك لأنني أشعر أن شكري وهو يتصرف بهذه الطريقة إنما يهاجم نفسه، وبذلك فهو يقتل نفسه. هذا ما أعتقده. لست مرغمًا على مساعدته على قتل نفسه بنفسه (أخلاقيًّا هذا الأمر مُدان بالإجماع أيضًا. وأنا رجل أحترم الأخلاق العامة). سيقتل نفسه. بمفرده. لا يهمني أن أراه غريقًا، فذلك أمر يعنيه وحده. إنه بلغ سن الرشد منذ زمن ليس باليسير.. يمكنه أن يقول ما يريد، ويتحدَّث حتى يشبع. يمكن أن يكتب ما يريد من الأكاذيب، فذلك لن يمكنه من تغيير الحقائق. يمكنه أن يتهمني بكل التهم الممكنة والخيالية، لن يخيفني فعله ذلك، لأنني لا أعتبره ندًّا لي. ولذلك لا يعنيني في شيء أن أحتج أو أن أهاجمه بدوري... ومن جهة أخرى لا يمكنه أن يقدّم دلائل ملموسة على التّهم التي يقدّمها. لذلك يمكن أن نستنتج أن ما يكتبه هو ما يتخيّله. إن ما يكتبه ليس مستندًا إلى وقائع بل يستند إلى استيهامات، إلى ما يسكن ذهنه. إنه الذُّهان الهذياني.

أقول له:

- لكنك اعترضت على ما كتبه الجامعي الأميركي لوسانو - سايير كتابة؟

بولز: نعم. **أولًا**: لأنه قدّم ادعاءاته بلغة أفهمها. **ثانيًا**: تمكّنت من معرفة الكلمات التي استعملها. لكن في حال شكري، لا أعرف على وجه الدقة ما الذي قاله. لم أضع كلماته تحت يدي بعد. إنها الريح التي تهبّ. فهي ليست متينة ولا هي راسخة. يمكن أن يؤولها بطرق مختلفة. وقد فعل هذا في وقت سابق. فقد هاجمني على صفحات مجلة يهودية (المنبر اليهودي) قائلًا إنني «مصاص دماء الآخرين».. «وأنني لص» وبقية الكلام المكرور.. وقد زارتني مديرة المجلة، لكنني لم أرد أن أرُدّ على ادعاءات شكري بالرغم من توسلها اللَّجوج.. فيما بعد، زارني شكري سكرانًا. اعتذر، والدمع يسكن حلقه، عن فحوى الحوار الذي نُشر «بالمنبر» المذكور. وقد أضاف شكري أن المجلة أضافت عددًا من الجمل إلى جمله لكي تضفي ذلك المناخ على الحوار وتطبعه بخاصية الحرب الكلامية، وتخلق «سوء تفاهم بيننا».. وذلك منطق المجلات تريد أن تخلق المشاكل لتدعم مبيعاتها.. أرادني أن أصدّقه فصدقته.. لا وجود لعارض يدعو شكري أن يقف موقفًا معينًا مني، بل هناك مزاج شكري يدفعه أن يعادي أو يصادق أيًا كان..

أعتقد أن كل ما يقوله، كل ما يقوم به هو ثمرة بلوغ انفعالاته ذروتها، وليس ثمرة الواقع. إنه يريد فرض استيهاماته

وهلوساته على الواقع وعلى الحقيقة، وهذا أمر غير مقبول. إذن، أعتبر أن شكري لا يتحدَّث عني، بل يتحدَّث عن شخص آخر. أعتبر شكري دون كيشوت آخر في نزاع مع الهواء.. هو لا يعرف من يصارع، وقد لا يعرف لماذا يقوم بما يقوم به.. إنه يصارع. ربما ليذكِّر الناس بأنه ما يزال على قيد الحياة.. أتمنى له طول العمر.. لا بدّ أن ذلك يسليه. ولكنه لا يسليني، أنا.

## عود على بدء

### المرابط/ شكري

قبل أن ينشر محمد شكري كتابه «پول بولز وعزلة طنجة»، باللغة الفرنسية، كان نشر مضمونه في حلقات على صفحات جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية. أذكر أن المرابط هاتفني، ذات يوم، ودعاني لزيارته. كنت قد قضيت شهرًا كاملًا خارج طنجة، بعيدًا عن الناس والجرائد وكل ما يربطني بتوافه الحياة اليومية. عدت إليها قبل يومين. كان الزمن شهر غشت/ أغسطس/آب.. وقبل يوم فقط، كنت تحدّثت إلى الصديق حسن بحراوي، لتبادل الأخبار، كالعادة، فسألني هل قرأت ما ينشره شكري عن بولز، أجبت بالنفي. لخّص لي بعض ما قرأ، فعقَّبت إن بعض هذه الأشياء غير حقيقية. فقال لي: «كل من قرأ ما نشره شكري يقول إن الكذب واضح بيِّن في ثناياه. هذا ما يؤكده الأصدقاء، هنا في الرباط. ومن خلال ما قرأته لبولز وعنه، وما أعرفه عامة، وما أعرفه من خلال أحاديثنا توقفت على كثير من الخطل والاختلاق..».

في بيت المرابط، سألني:

- هل قرأت ما يكتبه هذاك الـ.. شكري؟

أجبت بالنفي. قدم لي نسخة من عدد لجريدة «الشرق الأوسط». قرأت المقالة. عندما رفعت بصري عن النسخة، سألني المرابط:

- لماذا ينشر هذا الرجل أكاذيبه؟
- هو وحده يعلم السبب.
- لا دين لهذا الكذّاب.
- ...
- يزعجني أن يصدّق الناس هذه الأكاذيب.
- أشكّ في ذلك.
- أنت الذي يعرف پول، هل تصدّق أنه قادر على فعل شيء شبيه بهذا؟
- أشكّ في ذلك، قلت له بصوت لا يخلو من نبرة تضامن.
- فلنذهب عند پول، وهناك، تقف على الحقيقة.

بعد عشرين دقيقة كنّا أمام بيت پول. فتحت لنا الباب، خادمته سعاد. قال لها المرابط:

- اسمحي لنا على الإزعاج؟

ردّت قائلة وابتسامة المجاملة تنشر رداءها على محيّاها:

- أنت صاحب الدار، وهذه دارك ادخل، مرحبًا بك.
- بارك الله فيك ألّالة سعاد. الله يكثر خيرك.

لما دخلنا نصف الغرفة (Half Room)، قال لي المرابط:

- ادخل أنت الأول واسأل پول إن كان ما يقوله شكري، هذا الكذاب، عن «المطرقة» وغيرها من المواضيع صحيحًا.

بقي المرابط، هناك، ودخلت غرفة بولز. حيّيته. قال لي لم أرك منذ مدة. ذكّرته أني كنت مسافرًا. فقال:

- آه! نسيت. لقد وصلت رسالتك وبطاقتك البريدية قبل أسبوعين..

سكت برهة وأضاف:

- هل سمعت بما يكتبه شكري؟

- لم أسمع به إلّا اليوم.. (ثم مستدركًا) والأمس أيضًا، من مصدرين مختلفين.

- عندما تطّلع عليه ستعلم كيف يكذب شكري. يكذب كما يتنفّس، كما يُقال عن هؤلاء اللواتي يبحثن عمن يقضي معهن ليلة بأي ثمن (ضحك).

- المرابط يقول نفس الشيء..

- الحمد لله أنه لم ينعم عليَّ بكذبه بمفردي، بل نعم على المرابط بحقه من الكذب أيضًا. ولم ينس الموتى كذلك[1]..

(1) يقصد پول جين زوجته كما سأعلم ذلك فيما بعد.

- لقد دفعني المرابط إلى المجيء الآن. هاتفني وسألني عمّا إذا اطّلعت على ما يكتبه شكري. ولما لم أكن قرأت ما كتب، طلب مني [المرابط] أن نزورك «لكي أسمع بأمّ أذني شهادتك وأتأكد من كذب شكري». فالمرابط يلحّ على ذلك لأنه يرغب في تضمين هذا الفصل في سيرته الذاتية[1]. قال بولز:

- قل للمرابط أن يدخل.

- هو لا يرغب في الدخول إلّا بعد أن أسألك عن مضمون ما كتب شكري وأسمع رأيك فيه.

- [ضاحكًا] وهل تأثّر بما يقوله شكري وهو أعرف به مني، أقصد أعرف بكذبه وادعاءاته.

سألت پول:

- هل اطّلعت على مضمون ما ينشره شكري؟

- نعم، بشكل تقريبي. لقد قرأ لي بعضهم نزوات/ تخيّلات هذا الرجل. وأنت تعلم أن من يقرأ لك ولا يكون معنيًّا أو على علم بسياق الأشياء قد ينسى جملة ولا يترجم أخرى إلّا بشكل تقريبي..

(1) كان بولز يعلم أننا، المرابط وأنا، نشتغل على سيرة للمرابط منذ مدة طويلة.. ويعلم أيضًا أننا استأنفنا كتابتها، مؤخرًا، بعد انقطاع دام مدة طويلة. يتعلق الأمر بـ«پول بولز/ محمد المرابط» سيرة جماعية، ج1: «مسارات» (صدر سنة 2005)، ج2: «منعرجات» وجزء ثالث (الكائن البحري) قيد الإنجاز..

- على أي سأقرأ لك بعض ما أثر في المرابط بشكل حقيقي، وأثار حنقه..

فتحت عدد الجريدة، وكنت وضعت أسطرًا تحت ما أغضب المرابط. قرأت:

شكري: «صارت تروقه [المرابط] رفقتي. ربما لأننا من نفس الطينة، أو أيضًا لأننا ريفيان، والريفيون يتآزرون، خاصة في الأزمنة الأخيرة، فيما بينهم. لم يكن المرابط يتناول غير الليمونادا وأنا البيرة أو الويسكي. لكن، رغم هذا التلاطف بيننا، فقد كانت هناك عثرات: كان، أحيانًا، يقاطعنا عندما كنا نشتغل أنا وبولز في ترجمة «الخبز الحافي». لقد تفاقمت غيرته من عملنا بشكل جدٍّ سخيف إلى حدّ القرف حتى أنني فكرت في الانسحاب نهائيًّا، لكن پول أنقذ الموقف في الوقت المناسب: فذات ليلة نهض غاضبًا ودخل المطبخ. خرج حاملًا مطرقة صارخًا في وجه المرابط «اخرج من هنا وإلَّا قتلتك».

كنت أعرف أن پول قادر على قتل آلاف الأشخاص في مخيلته المبدعة، ولكن في الواقع ما كنت أظنه قادرًا على قتل ذبابة. لكن تبيّن لي أنه لا يسمح لكرامته أن تُهان بمثل هذا الاستهتار الصبياني. كان المرابط قد أزعجنا إلى حدّ الغضب ونحن نشتغل». (ص47/48)[1].

---

(1) أرقام الصفحات تحيل على كتاب محمد شكري «پول بولز وعزلة طنجة»، مطبعة النجاح الجديدة بالدار البيضاء 1996.

قال بولز معلّقًا على ما سمعه:

- لم يحدث أبدًا أن حملت مطرقة ورغبت في فعل شيء.. أو هدّدت المرابط، كما يزعم شكري. قد يكون هذا الأمر حدث في ذهن شكري، وهو مخمور، أو رغب شكري في أن يقع. ثم إن المرابط هو الذي اقترح، بمحض إرادته، أن أشرع في ترجمة «الخبز الحافي»، بالرغم من أننا كنا نشتغل، المرابط وأنا، على كتابه «الطفل الذي أوقد النار». أذكر جيدًا أنه جمع الأوراق التي كنت رقنتها من كتابه، المشار إليه، وغطى الآلة الكاتبة وقال لي: «اشرع في العمل مع شكري الآن».. فشكري نفسه، الذي ظلّ يسكر في بيتي ويزعجني ويزعج ضيوفي، لم أجرؤ على تهديده بمطرقة، وهو الأحقّ بالتهديد...

سكت پول لحظة، رشف من كأس وُضع على يمينه، ثم قال مستأنفًا حديثه:

- يبدو لي أمرًا تافهًا أن يتحدَّث السيد شكري عن الغيرة. ألم أشر قبل قليل إلى أنه يكذب كما يتنفس، (ضحك). أعتقد أن النساء وحدهن أحقّ بالحديث عن الغيرة. وعندما يتحدَّث عنها السيد شكري، فلك أن تستنتج ما تريد من نتائج. قد يتهمنا غدًا، في مقالاته، بأننا رغبنا في التحرش به (ضحك).

ثم لاحظ هذه الجملة التي تحمل كل خصائص الاتهام والصادرة عن محقّق محاكم التفتيش: «كنت أعرف أن پول قادر على قتل آلاف الأشخاص في مخيلته المبدعة»، جملة تتميّز

بالتهويل والتضخيم النابعين من الجهل أو سوء النية. كم شخصية ماتت في كل ما كتبته؟ التامي في رواية «دعه يسقط»، الصحراويان في قصة «طريدة هشة». الطريقة التي قتل بها التامي استقيتها من كتاب المحلّل النفسي روني ألاندي (René Allendy). يحكي هذا الدكتور قصة طفلين، عمرهما اثنتي عشرة سنة، كانا يلعبان وأخذ أحدهما مسمارًا وغرزه في أذن الآخر. وقد بدت لي هذه الطريقة عجيبة، سهلة وناجعة لقتل أي شخص (ضحك) [. . .] فوعدت نفسي باستغلال هذه الواقعة يومًا ما. . . أما موت الصحراويين فقد استقيتها من حكاية واقعية رواها لي عسكري فرنسي خلال زيارتي للصحراء وذلك خلال الثلاثينيات من هذا القرن. كيف يتحول هذا العدد الضئيل جدًّا إلى «آلاف الأشخاص»؟ ألا تؤكد هذه المبالغة المجانية رأيي القائل بأن السيد شكري لم يقرأ نصوصي؟

يتحدَّث شكري، أيضًا، عن جين ويريد أن يعطي الانطباع أنه عرفها. لا، لم يعرفها أبدًا. يمكن أن يقال الأمر ذاته عن الكتّاب الآخرين مثل: وليام بورووز، ترومان كابوتي. . . حتى تنيسي وليامز، لم يتعرّف إليه. طبعًا التقى به. «تعرّف إليه»، كلمة ذات دلالة قوية. . . لا تعني المعنى الذي تقصد التعبير عنه. .

## بولز ونصوص المرابط

- وما حقيقة احتيازك لبعض قصص محمد المرابط؟

- فيما يخصّ قضية انتحال پول قصص المرابط، اعتقد أنه كلام محال. إنه الجنون ذاته أن أُتهم بشيء كهذا. إنني لن

آخذ أبدًا شيئًا أنجزه شخص آخر، وأقول إنه لي. إنني أستحيي من فعل ذلك. ولا يمكن أن أقوم بهذا التصرف أبدًا.. لا، لن أقوم بتوقيع شيء لم أكتبه، أنا. ألا يعلم أن الأساليب تختلف، عن بعضها البعض، وأن الأسلوب هو الإنسان؟ وفيما يكمن عمل الناقد؟ إن شكري يحبّ أن يطلق اتهامات مثل هذه، لأن ذلك يخفّف عنه، فيما أعتقد. إنه يحبّ أن يطلق الاتهامات بصيغة الجمع. ألا يقول إني أسرق كل الناس!؟ لقد خرّف قبل أن أخرّف، إنه لأمر مؤسف حقًّا!

## المال.. البحث عن الضوء..

- لقد وصفك بمصّاص دماء لكي يلمّح إلى أنك استغللته...

- [مقاطعًا] آه! يقصد أنه مصّ دمي خلال مرحلة الترجمة. فقد كان يريد أن أقدّم في ترجمة «الخبز الحافي» نسخًا طبق الأصل لجمله العربية. كان، خلال الترجمة، يظلّ يراقب ما أترجمه حرصًا منه على أن أقوم بترجمة حرفية. كان يريد أن يعكس النص الإنجليزي عدد الفواصل والنقط الموجودة في النص العربي.. ولك أن تتصور الصعوبات التي يمكن أن يعانيها مترجم يجلس إلى جانبه صاحب النص ليرغمه على عرض النص على آلة تنسخه بلغة أجنبية ويحتفظ بعدد سطوره ونقطه وفواصله وجمله ذاتها.. وبعد لأي استطعت أن «أقنعه» أن اللغة الإنجليزية ليست هي اللغة العربية وأن لكل لغة خصائصها، كما لكل شعب قارة خصائصه التي

تميّزه، بالرغم من الخصائص المشتركة بين البشر.. لقد كانت ترجمة كتاب شكري أشقى ترجمة أقوم بها طيلة عمري.. فمن جهة لم أكن أعرف اللغة التي كتب بها الكتاب وهي العربية الفصحى، وأقول صراحة إن شكري هو الذي قام بالترجمة لأنه كان يبحث عن المقابل باللغة الدارجة أو الإسبانية أو الفرنسية ذاتها.. إنه هو الذي استغلّني لأنني ترجمت كتابه.. فقط. فلم أضف إليه شيئًا ولا حذفت منه شيئًا.. واستفاد هو من تلك الترجمة بقدر ما خسرت: كل اتهاماته الكاذبة مصدرها ترجمتي لكتابه ذلك..

- ... وأنك ربحت مالًا كثيرًا بترجمتك لكتابه...

- هو ذاك. المال دائمًا! إنه يفكر من خلال المال، ويعتقد أنني رجل غنيّ جدًّا، وأنني، بفضله وبفضل المغاربة الآخرين[1] أصبحت غنيًّا. لكن كل هذه الأشياء غير صحيحة. لو كنت سرقت مال شكري، لكان بإمكانه أن يقول لي ذلك منذ عقدين قبل الآن، فشكري ليس رجلًا

(1) يقصد بولز هؤلاء الذين ترجم نصوصهم، وهم من سميناهم «رواة طنجة»: أحمد اليعقوبي، العربي العياشي، محمد المرابط بولعيش. للمزيد من المعلومات انظر: «صورة المغربي في أعمال پول بولز» بحث مرقون، جامعة محمد الخامس، 1995، وانظر أيضا:

Paul Bowles et les narrateurs de Tanger in Al Maghrib N 4298 (1990).

وانظر أيضًا: پول بولز: «أكتب لأنني ما زلت حيًّا»: حوار جدير، جريدة الحياة اللندنية، ع: 12920، الأحد 19 يوليو/ تموز 1998، ص: 16.

مهذبًا. لو كان الأمر صحيحًا، لجاءني وقال لي: «اسمع، لقد...» لكنه لم يتهمني أبدًا بأي شيء. وقد ترجم كتابه منذ عشرين سنة. ويبدو لي أنه لم يبق لشكري ما يقوله، فشرع يبحث عن الضوء بسبُل عدة منها: مهاجمة بولز ومنح نفسه وضع المظلوم أو المناضل، بل وضع الشهيد..

- نظم مؤخَّرًا حفل تقديم كتابه الأخير «زمن الأخطاء» بمدينة الرباط، وقال جامعي مغربي، خلال تدخله، إن شكري أصبح كاتبًا مشهورًا بفضل ترجمة پول بولز لـ«الخبز الحافي» إلى اللغة الإنجليزية. وانطلاقًا من هذه الترجمة تمكّن هذا النصّ من السفر إلى لغات أخرى.

- أوه! أنا، لن أقول هذا الكلام، ولو أنه كلام صحيح. صحيح كليًّا. فانطلاقًا من الترجمة الإنجليزية ترجم «الخبز الحافي» إلى اللغات الأخرى. لا شكّ أن شكري لا يحبّ هذه الفكرة ولا يحبّ أن يكررها على مسامعه أحد، كحقيقة عامة (ضحك). إنه يريد أن يقنعنا أنه حقّق ما حقّقه بفضل كفاءاته الخاصة. يمكن أن أذكر، والحالة هذه، جهد السيد الطاهر بن جلون الذي بعث الكتاب وكاتبه في العالم الناطق باللغة الفرنسية. ونعلم أن فرنسا هي وطن البريق المفتعل، الوطن الأم (باعتباره بلدًا مستعمرًا سابقًا)، موزّع الجوائز... وإذا غضب شكري مني، فالذنب ليس ذنبي. فهو لم يعبّر عن غضبه المزعوم أبدًا.

## منبر يهودي لتدشين الحملة

لقد زارني مؤخَّرًا، رفقة إبراهيم الخطيب. وقد حدثتك عن تلك الزيارة، كالعادة، وأشرت إليها في مقالة لك، ما زلت أذكر ذلك جيدًا. وما زلت أنعم بذاكرة قوية (ضحك)[1]. لم أرغب في أن أتحدث عن «غضب الصبي» هذا، حسب تعبير وكيل شكري الأدبي روبيرتو، أمام السيد الخطيب (الذي كان سيجيء برفقتك) ولذلك لم أقل شيئًا عن كل ذلك. فقد كان [شكري] يلعب دور البريء، الصديق، الرجل المهذب، وكنت أتلاءم مع هذا الدور. كنت أتواطأ معه، ذلك أنه قبل هذه الزيارة، كنت حصلت على عدد من مجلة تحمل اسم «المنبر اليهودي» (La Tribune juive) ويشتمل على حوار مع شكري أجرته معه مديرة هذه المجلة. كانت تلك هي المرّة الأولى التي تحدّث فيها بهذه العبارات: «لقد سرقني بولز، إنه سرق كل الناس، فهو لا يملك أفكارًا خاصة به، وهو يستغل كل الناس». بالتأكيد، كان يعتقد أنني لن أعلم بهذا الهجوم، ولن تسنح لي فرصة الاطلاع عليه. وكان يعلم، طبعًا، أنني مريض وربما اعتقد أنني سأموت عمّا قريب. لكن مديرة المجلة جاءت، من كندا، إلى هنا، وجلست هناك، حيث تجلس أنت الآن، وقالت لي:

(1) يقصد بولز المقالة التي كتبناها ضمن ركن «أصداء» الأسبوعي بجريدة «أنوال» وهو الركن الذي داومنا على كتابته طيلة سنتين.

- «لقد جئت من كندا قصد محاورتك لتردّ على هجوم شكري الوارد في هذا الحوار.

قلت لها:

- لا. لا أريد ذلك، لأنني لا أرغب في أن أتطوّع في حرب ضد شكري. فلا داعي لذلك».

خاب أملها للغاية جرّاء ردّ فعلي. لأنها كانت ترغب في أن تجعل من ذلك قضية أو تجارة لتجذب أكبر قدر من القراء. حيل اليهود. قراء المجلة، كما قالت لي المديرة، يهود في مجملهم. أناس لا أعرفهم. أناس، سيهتمون، لا ريب، «بمن سرق من». قالت لي المديرة إن هذه المجلة مجلة كندية بالأساس، جمهور قرائها كندي، وتتداول بين الساكنة الإسرائيلية. استخلصت من كل هذا أن لا المجلة ولا جمهورها يعنياني فيما يخصّ هذا الموضوع. (على العكس من ذلك، الجمهور اليهودي يهمّ صديقنا شكري) وخاب أمل المديرة.

## اللاشعور طليقًا

إن المجلة في مكان ما هنا (مشيرًا إلى ركام من الكتب توصل بها بولز مؤخّرًا) أو هي فوق الطيفور[1]، يمكنك أن تحملها معك للقراءة والنسخ كالعادة. ولكن أحب أن تقرأ جملة صغيرة خذلت لا شعور شكري.

(1) مائدة.

بحثت عن العدد حيث أشار بولز. يتعلّق الأمر بالجزء العاشر، العدد الثاني المخصّص للمغرب. يحتل جامع الكتبية صفحة الغلاف مع عنوان واحد «المحافظة على الكتبية واجب وطني». في أسفل الصفحة نقرأ «عدد خاص بالمغرب». الجملة القصيرة التي قصدها پول، وردت ضمن «يوميّات الرحلة» التي كتبتها مديرة المجلة وتحكي مجمل الرحلة الثقافية لهذه السيدة في المغرب:

«الأحد، 28 يونيو/ حزيران:

وصلت إذن حوالي الساعة الحادية عشرة. كان محمد شكري في انتظاري..

أنجزنا حوارًا جميلًا. في النهاية، ألحّ على تناول آلة التسجيل، مرّة ثانية، وهاجم بولز».

- ما رأيك! لكني أعتقد أن الإيضاح الذي أوردته هذه السيدة، يثبت، إلى حدٍّ ما، أهداف شكري غير البريئة، طبعًا، لأنه من النوع العنيد. كان يجب عليه أن يتمالك نفسه، لكن هل يقدر على ذلك؟ اللاشعور يتصرف حسب هواه، أليس كذلك؟

أذكر أني خلال ترجمة «الخبز الحافي» قلت له:

- «ألا يزعجك أن تكتب كل هذه الأشياء عن الجنس؟ إن الجنس يحتل مكانة خاصة في كتابك، هذا.

ردّ قائلًا:

ـ لا، على الإطلاق. يجب أن نقول أشياء مثل هذه، لأن المغاربة لم يعتادوا قراءة مثل هذه الأشياء. إن ذلك سينفعهم».

## منع الخبز

بولز: لكن الكتاب مُنع. أعتقد أن ذلك حدث بعد صدور الطبعة الثانية من الكتاب.

جدير: نعم، وهكذا بدأت صيرورة «المنع»: كتب أحد موظفي وزارة الشؤون الدينية رسالة إلى وزارته ملتمسًا منع الكتاب لأنه يمسّ بالأخلاق، حسب رأيه.

بولز: أذكر أنني التقيته، قبل شهر رمضان، قبل أربع أو خمس سنوات، بالسوق الجديد، بشارع فاس، فقال لي:

«ها أنت ترى، لم يعد بإمكاني بيع «الخبز الحافي» لأن رجال الدّين لا يريدون ذلك.

«كان غاضبًا. وقد أحسست، لحظتها، أن منع كتابه أمر مثير للسخرية. قلت له:

«نعم، إنه أمر مخجل، لا يجب أن يمنع الأدب.

قال لي: طبعًا لا يجب. إنهم... (شتيمة)».

ـ لكن (يضيف بول قائلًا) أعتقد أنه ما يزال بالإمكان أن يُباع الكتاب، وأن الطبعة العربية قد صدرت مرتين بالمغرب؟

## الخبز يحرّر من نير الوظيفة

ـ نعم، وقد تمكّن شكري من بيع عشرين ألف نسخة باللغة العربية في المغرب. وبفضل الطبعة الإنجليزية، التي كانت

مصدر الترجمة إلى اللغات الأجنبية المختلفة، تمكّن شكري من جمع ثروة متواضعة (مكّنته من التحرّر من نير الوظيفة، كما يحبّ أن يقول أحيانًا) ومن تحقيق شهرة، ينشرح لها تارة ويغضب منها تارة أخرى.. لأنها تحرمه أحيانًا من أن ينعم بالوحدة، عندما يرغب فيها، فيقتحم عليه عزلته فضولي أو صحافي متواضع أو ثرثار..

- نعم، هذا صحيح، لكنه لا يعترف بكل هذا.. فهو يقول إنني سرقته..

## وجودي يضرّ به

أعتقد أن وجودي وحده، أي كوني حيًّا، يضرّ به! أتذكر ما حكته عنه تلك المترجمة الأوروبية [كلود كرول][1] خلال انعقاد ندوة «طنجة فضاء تخييلي» والمنظم سنة 1991 من لدن كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة محمد الخامس بالرباط، ومدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، التابعة لجامعة السعدي بتطوان؟ لقد حكت أنها نزلت ذات ليلة إلى بار الفندق الكبير (ڤيلا دو فرانس)، حيث كانت تقيم، وكان هناك شكري، يشرب الخمر طبعًا. شرب صاحبنا، تلك الليلة، أكثر ما يمكن، كالعادة. فجأة، صعد فوق كونتوار البار، قطّب وجهه

(1) مترجمة فورية بعدد من المنظمات الدولية، مدرّسة ترجمة (بمدارس منها مدرسة فهد العليا للترجمة بطنجة)، وقد ترجمت نصوصًا من العربية إلى الفرنسية منها نصوص لزكريا تامر..

عدة مرات، أصدر عدة أصوات، ثم رفع قبضته إلى الأعلى (بولز مقلِّدًا) وشرع يصرخ تحت أنظار الزبائن المتسائلة:

- «أنا ثاني كاتب عالمي بعد پول بولز».

أعتقد أنه سئم من احتلال المرتبة الثانية، ويرغب في التخلّص مني لكي يحتاز المرتبة الأولى (ضحك) بأسرع وقت ممكن، قبل أن يشيخ مثلي (ضحك).. لو كنت أحتل المرتبة الأولى ـ وفقًا لإحصائيات شكري ـ فإني أتنازل عنها لفائدة السينيور شكري، لكن لا حاجة إلى أن يلجأ إلى العنف (ضحك).. إنها حكاية مثيرة للسخرية حقًّا.

## تنيسي وليامز وجان جينه (1993)

- هل سمعت بإصدار شكري للكتيبين الخاصيْن بذكرياته عن تنيسي وليامز وجان جينه؟

- رأيتهما قبل أسابيع، وقد قرأتهما، يتعلّق الأمر بالكتابين اللذين ترجمتهما إلى اللغة الإنجليزية.

- صحيح، لقد ترجمت هذين الكتيبين، وكنت أنا الذي دفعت شكري لكي يكتب مجموعة ذكرياته مع جان جينه، عندما حدثني عن لقائهما. لقد نشر شكري كتابيه هذين، هنا بالعربية، وفي فرنسا بين دفتيْ كتاب واحد، دون أن يقول ولو كلمة واحدة للناشرين الأميركييْن [اللذين كانا نشرا الكتابين من قبل] كنت أفضّل لو أخبرني بصدور هذين الكتابين.. لكنه بدل ذلك، شرع يؤكد أن هذين الكتابين

ليسا هما نفس الكتابين اللذين كانا صدرا من قبل. بينما الواقع يقول إن الأمر يتعلّق بالكتابين ذاتيهما، كلمة كلمة. شكري يزعم أنه أعاد كتابتهما. عندما علم الأميركيان، ناشرا «تنيسي وليامز في طنجة» و«جان جنيه في طنجة»، أن الكتابين نُشرا، من دون موافقتهما، احتجّا. قالا لي: «لقد سُرقت حقوقنا...» وأرادا إقامة دعوى ضد شكري لكنني نجحت في إقناعهما بالعدول عن ذلك. عندما حدثت شكري عن ذلك قال لي: «ماذا يريد مني هذان اليهوديان؟» إنه يستعمل العبارات ذاتها التي يستعملها محمد المرابط. عندما لا نحبّ أحدًا، أو لا نحبّ فكرته نقول عنه إنه يهودي (ضحك). إن هذا الأمر يثير ضحكي. حقيقة إن أحد هذين الناشرين يهودي، والآخر ليس يهوديًا. وحتى لو كان الناشران يهوديين، هل ينطوي ذلك على أهمية ما؟ لقد قلت ذات مرّة: عندما يشعر المغربي أنه مذنب يهاجم. لكنني أعتقد أن هذا السلوك سلوك عام، أي إنساني..

# ربيع صداقة

## لقاء شكري ببول بولز

جدير: أين ومتى تعرّفت إلى محمد شكري؟

- لقد زارني ذات يوم، في بيتي، الكاتب إدوارد روديتي وقال لي: إني أعرف كاتبًا مغربيًا شابًا موهوبًا. يجب أن تتعرّف إليه.

بعد أيام، زارني إدوارد مرفوقًا بشكري. كان شكري، يومها، يكتب مسرحيات وقصصًا قصيرة. ترجمت له نصًا ما. كان قصة قصيرة. بعثتها إلى دانييل هالبرن، لتنشر بمجلة Antaeus. نشرت القصة. عندما جاء بيتر أوين إلى طنجة، أعطيته ذلك العدد من المجلة، فتحمس جدًا، وقال لي:

- هذا النصّ جميل، أود رؤية كاتبه.
- طيب، قلت له.

اصطحبت شكري إلى فندق (ڤيلا دو فرانس) حيث كان بيتر يقيم. كنّا جلوسًا هناك، قرب المسبح، فقال له بيتر أوين:

- أعجبني نصّك جدًا. ثم أضاف بعد ذلك: هل هو بداية رواية؟

ابتكر شكري، بالطبع، جوابه على الفور:

- نعم.

لم يكن ذلك صحيحًا، فالنصّ المنشور كان قصة قصيرة.

قال بيتر أوين:

- أرغب في الحصول على البقية، ما هي الأحداث التالية؟ إذا ما رغبت في ذلك، يمكن أن نوقّع على عقد الآن.

أخرج من جيبه عقدًا، فهو قد اعتاد ذلك. كان شكري مبتهجًا جدًّا، فوقع قائلًا:

- طيب.

ثم قال لي بيتر أوين:

- سنترجم روايته.

قلت له:

- سأفعل».

## الخبز الحافي والڤودكا

ثم تحدثنا، فيما بعد، شكري وأنا، واتفقنا على اقتسام ما ستجلبه الترجمة من مال. (50%) لكل واحد منا. وشرعت أترجم ما يكتبه شكري. لم أكن أعلم، في البداية، أنه كان يكذب وهو يردّ على سؤال بيتر. كنت أعتقد أن النصّ المنشور يمثل قسمًا من كتاب. لم يكن ذلك صحيحًا، فهو لم يكن كتب أي شيء. شرع يكتب. كان يزورني كل يوم. كان يكتب بخط كبير باللغة

العربية. يكتب صفحتين كبيرتين كل يوم. كان يساعدني على ترجمة هذين الصفحتين، لأنني أخبرته، مسبقًا، أنني لا أعرف العربية الفصحى، حينما قال لي: إنني سأكتب النصّ باللغة العربية وليس باللغة الدارجة. قلت له: طيب، موافق.

وشرع يشرح لي معنى كل جملة بالإسبانية والفرنسية أحيانًا، والدارجة أحايين أخرى، عندما يتعلّق الأمر بالحوار. وبهذه الطريقة المثيرة صنعنا «الخبز الحافي». وقد بذلت كل طاقتي لأنقل المعاني ذاتها التي فاه بها إلى اللغة الإنجليزية.. وقد كان شكري يلحّ على ذلك..

أتذكر أن شكري، خلال تلك الفترة وما بعدها، كان يشرب، هنا (مشيرًا نحو بهو بيته)، الڤودكا. كان يجلبها لي روسي يدعى ڤكتور. وكان لهذا الشخص ابن عجيب جدًّا. لم يكن الابن طبيعيًّا. كان غريبًا. كان معتوهًا. لقد قضى فترة معينة بمستشفى للمجانين. ولمّا أقام هنا أيضًا، ذهب كذلك إلى مستشفى الأمراض العصبية ببني مكادة [بطنجة]. والده الذي كان يجلب لي الڤودكا مات. جلب لي عددًا هائلًا من القنينات. كان للأب قمرية في سفينة روسية تقوم بجولة حول البحر الأبيض المتوسط، وكان يذهب إلى الجزر الجعفرية، أيضًا. كان بإمكان الروسي الحصول على الڤودكا بثمن رخيص، لأن السفينة روسية ولأنه كان أيضًا روسيًّا، بالرغم من كونه أصبح يحمل الجنسية الأميركية.

لم يذكر لي أبدًا اسمه، لكن فيليب [رايمي، مؤلف

موسيقي صديق بولز] كان يعرفه. كان يدعى كروبكوف (Kropkoff ). كل قنينات الڤودكا التي حملها إلى هنا شربها شكري. فقد وجد الڤودكا رائعة وربما عسلية. مرات عديدة، كان ينبطح، هنا، على الأرض، عاجزًا عن الوقوف أو الذهاب. وكان ينام. كل زواري كانوا يقولون عن شكري: آه، عاد السكّير.

كانوا يطلقون عليه السكير. كان دائمًا سكرانًا [يقولها بولز بالعربية]. كان يزعج الناس، ككل سكير. السكارى أناس مزعجون على الدوام، لأنهم ليسوا منطقيين. لا يعرفون ما يقومون به. من الصعب التعامل معهم.. لقد ارتطم رأسه مرات مع الحائط أو الباب أو الطاولة.

# تماثيل محطّمة.. ومرممة!

## جيل البيت (Beat Generation)

- بول، هل هناك فرق بين عبارتي «جيل البيت» و«البيتنيكس»؟
- «جيل البيت» تسمية شاملة جدًا ومعناها رحب، بينما عبارة «البيتنيكس» ضيقة جدًا. بالنسبة لي، العبارتان تعنيان الشيء نفسه، ولكنني لست أدري هل ذلك هو نفس المعنى بالنسبة للجميع. الأميركيون يستعملون كلمة «بيتس». يمكن القول إن العبارتين غير مألوفتين، لكنهما تعنيان الشيء ذاته. لا يمكن أن نميّز بين إنسان «بيتنيك» وعضو «جيل البيت»، فذلك يعني نفس الشيء. أعتقد أن عبارة «البيتنيك» عبارة روسية، وأعتقد أنه ليس أمرًا مألوفًا استعمال كلمة «نيك» التي يستعملها الروس بكثرة. لقد كانوا يطلقون على قمرهم الاصطناعي «السبوتنيك».

## بولز والحزب الشيوعي الأميركي

شكري: «أما بول بولز، إذا استثنينا انخراطه النزوي في الحزب الشيوعي الذي ندم عليه وطُرد منه، بعد أخذ ورد (من 39 إلى 40) فقد افتتن بالرحلات في باكر شبابه التي حفّزته

إليها، قهرًا، تربية والديه القاسية. «لكن يظهر أنه في العام 39 ما كان ينبغي لپول هو أن يتخذ قرارًا: الدهاء والانتهازية، إذا كنت تريد العمل في المسرح، في تلك الفترة، وپول كان يرغب فيه. لقد كان من المجدي أن تكون عضوًا في الحزب الشيوعي المسيطر على النقابة. وسيطردك إذا أنت لم تكن منخرطًا فيه. وليس ذلك فقط، وإنما أيضًا يجب عليك أن تكون ستالينيًّا؛ لأن فرع حزب نيويورك كان ستالينيًّا وله تعاطف مع اليسار». هكذا لاحظ فرجيل طومسون بصدد بولز» (ص8 / 9).

بولز: لست أدري كيف يمكن اعتبار انخراطي في الحزب الشيوعي الأميركي تصرفًا انتهازيًّا. لقد قلت شيئًا يسير في نفس الاتجاه في سيرتي الذاتية «بدون توقف». الأمر ليس صحيحًا تمامًا، لكنه لا يجانب الواقع على أي حال، مع الإشارة إلى أن التفاصيل مختلفة.

تسألني كيف ذلك؟

التفاصيل ليست هي التي ذكرها بالضبط. وهذا أمر طبيعي من جهته. لقد خرجت من أميركا وذهبت إلى المكسيك. ثم عدت ورغبت في أن أسجّل نفسي كشخص كان في حاجة إلى مساعدة الحكومة. وكنا إذا ما نجحنا في وضع اسمنا على تلك اللائحة كانت الحكومة تقدم لنا الطعام خلال الأسبوع كله. وكان يجب (على من يقبل في تلك اللائحة) أن يذهب إلى مكان معيّن، مرّة في الأسبوع، ويعود محمّلًا بعدة أصناف (من الطعام) يحصل عليه بالمجان. وإذا ما سجلنا اسمنا على تلك اللائحة يمكن أن نسجله

على لائحة أخرى، لها علاقة بهذا الطعام، حيث يصبح لنا الحقّ في أن نسجل على لائحة أخرى تسمح لنا بالحقّ في العمل والحصول على أجر أسبوعي، لو قبلنا في اللائحة السابقة وعثرنا على عمل. لو توفر العمل ولم نكن مسجّلين في تلك اللائحة لا يمكننا الحصول عليه. كان لهذه اللائحة اسم لم أعد أذكره الآن لأنه مرّ زمن طويل على ذلك.

كان العمل الذي قمت به هو التالي: اعتبرتُ مؤلفًا موسيقيًا.

بالطبع، ألّفت خلال تلك الفترة عدة تآليف موسيقية، لكن لفائدة المسرح. وعلى العكس من ذلك، ألّفت عدة أعمال لفائدة الحكومة.

موضوع هذه التآليف؟

أوه! كنت أقوم خلال كل أسبوع بتأليف جديد. لم يكن هناك موضوع رئيس معين. كان رجال الحكومة يقولون لي إننا نحتاج موسيقى لمجموعة مكوّنة من ثلاثة سكسوفونات. إنا في حاجة لحرم كَنَسي تؤدّيه جوقة، وهكذا دواليك..

كنت أقوم بهذا العمل لأنني كنت أتقاضى أجرة مقابل ذلك. كنت أعتبره عملًا ولم يكن أحد يُعنى إطلاقًا بأن ذلك العمل يروقك أو لا يروقك، كمؤلف موسيقي. كان الأجر الذي أحصل عليه يقارب خمسة وعشرين دولارًا خلال كل أسبوع. أجر ضئيل جدًا، وإن كانت قيمة الدولار، في تلك الفترة، تتجاوز قيمته الآن. وقد كان بالإمكان أن نعيش بذلك القدر من المال آنذاك، لكن ذلك غير ممكن الآن.

وهناك أمر آخر. كنت أكره المجتمع الأميركي وأرغب في كل ما يهدّد أمنه أو يقود ثورة تعصف بهذا النظام الرأسمالي الذي أكرهه.. كما كرهه جلّ الكتّاب الأميركيين لأنه يعادي الحرية، في العمق..

## طنجة فتنة العمر

شكري: «جاء پول بولز ليقضي في طنجة صيفًا، مثل العابرين، فإذا به يخلِّد فيها. ومن الملاحظ أن معظم الذين يفِدون إليها، من المبدعين الأجانب، يجيئونها في الصيف ثم يغادرونها بعد فترة تطول أو تقصر: لقاء، حب، أو زواج في ميناء. لا أحد شاهد. لكن پول ماذا أبقاه فيها بقية عمره؟ مناخها؟ بساطة العيش فيها؟ «المعجون» الساخن مصحوبًا بكؤوس من الشاي المنعنع، والكيف المشاع بيعه حتى في دكاكين التبغ Débits في ذلك الوقت أم أبْقته فيها دوليتها، وحرية العيش فيها، وكل سحر أسطورتها وعجائبيتها؟ كل ما نعلمه هو أن بقاءه فيها لم يفسره أو يبح به بمعنى محدّد وصريح. إنه لا يجيب إلّا بمراوغة ومواربة كعادته؛ فهو حريص على أن يكون متطابقًا مع ظلّه. وإذا شاء يقول بسخريته المعهودة: «لقد جئت وبقيت». (ص12/10).

بولز: لقد بقيت في طنجة ليس من أجل الشمس. إن شكري يخطئ، كالعادة، عندما يقول ذلك، لأنه لا توجد شمس في طنجة، في فصل الشتاء. ولم يكن ذلك أيضًا من أجل المعجون لأنني لم أتناوله إلّا مرات معدودة، في حياتي. تناولته،

لأول مرّة، بدافع الفضول، بعد أن سمعت أحاديث عن العجائب التي يتمتع بها الشخص تحت تأثيره. كنت منشغلًا يومها بتخيّل موت شخصية روايتي «السماء الواقية» وكنت أفكر في أنه من المعقول أن ألجأ إلى لا شعوري حتى أفلح في وصف تلك الحالة. وبعد تناول المعجون، غير بعيد عن البحر، بطنجة، زوال ذات يوم أحسست بخفة الروح وبأنني أطير في السماء، ثم أحسست بالرغبة في الكتابة. هرولت نحو الفندق الذي كنت أقيم به وسجلت ملاحظات شكّلت مادة وصف موت الشخصية. وهذا يعني أن المعجون لا يلهم، بل يساعد على وصف حالات قصوى.. ولا شكّ أن المعجون منحني، يومها، الحلّ الذي لم يكن بالإمكان العثور عليه لولا تناول تلك المادة.. وأذكر أني تناولت المعجون، مرّة أخرى، في فاس. وتناوله هناك جزء من تقاليد بورجوازيي المدينة، حسب ما علمت..

عندما قرّرت البقاء في طنجة (وفي المغرب) كانت جين تعيش معي، هنا. كنّا معًا وكنّا نعيش هنا. كانت فرحة جدًّا بوجودها، هنا، وكانت تحبّ كثيرًا طنجة والمغرب. أنا أيضًا كنت فرحًا جدًّا. كنّا نتقاسم هذا الحب الذي كان يغذّي أحاديثنا. لماذا كان عليَّ أن أغيّر مكان إقامتي؟ لم يكن لديّ أي مبرر يدفعني إلى اتخاذ ذلك القرار..

أنا أعرف جيدًا أن شكري يريد دائمًا أن يوحي بأشياء لا وجود لها إلَّا في مخيلته، أشياء هي نتاج لحالة الذّهان الهذياني التي تميّز سلوكه وكلامه..

وعندما يقوّلني ما لم أقله:

«وأسأله:

- ولماذا بقيت العمر كله [في طنجة]؟

- أوه! لأنه هكذا. ولست أنت الأول الذي يسألني مثل هذا السؤال، لكن ليس لدي ما أخسره اليوم إذا أجبتك. كانت الحياة جميلة جدًّا في ذلك الزمان. (يقصد من الثلاثينيات إلى حدود الاستقلال) كان في إمكانك، مثلًا، أن تسمع أصوات الزيزات فوق أشجار الأوكالبتوس وأنت جالس في رحبة مقهى باريس، أما اليوم فلن تسمع إلَّا ضجيج المحركات المصمّة..!». (ص11).

يبدو لي كأنه يرغب في إفشاء سر، في حين أنني كتبت في سيرتي الذاتية «بدون توقف»، قبل ربع قرن الجمل التي لقطها، لست أدري من أين، والتي قوّلني إياها جوابًا على سؤاله المزعوم. لقد كتبت في «بدون توقف»: «كانت الريح تعصف بأشجار النخيل وتجعل أشجار الأوكاليبتوس ترتعش، والمآسل التي تحيط بالطريق تدوي. لم تدخل طنجة بعد عصر السيارات المدنس. كانت هناك بعض سيارات الأجرة تتوقف إلى جانب العربات بالسوق الكبير [...] فغياب السيارات يسمح بالجلوس بشرفة مقهى بلاص دو فرانس ويكون كل الصداع الخلفي غناء اللقالق فوق الأشجار. ولما كان الراديو لم يصل بعد إلى المغرب، فبإمكاننا أن نجلس في قلب المدينة ولا نسمع إلَّا صخب

بعض الأصوات البشرية"[1].. وعندما أقول لقط أريد أن أؤكد أنه لم يقرأ كتابي أو أنني أشكّ كثيرًا في أنه قرأه بكامله. لو كان قرأه ما كان كرّر هذه الجمل محاولًا أن يجعل القارئ يعتقد أن شكري يفشي له سرًّا. هل يتعلّق الأمر - بالنسبة إليه - بسرّ شائع.

ثم هل هذا السرّ الشائع، الذي يقول إنني لم أرد أن أقوله أو أفشيه لأحد! إلّا له! هو سرّ فعلًا!؟ تهانيّ له على هذا التفرد بهذا السرّ!

إن شكري يلعب لعبة السياسيين الذين ينتهزون فرص الفوضى فيعملون على جعلها تتفاقم، لأن مصالحهم تقتضي ذلك، ويعملون على خلط الأشياء والأوراق ويمارسون التضليل حتى لا يعرف أحد أي شيء.. من أجل انتهاز مصلحة.

ألم يقل شكري لأحدهم (وأنت تعرفه على أي حال وهو كريم الدباغ) وكان سأله، كما قال لي هو نفسه ذلك:

- «لكنك ملأت كتابك بالأكاذيب؟

- لا عيب في ذلك ما دام الأمر يجلب المال».

شكري: «إنه لصعب إقناع بولز بأن «كل ما هو ماضٍ هو مجرد رمز» كما يقول غوته Goethe. ولذلك فهو يحاول أن يقهر هذا الفناء الجميل، ولو باستجوابات، لإحياء ذكراه عندما أقعده

(1) النص المستشهد به من ترجمتنا وكذلك بقية النصوص الواردة في هذا الكتاب.

المرض ولم يعد يكتب. لكن پول بولز يحبّ المغرب ولا يحبّ المغاربة. هذا لا ريب فيه. وحتى محاولة دفاعه عنهم، في روايته «بيت العنكبوت» The Spider's House، خيّب أمله فيهم؛ لأنه كان يعتقد أنهم سيعودون، بعد استقلالهم، إلى حياتهم التقليدية. لكنه فوجئ بتأوربهم (يتشبهون بالأوروبيين) أكثر من الاستلاب الذي سممهم في عهد الاستعمار. إن المغرب الذي أحبّه بولز أبدًا لن يرجع. ولذلك فقد انتهى، بالنسبة إليه، مع بداية الاستقلال» (ص12).

بولز: يبدو أن الأستاذ شكري يرغب في أن يلقنني أن التغيير بالمرصاد لكل شيء.. وكأنه يذكرني بأبسط درس لا ينجو من استيعابه أبسط مواطن.. هل يعلم لماذا كنت أرغب في تسجيل الموسيقى المغربية منذ منتصف الثلاثينيات؟ هل يعلم لماذا قمت بتسجيل وكتابة نصوص من سمّيتهم أنت «بِرواة طنجة»؟

لا يمكن لبولز أن يحبّ المغرب دون أن يحبّ المغاربة. ما معنى المغرب من دون المغاربة؟

هل يمكن تصور وجود بلد من دون وجود أهله وعاداتهم وتقاليدهم؟ فذلك ما يحدّد خصوصيته. لقد عالجت هذا الموضوع مرات عديدة، وقلت في واحدة منها: «في كل مرّة ذهبت إلى مكان لم أزره من قبل أبدًا، آمل أن يكون مختلفًا أيضًا، إلى أقصى حدّ، عن تلك [الأماكن] التي سبق أن عرفتها. أعتقد أنه من الطبيعيّ بالنسبة للرحالة، أن يبحث عن الاختلاف/ التنوع وأن العنصر البشري هو ما يمنحه، أكثر من أي شيء آخر، معاني الاختلاف.

لو كان الناس وأسلوب عيشهم هو نفسه في كل مكان، لما كان مجديًا الانتقال من مكان إلى آخر. وباستثناءات قليلة تقريبًا، فالمشهد الطبيعي وحده لا يقدّم فائدة وافية بالحاجة لتبرير الجهود التي يجب بذلها لرؤيته. إن أعمال الناس ذاتها، إن لم توظّف في الحياة اليومية، فهي تفقد معناها ولا تضطلع إلّا بوظيفة تزيينية. إن ما يمنح مدينة اسطنبول قيمتها، بالنسبة للأجنبي، ليس هو وجود المساجد أو الأسواق المغطاة، بل كونها تعرف باستمرار الحيوية والنشاط. لو لم يكن لسكان الهند ذلك الوعي اللافت للانتباه بأهمية النظام الروحاني، لكان بلدًا زيارته مثبطة للعزيمة إلى أبعد حدّ، بالرغم من آياتها الهندسية. وإفريقيا الشمالية من دون قبائلها، يسكنها مثلًا السويسريون، ستكون بكل بساطة كاليفورنيا وقد تعرضت لتعرية أكبر [...]

إن فكرة المحافظة على الوضع الراهن فكرة نظرية محض. فالتغييرات تحدث باستمرار. من العبث أن ننتظر من كل مجموعة أن تحافظ على خصائصها أو نمط عيشها الراهن. لكن زائر مكان ما، يكمن سحره في طابعه المتخلّف، يميل إلى أن يبقى كذلك إلى الأبد من دون أن يأخذ بعين الاعتبار ما يمكن أن يشعر به السكان. بالنسبة لمن يبحث عن البيتوريسك، يبدو تطور التكنولوجيا كشيء فظيع. ومع ذلك، فهناك ما هو أسوأ من ذلك [...] وفي رأيي، فالشعوب ذات الثقافات المختلفة لا تلغمها فضالة حضارتنا بمقدار ما تلغمها الرغبة اللامعقولة التي يُعبَّر عنها

من قبل أفراد ينتمون إلى أقلياتها المثقفة والمتمثلة في أن يتوقفوا عن أن يكونوا هم أنفسهم لكي يصبحوا غربيين. إن أشكال الأداة التي تتخذها «نفايتنا» تتحول إلى أصنام ملائمة تمكّن من ضمان/ تأمين هذا التحول السحري. لكن يوجد ثمة فرق بين ترك عضو جسم (أو مؤسسة) يتطور بشكل طبيعي ومحاولة إجباره على التغيير. تحاول كثير من أنظمة ما بعد الاستعمار أن تسرع مسلسل التأورب عن طريق حملات ومراسيم. والحقيقة أنه يمكن أن نحطّم أشكال التفكير التقليدية، عنوة، لكن من الضروري أن توجد هناك أشكال بديلة قادرة على الاستمرار، والتي لا يمكن أن تحتل مكانها إلَّا بشكل تجريبي من لدن الناس أنفسهم. إن فراغًا ثقافيًا لا يمكنه أن يولّد الروح الوطنية، والتي تستتبع شكلًا من أشكال الوعي بالهوية». (ص9 ـ 12، رؤوسهم خضراء وأياديهم زرقاء).

ذلك رأيي، في المسألة، أعلنت عنه منذ سنوات وفي ظلّه كتبت مجمل مقالاتي الخاصة بالرحلة إلى عدة بلدان من العالم.

أما حديثه عن روايتي «بيت العنكبوت»، فأنا على يقين أنه لم يقرأها. لو قرأها لأيقن، كما حصل لكل من قرأها، أنها رواية تقطر حبًّا للمغرب وللمغربي. لاحظ ما قال عنها الزعيم السياسي علال الفاسي نفسه. لقد قال: «إن الوقائع كانت كما يصفها هذا الرجل. هذا الأميركي يعرف

المغرب». ولا أعتقد أن السيد الدويري سيقول غير هذا الكلام عندما يقرأ ذات الرواية[1]. فهي رواية كُتبت للتنديد بالعنف الذي مارسه الاستعمار الفرنسي ضد المغاربة. وهو عنف يتناقض مع مبادئ الجمهورية الفرنسية التي قامت على مبادئ الثورة الفرنسية.. وهي رواية رفضت أن تتحول النخبة المغربية إلى ملاحقة تحقيق الأهداف الفرنسية، ذاتها، بالمغرب من إبقائه سوقًا مفتوحة في وجه السلع الفرنسية ورجال المال الفرنسيين.. والقيم الفرنسية.. وهي مخالفة تمامًا لقيم المغربي.. لو قرأ روايتي «بيت العنكبوت» لرأى بأُم عينه وفؤاده الإشادة بالمغرب والمغربي من خلال الإشادة بالطبيعة وما سميته أنت في بحثك «بالعبقرية المغربية» في اختيار أماكن السكن إلى جانب الغابة والنهر عكس الفرنسيين الذين ينمّ اختيارهم عن جهل تام بخصائص الفضاء، وذلك لأنهم مستعمرون لا يتقنون إلّا فن النهب:

«من هذا المكان كانت المدينة العربية متوارية عن بصره [عمار: الشخصية الرئيسية في الرواية] لأنها كانت مشيّدة داخل صدع عميق وواسع على هضبة السهل؛ فموقعها يجعلها دافئة

(1) نظم المركز الثقافي الفرنسي بطنجة تكريمًا لپول بولز احتفاءً بصدور ترجمتنا لبعض قصصه القصيرة على اللغة العربية، سنة (1997)، حضره كتّاب ومثقفون ورجال سياسة من بينهم السيد محمد الدويري [قيادي بحزب الاستقلال المغربي ووزير سابق]، الذي تحدّث إلى پول بولز بعد أن قدمناه إليه... وفي الأخير، سألنا الأستاذ الدويري عن أهم نصّ صدر لپول بولز قصد قراءته فاقترحنا عليه رواية «بيت العنكبوت» فاقتناها رغبة في قراءتها. وإلى ذلك الأمر يشير بولز.

في فصل الشتاء لأنه يحميها من الرياح الباردة والتي تهبّ على السهل، وباردة باعتدال في الصيف؛ لأن أشعة الشمس القاسية لا تلفحها بقوة.

وعلاوة على ذلك يسهم النهر في تلطيف الهواء، هذا النهر الذي يجري عبر عدد من القنوات على طول المسيل الذي شيّدت المدينة على منحدراته. فسكان فاس مغرمون بلفت نظر بعضهم البعض، بالإضافة إلى لفت نظر الزوار إلى طقس المدينة الجديدة الذي لا يُطاق، لأن الفرنسيين بنوا مدينتهم في وسط السهل، فكانت النتيجة أنها معرضة لكل قساوة وتقلبات جو الطقس المغربي.

فعمار لا يفهم لِمَ كان الفرنسيون أنفسهم بُلهاء إلى هذا الحد لتبذير قدر كبير من المال لتشييد مدينة كبيرة جدًّا لا يمكنها أبدًا أن تكون نَزهة نظرًا لأن الأرض التي شُيِّدت عليها كانت غير ملائمة منذ البداية. لقد زار ذلك المكان خلال فصل الشتاء وعانى من قساوة الرياح التي تهبّ عبر الشوارع العريضة؛ فقد كان على يقين أنه لا يوجد في أي مكان من العالم هواء أكثر قساوة أو أقل ملاءمة لحياة البشر من ذلك الهواء.. (بيت العنكبوت، ص. 73/ 74).

فالرواية من أول سطر إلى آخر كلمة منها دفاع عن الهوية المغربية والحضارة المغربية.. وافتتان بها، ودعوة للمحافظة عليها. وددت لو لم أُضطر إلى قول ذلك شخصيًّا.. وأن يقوله مثقفون مغاربة..

## شكري لم يقرأ كتبي

لقد قلت دائمًا إن السيد شكري لم يقرأ كتبي، وإنه لا يملك الإرادة لقراءتي. وها هو يقدّم لي دليلًا إضافيًّا على ذلك. وها هو يفضح نفسه عندما يستشهد، في كتابه، بهذا المقطع والذي يقول إنه فقرة مأخوذة من أحد كتبي. بالفعل قرأت في فيلم أنجزه سيباستيان هيرت هذا المقطع:

«دخلت باخرة للقراصنة إلى خليج المدينة مع بداية النهار. وأرسلنا أربعة رجال لسحبها إلى الميناء. ثم توجهنا إلى نقطة عند سفح الأخاديد وبقينا ننتظر. وعندما اصطدمت مقدّمة السفينة بالرصيف توجهنا نحوها سباحة فالتقينا بعدد من ركابها الذين ألقوا بأنفسهم إلى البحر. إن ربان السفينة كان إلى جانب أفراد طاقمها فوق ظهرها. وهذه المرّة تلقينا الأمر بقتل أقل عدد ممكن. لقد تمكّنا من أسرهم جميعًا أحياء إلَّا امرأة إنجليزية كانت تغرق. لقد كانت السلاسل جاهزة. وجعلنا الأسرى يسيرون أمامنا عبر شوارع طنجة». ثم يضيف: «لقد كانت لهم أوامر للاستيلاء على جميع السفن الأوروبية التي تجوب عرض سواحل المغرب من أجل أسر بحاراتها وجعلهم عبيدًا. إن هذه الحكاية يتمّ تداولها انطلاقًا من وجهة نظر مواطنين بسطاء استطاعوا أسر بحارة سفينة صغيرة. لست أدري بالضبط إلى أي حقبة يعود ذلك. أظن أن الأمر يرجع إلى القرن السادس عشر. لقد أسروا آلاف الرجال ونقلوهم إلى مكناس كيما يشتغلوا في السراديب داخل باطن الأرض لحفر الزنزانات الضيّقة والمغاور

للقصر. إنهم كانوا جسورين ومتهورين أيضًا في تلك الفترة. وهم مستعدون لتكرار ما حدث إذا ما كان ممكنًا ذلك. لكن الأمر أصبح مستحيلًا في أيامنا هذه. إنهم يتحدَّثون بشكل جدي عن استرجاع الأندلس من إسبانيا. قد يفعلون ذلك؛ فهم يكرهون إسبانيا وجميع الدول الأجنبية. إنهم شديدو البغض للأجنبي. وفي اعتقادي أنه من الممكن أن يحاولوا دون نجاح اجتياح جنوب إسبانيا. وقد فعلوا ذلك على عهد فرانكو الذي تمكّن من أسر حوالي (55.000) مغربي استغلهم بعد ذلك كرأس حربة لجيشه. ولقد تمكّنوا من تحقيق الكثير من الانتصارات، لكن يا للقدر! لقد راحوا يهاجمون فلاحين في قرى صغيرة. إنهم كانوا واثقين من النصر؛ إذ شجعهم فرانكو على إباحة كل ما يريدون: بدءًا من إحراق القرى، ونهبها واغتصاب النساء. لقد كانت لهم مطلق الحرية في فعل ما يشاؤون. وفعلًا نفّذوا ذلك بمنتهى السرور حيث قتلوا رجال الدّين، والراهبات، وأحرقوا الكنائس، والقرى، وخربوا كل ما اعترضهم في طريقهم، لأنهم كانوا يحبّون ذلك». (ص14/13/12).

بولز: ها هو يستبدل الاعتماد على السماع أو ثقافة القيل والقال بثقافة الأفلام الوثائقية. وهذه تبقى تجزيئية لأنها لا تعوِّض نصوص الكاتب. فمضمونها يخضع لرغبات منتجها وجمهوره وخضوعه لحيثيات الإنتاج..

لو أن صاحبنا تكلم عن خبرة، كان سيعلم أن هذا المقطع ورد في كتابي «لحظات في الزمن»، (1982)، المترجَم إلى اللغة

الفرنسية سنة (1986) والذي استخلصت مادته من عدة قرون من تاريخ المغرب. بل لقد ذكرت، في نهاية هذا الكتاب، مصادري البيبليوغرافية. لم أختلق أي شيء في هذا الكتاب حيث قدمت، فقط، خلاصات لقراءاتي في تاريخ المغرب. إذن يتعلّق الأمر حقيقة بأحداث تاريخية، لا تربطني بها، أو بكتاباتي علاقة عاطفية أو غير عاطفية. لكن هل ما يزال صاحبنا قادرًا على التمييز بين إنتاجي الخاص وما ليس كذلك؟ لكن صاحبنا باعتباره جاهلًا (حاشاك، ضاحكًا) بمضمون كتاباتي لأنه لم يقرأها، فهو يعتمد على جهله لكي يؤكد أنني أقدّم صورة سلبية وخاطئة عن المغرب (ضحك)، بينما، هذا الكتاب، نشيد لهذا البلد ولساكنته. يمكنك أن توضح فكرتي في هذا الباب لأنك تعرف لِمَ ألّفت هذا الكتاب[1]..

---

(1) «كتابة هذا الكتاب كانت نتيجة قراءاتي لكتب تتناول تاريخ المغرب. وهي الكتب التي وجدتها مهمة جدًا.. في تلك الفترة، من حياتي، كنت أريد أن أعمل بأي ثمن، وكانت جين، زوجتي، ماتت للتو. كنت أريد أن أشتغل، وكانت مادة هذا الكتاب جاهزة تقريبًا. كنت أدوّن مادة كل الكتب التي أقرأها وموضوعها تاريخ المغرب، طيلة فترة تخلّلت مرض جين. وقد فكرت طويلًا في الطريقة التي يجب أن أعالج بها هذه المادة التي جمعتها خلال فترة طويلة..
لقد خصّصت هذا الكتاب للحظات من تاريخ المغرب.. لما طلب مني الناشر وصف موضوع هذا الكتاب قلت له: «إنه تاريخ غنائي للمغرب»، وذلك لأن لحظات التاريخ هذه تمّ اختيارها وفق هواي. إن الكتاب لا يسلك لا المنحى التاريخي ولا الأكاديمي. إن النصوص التي تحتضنها دفتا الكتاب هي أغانٍ كتبتها انطلاقًا من التاريخ. والأحداث التاريخية المروية، في الكتاب، حقيقية وليست خيالية. إنها أحداث من تاريخ المغرب لكنها صيغت بشكل تخييلي. وتلك طريقة فرضت نفسها عليّ لأننا لا يمكن أن نحصل على الحوارات الحقيقية التي دارت بين =

## الشعر..الشعر

شكري: «غير أن پول لم يكن قادرًا على أن يتحدّى كل من أنكر عليه مواهبه الباكرة. لقد وصل إلى باريس في العاشر من أبريل/ نيسان العام (1931). وزار جرترود شتاين المهيمنة، والوصية على المبدعين المغتربين الأميركيين كما صار هو فيما بعد في المغرب عندما أصبح مثل «أبي الهول». ذات مساء أطلعها پول على قصائده الشعرية التي قلّد فيها السرياليين. وبعدما قرأ عليها، بحذر، أبياته، نطقت هي بحكمها: «طيب، المشكلة الأساسية هي أن كل هذا ليس شعرًا».

إن غرترود شتاين أنكرت عليه موهبته الشعرية وتنبّأت بفشلها، لكنه استمر هو في كتابة الشعر بعناد. لكن شعره كان تلخيصًا لنفس المواضيع التي سترد في رواياته وبعض قصصه. أما نثره فظلّ عاديًّا لم يطوره بالتنقيح الذي لا يوليه كبير أهمية حتى يُشَعْرِنَه poétiser تعويضًا عمّا فاته في الشعر السامي.

= الفاعلين الحقيقيين، لأن الأحداث مرّت عليها قرون من الزمان. لذلك وجب اللجوء إلى الأسلوب التخييلي، لكن الأحداث التاريخية حقيقية..
إني اعتبر هذا الكتاب أو بالأحرى فصوله عقد لؤلؤ أضعه في عنق المغرب..
والكتاب لا يزعم أنه تمثيلي أي إنه يتناول كل مراحل تاريخ المغرب. فهناك قرون أو مراحل لم تدرج ضمن الكتاب ذلك أنني لم أفكر في كتاب يحترم كرونولوجيا تاريخ المغرب.. إنه يتعرض لمراحل أو لحظات من تاريخ المغرب تنطلق من العصور القديمة حتى العصر الحاضر.. » [من كتابنا: **مع پول بولز في طنجة**: سيرة حياة وإبداع، مخطوط].

بالنسبة لپول كان أكثر أهمية له أن يكون شاعرًا من أن يكون معتبرًا شاعرًا. لكن هذا الطموح أفلت منه ولم يحقّقه أبدًا وإن ظلّ يحلم به حتى الآن وهو في بداية السادسة والثمانين من عمره. لقد ظلّ مسكونًا بهاجس كتابة قصيدة بين فترة وأخرى إلى حدود السبعينيات. إنه يريد أن يتجذّر في الشعر ولو أنه خاسر فيه». (ص161/162).

بولز: يبدو السيد شكري شديد العناية بنفي صفة الشاعر أو كتابة الشعر عني. لاحظ كم مرّة ظلّ يردّد هذه الفكرة وأعزو الأمر إلى أن هذه الفكرة (كما الرغبة في قتل السيد بولز، معنويًا أقصد) تحتل الصدارة في مشروع شكري على المدى القصير. أما على المدى الطويل، فقد أرى السيد شكري يومًا يهدّدني، في بيتي، وهو يحمل سكينًا، يأمرني بحمل حقائبي الكثيرة ومغادرة المغرب، حتى يستمتع بوجوده دون منغِّص.. ولا شكّ أنني سأرفض مغادرة المغرب، لأنني أحب هذا البلد وأهله.. فهل سيجرؤ السيد شكري على تصفيتي، عن كثب، بكاتم صوت، يكون اقتناه من إسبانيا خلال زيارته لها مؤخَّرًا حيث صرّح أنه يكتب بلغة غريبة عنه، وهي العربية، لأن الإسبان جعلوه يكتشف أنه ينتمي إلى أقلية! فسايرهم.. لأن ذلك الأمر يحقّق دعمًا إعلاميًا، ويجعل الغرب يتبناك.. على أي هذا أمر آخر جرّتني إليه شيخوختي! (ضحك).

قلت يبدو أن السيد شكري شديد العناية بنفي صفة الشاعر وكتابة الشعر عني. أخبره أنني لا أتمسك بهذه التجربة كما لا

أتمسك بتلك المرحلة من حياتي التي شرعت أكتب فيها شعرًا. ولعل السيد شكري، كالعادة، لما خانته المعرفة، لجأ إلى الخيال والاختلاق. فهو عندما يقول: «بالنسبة لپول كان أكثر أهمية له أن يكون شاعرًا من أن يكون معتبرًا شاعرًا. لكن هذا الطموح أفلت منه ولم يحقّقه أبدًا وإن ظلّ يحلم به حتى الآن وهو في بداية السادسة والثمانين من عمره..» أنت تعلم أني لم أنظر أبدًا إلى تجربتي الشعرية باحترام. وإن كان النقاد والناشرون ينظرون إليها باحترام وتقدير.. ثم كيف للسيد شكري أن يعرف أنني لم أحقّق حلم أن أكون شاعرًا وأنني ما زلت أحلم بتحقّيقه حتى الآن وأنا في بداية السادسة والثمانين من عمري؟ هذا يشبه قراءته للكف أو تنبؤه بالورق لما قال عن جين إن الحلم غادرها؟ ونحن نعلم أن الحلم هو ما يميّز الإنسان عن الحيوان؟.. ألم تنشر دار النشر ديواني بالرغم من رفضي لذلك، لأنها تلقّت طلبات بهذا الصدد؟ فأي دار نشر تغامر بنشر كتاب وتعرف مسبقًا أنه لن يجد قارئًا في السوق؟ والعبرة، كما يقال، بعدد القراء. فليتأكد السيد شكري من عدد النسخ التي طبعت من ديواني؟ ثم لماذا رفضت إعادة نشر شعري، لأنني لا أعتبر نفسي شاعرًا. (فليطمئن السيد شكري. كلامي هذا يخلو من كل تواضع مزيف..) فكيف بي أظلّ أحلم أن أكون شاعرًا، حسب لا شعور السيد شكري؟ آه، لو يجيب..

أذكر أنك قلت يومًا، وكتبت ذلك أيضًا، أن كتابتي للشعر تدخل ضمن ممارستي لبعض الأجناس الأدبية (كتابة السيرة

الذاتية منذ بلوغي السبع سنوات، الرواية البوليسية في نفس الفترة العمرية تقريبًا.. وهذه الكتابات ما تزال موجودة كوثائق بمكتبة إحدى الجامعات الأميركية بالولايات)، كما تدخل ضمن خلق عالم خاص في إطار ابتكار ميكانيزمات الدفاع عن النفس: طفل يعيش نوعًا من العزلة، وحيد والديه مما يدفع بهما إلى شدة العناية به لدرجة حرمانه من نعمة امتلاك كون خاص، وهو الذي سأسعى لامتلاكه عبر الكتابة التخييلية.. لن يعرف حقيقة الرغبة في امتلاك كون خاص إلَّا من أحسّ بحرمانه منه أو من أحسّ بقوة أنه موضوع عناية شديدة لدرجة تهديد كونه الخاص... ثم هناك ذلك الأب الذي قلت عنه أنت، «أب خارج من نصوص مغاربية» (ضحك)، وأم تعنى بك أكثر مما يلزم حتى لتريد دمجك في عالمها بشكل مطلق.. ماذا يبقى أمامك؟ التمسك، تلقائيًّا، بذاتك، بأشيائك، بعالم تبتكره أنت، لا يشاركك فيه أحد، لا يقاسمك أسراره أي آدمي.. وأنا لم أكتفِ بخلق عالم بل كون خاص..

وقد قلت على الدوام إني استسهلت كتابة الشعر، لكن ذلك لا يعني أنني أحتقر تلك الممارسة. ثم إن الشعر لمع. ويبدو لي أن كتابته تفترض عدم الرجوع إلى القصيدة قصد تنقيحها، كما يحدث في الكتابة النثرية. الشعر عالم باطني. لغة الحواس والمشاعر والتجارب التي تستعصي على الوصف وعلى الإمساك بها.. الشعر أكثر ارتباطًا بالذات منه بالعالم الخارجي.. ولو أن قراءتي لآرثر فالي أغرتني بالاعتقاد أن

الشعر أغراض، وأنه كتابة تتناول العالم المحيط بنا، وأن العالم أفكار يمكن التعبير عنها بالكلمات..

الشعر كون خاص. لغة خاصة، عمادها الإيجاز. وهو أول قانون شعري. وهو قانون أخضعت له شعري. ولعل ذلك ما جعل المجلات الأميركية والأوروبية تُقبل على نشر شعري، بالرغم من أن عمري لم يكن يتجاوز العقد ونصف العقد.. ولعل كتابتي للشعر باعتماد الكتابة الآلية مردّه للحرية التي تمنحها لك هذه الكتابة.. ثم انخرطتُ في التجربة السوريالية، وهي تجربة أغنت الشعر عامة، والشعر الفرنسي على وجه الخصوص..

قلت إن الشعر لغة خاصة، لغة الأعماق والعالم الباطني، لكني سأكتشف أن بعض شعري أصبح صدى لبعض قضايا العالم، وأنت تعلم أن ليس لي قضية أدافع عنها، كما أنني لا أرى أن هناك لزومًا لتعرية نفسي.. في هذه الفترة بالذات التي شرعت تنتابني هذه الأفكار المتعلقة بالشعر، رحلت إلى باريس والتقيت غيرترود شتاين، طلبت مني أن أعرض عليها شعري، ولما قرأته قالت لي:

- «ما كتبته ليس شعرًا.

تساءلت مندهشًا:

- وما هو إذن؟

- لست أدري. فأنت الذي كتبته وأنت أعلم به وبما هو..

بعد أيام، وكنا جالسين في الحديقة، فاجأتني غيرترود بقولها:

- وما مصير تلك الأشعار التي أطلعتني عليها خلال الأسبوع الماضي؟ هل عدت إليها؟

أجبت بالنفي. بدت مبتهجة بالنصر. قالت:

- أرأيت؟ لقد قلت لك بأنك لم تكن شاعرًا. فبعد حديث مثل حديثنا، يعود الشاعر الحقيقي إلى شعره.. ويحاول إعادة صياغته..».

طبعًا، لم يقنعني رأيها ولا منطقها. ما الدافع إلى العودة إلى تنقيح نصوص سبق نشرها؟ لقد نُشرت لأن صاحبها مقتنع بها، ولأنه انتهى منها إلى الأبد.. طبعًا، لم يقنعني رأيها ولا منطقها.. لكن ما الذي يجب فعله؟ من يستطيع أن يقنع غيرترود برأيه؟ من يستطيع أن يواجهها؟ هل أفلح في ذلك الكبار قبلي؟

قالت رأيها. وتمسكت برأيي، ولم أناقشها في قناعاتها..

قد تكون اقتنعت أنها أقنعتني...

## شخصيات أعمال بولز

شكري: «في قصة «بعد منتصف النهار» تقول السيدة كالندر Callender للسيد ڤان سيكلن Van Siclen بصوت متعب عن ابنتها: «لو أنك تعرف أخطار تربية فتاة في هذا المكان مع هؤلاء المغاربة حولنا، وناس جدد غير معروفين يصلون إلى البنسيون كل يوم. إننا، طبعًا، نحاول الحصول على مغاربة طيبين، لكن أنت تعرف

كيف هم: إنهم ليسوا أهلًا للثقة على الإطلاق، كلهم مجانين مثل الماعز. لا أحد يعرف ماذا يدور في عقل أي واحد منهم في أية لحظة. نشكر الله على أننا نستطيع أن نسمح لأنفسنا بإرسال شارلوت إلى الكوليج في إنجلترا».

إن المغاربة، في نظرها، همج، لكن شمسهم وطبيعتهم الخلابة تجد فيها منتهى سعادتها». (ص15/14).

بولز: في البداية، أقول إن «مدام كالندر» سيدة متزمتة. ثم إن المقطع الذي يستشهد به صاحبنا لا يوجد في هذه القصة، وحتى لو كان يوجد في القصة فلا علاقة له بي. صاحبنا يطابق بيني وبين السيدة «كالندر»!! إنه يعتقد أن كل أبطال كتبي هم أنا. فهل هو ما يزال يتمتع بعقل سليم وببعض التصرف المنطقي مع نفسه؟

إذا كان يرفض أو لا يقبل أن أقدّم، في قصصي القصيرة أو رواياتي شخوصًا أجنبية، أي غير مغربية، عنيفة وتنتقد المغاربة، فإنني، على العكس من ذلك، أرى أن هذه الخاصية تمثّل نقطة قوة إيجابية في أدبي. لماذا؟ أوه، لقد وجب عليَّ أن أكتب مثل هذه الأشياء لأنني كنت أريد أن أصوّر المغرب كما كان تحت الاحتلال. هل يجب أن أكرّر أنني كاتب واقعي، وأنني تمكّنت من التواجد في أماكن عدة لم يكن بإمكان مغاربة كثر، أو أي مغربي، أن يوجد بها، وهذا ما مكّنني من معرفة أشياء كثيرة عن واقع الاستعمار في المغرب. لكنني قدمت ما رأيته أو سمعته بطريقة واقعية (في قصصي أو رواياتي) وليس بطريقة تروّج لدعوة ما. لكن السيد شكري يرى في هذه الطريقة،

أي تقديم الاستعماريين المتزمتين الذين ينتقدون المغاربة، يرى في ذلك صنيعًا سلبيًا. إنه لا يملّ من رؤية نقيض ما هو كائن، نقيض الواقع، والحقيقة.. يبدو لي أنه يريدني أن أقول: «كل الفرنسيين، كل الأجانب، في المغرب، كانوا ملائكة»، فهذا ما يرغب فيه! أو هذا ما يطلبه لا شعوره!

**شكري:** «لكن السيدة لايل، في «السماء الواقية» هي أفظع وأكثر غباء من السيدة كالندر عندما تخاطب پورط: «يقولون إن هنا في الجبال من المستحسن حمل سلاح. وإنه ينبغي لي القول أنني ما رأيت أبدًا عربيًا يعرف استعماله. إن الذين يجب الاحتراس منهم هم الفرنسيون الوحشيون..» (ص 15/14).

**بولز:** لست أدري لِمَ يستشهد صاحبنا برواية «السماء الواقية» (1947)، «شاي في الصحراء»، في الترجمة الفرنسية، (1952) لأن القارئ النبيه يعلم أن هذه الرواية لا تقدّم أي ملمح عن المغرب، ولا علاقة لها بالمغرب. إن فضاءها هو الجزائر، والعديد من شخوصها جزائريون.

**شكري:** «وفي روايته «دعه يسقط» Let It Come Down يقول: «من مفاتن المنطقة الدولية (طنجة) كان يمكن الحصول على أي شيء ما دام يُستطاع أداء ثمنه وأن يفعل أي شيء: فكل شيء كان قابلًا للرشوة. كانت قضية الثمن» (ص11).

في «السماء الواقية»، يقرّر بولز، بلغة صحافية، على لسان المستر ريتشارد هولاند موجّهًا كلامه إلى ديار نلسن: «في نيويورك هناك رجال الأموال المحتالون، هنا (طنجة) الصرافون.

نيويورك لها نصابون، طنجة المهربون. كل الدول هي مجتمعة وليس هناك كبرياء مدني Civico (وطني أو قومي). والجميع مستعدون أن يمتصوا دم الغير. إنها حقًّا ليست مقارنة متينة. أليس كذلك»؟» (ص39/40).

بولز: لا يجب كذلك أن يخلط بيني وبين شخصية ـ اختلقتها ـ وهي السيد هولاند في رواية «دعه يسقط» (1952) «من بعدك الطوفان» (1955)، (عنوان الترجمة الفرنسية) هذا بالرغم من أنني نسبت بعض أفكاري إلى هذا السيد، وذلك بالرغم من أنني كنت أفكر في ذلك وأنا أصف أو أصوّر هذه الشخصية. وقد قطف شكري هذه الفكرة من كتاب روبير بريات دون الإشارة إلى ذلك، طبعًا.. السيد هولاند ليس پول بولز. لا يمكن الحكم على علاقتي بطنجة من خلال هذا المقطع المشار إليه أعلاه. مرّة أخرى نخلط بين التخييل والواقع. لا يجب أن نمزج بينهما ولا يجب أن نفعل ذلك.

ثم لاحظ أن صاحبنا ينسب نفس الصوت [صوت ديار]، نفس الشخصية إلى روايتين مختلفتين الأولى هي «السماء الواقية» والثانية هي «دعه يسقط».. أترك له التعليق على ذلك..

شكري: «لكن بولز يعتبر نفسه دائمًا منفيًّا أينما حلّ. ويكاد ينفي حتى مولده في نيويورك؛ فهو له كل أرض ولا أرض له» (ص16).

بولز: أما عندما يقول شكري إنني شخص لا يحبّ أن يعيش في انسجام مع الآخرين (ضحك) يمكن أن أقول إنني لا

أفهم ما معنى هذا الكلام، ولو أني أفهم الطابع المجاني للاتهام.

**شكري**: «ولا يقول عنها [السيدة كالندر] خبثًا حينما يقول تانر Tunner لبورط Port عن هؤلاء الخدم: طيب، سننادي على أحد هؤلاء القرود macacos لكي يبدّل الغرفة (تبديل غرفته مع كيط حتى تكون غرفتها مجاورة لبورط)». (ص15).

**بولز**: لكن مقارنتي بشخصية روايتي «السماء الواقية» تانر الذي «يبدل غرفته مع كيط حتى تكون غرفتها مجاورة لبورط» يبقى أمرًا يصعب إدراكه أو فهمه بالنسبة إليّ. ما الذي يقصده شكري بقوله هذا؟ إذا نام تانر مع كيت فليس لأنه يرغب في أن يكون بينها وبين بورط، زوجها، بل لأنه أراد أن ينام معها. فهو ليس معكر صفو اللقاءات الخاصة. أبدًا. هل قرأ شكري الرواية أم اكتفى بمشاهدة فيلم بيرتولوتشي، الذي هو فيلم بيرتولوتشي. يجب أن أضيف أنني منذ شاهدت فيلم بيرتولوتشي لم أعد أكّن له أي احترام.. لما بلغ فريق التصوير النيجر شرع الإخفاق يمسك بتلابيب القصة/الفيلم. لم تعد هناك حجة أو مبرر موضوعي للسفر [كتيمة رئيسية] في الفيلم. انتهى كل شيء. كان بإمكانه أن يحترم، في حدود معقولة، الرواية التي يقيم عليها فيلمه. لا أعتقد أن لذلك علاقة بقراءة خاصة للمخرج، كما تذهب أنت إلى ذلك.. كان الزوجان بعيدين عن كل مظاهر الحياة الغربية، ومات الزوج، ودخلت الزوجة المستشفى، ثم جاءت، ذات يوم سيدة مبعوثة من السفارة. أية سفارة؟ ليست

سفارة أميركا بالنيجر. وجاءت السيدة فرحة جدًّا، أنيقة جدًّا. من أين جاءت؟ بالطبع، هي جاءت من الجزائر العاصمة. والجزائر بعيدة جدًّا عن النيجر.. ثم قيل إنها سافرت رفقة الزوجة إلى طنجة بينما الرواية تشير إلى مدينة وهران. كل هذه الأحداث غير واردة في الرواية.. وعرضها بهذا الشكل، يئد عنصر الانسجام الواجب احترامه في مجال الفن. هذا خطأ جسيم. ثم هناك أخطاء أخرى، أذكر منها، هذا الآخر. في النيجر، في بيت رجل مسلم، نرى الرجل يمارس الجنس، مع المرأة، بلسانه. هذه الممارسات لا علاقة لها بإفريقيا. هذه انحرافات غربية أو أميركية، لا معنى لها في إفريقيا. ثم إن الطفل، الذي ظلّ يراقبهما، شرع يقلّد ما رآه. هذا فعل رديء، ومشهد كاذب.. يناقض الأخلاق الإفريقية.. ثم هناك ذلك المشهد الذي يتبادل فيه البطل والبطلة الهوى في العراء بالصحراء.. وهو مشهد غير وارد في الرواية ومشهد لا يحترم أنثروبولوجيا المكان، ولا يحترم رؤيا الكاتب..

## طلبتي بالمدرسة الأميركية بطنجة

شكري: «كانت المدرسة الأميركية تستقدم كل صيف فوجًا من الطلبة الذين يحاولون الكتابة الأدبية فيصحّح لهم پول بولز نصوصهم. لكن لا أحد منهم كان موهوبًا. لقد خاب أمله فيهم. ما عدا واحد. ومن هو هذا الواحد؟ لقد كانوا يبحثون عن الثراء من خلال الكتابة. لكنهم لم يكونوا يعرفون جيدًا حتى القواعد النحوية». (ص20/19).

بولز: أنت تعلم جيدًا أنني كنت أعطي دروسًا في التخييل للطلبة الأميركيين. كانوا يأتون خلال فصل الصيف إلى «المدرسة الأميركية بطنجة» لدراسة التخييل. بالطبع لم يكونوا جميعًا عباقرة، لكن كان من بينهم عدد من الموهوبين. الأول، أنت تعرفه منذ سنوات، إنه رودريغو راي روصا. إنه موهوب جدًّا. بالطبع، شكري لم يقرأ له أي نصّ، ولا يعرف أعماله... فهل يحقّ له أن يحكم عليه ويقول عنه إنه غير موهوب!؟ لكن هل يعرف شكري، دائمًا، عما يتحدَّث؟

كان هناك أيضًا هذا: تود كريمسون...

(بول يصوّب سبابته نحو رواية لكريمسون كان توصل بها في وقت سابق) يتعلّق الأمر بنصّه Brand New Cherry Favor, Harper prism, November 1996. كان الكتاب مطروحًا بين الفراش، الذي كان بول ممدّدًا عليه، والطيفور الواقع على يمينه، على مقربة منه. يضع بول كل جديد يتوصل به، هناك، حتى يبقى في متناول يده ليقدّمه إلى أصدقائه حينما يحدثهم عن ذلك.. في هذا المكان يمكن أن نعثر، دائمًا، على آخر الرسائل التي توصل بها بول وآخر الكتب التي يتوصل بها يوميًّا من جهات العالم الأربع. يبعثها إليه أصدقاؤه، معارفه وكتّاب لا يعرفهم أحيانًا..).

... كريمسون كان أيضًا أحد طلبتي هنا، في طنجة. كان كتب رواية أخرى عنوانها «Stainless» (بدون كم). أتصفّح الرواية، كانت توجد إلى جانب الأولى، وتحمل هذا العنوان

الفرعي «رواية الثأر والنجاح بالتسلسل» رفعت بصري نحو پول، بعد أن تصفّحت الكتاب، فتابع حديثه: الرواية تشبه فيلمًا غريبًا: كيف يعيش الناس الآن في هوليوود، أصناف المخدرات التي يتناولونها، الأكل الذي يتناولونه. إنه مليء بكثير من الأشياء التي لا أعرف عنها أي شيء، لأنني لم أذهب إلى هوليوود منذ عدة عقود. إن هوليوود، كما تصوّرها الرواية، عالم خاص، طبعًا. ونحن نقرأ الرواية ينتابنا الشعور أننا نقرأ كتابًا عن كون غرائبي عن الهند أو اليابان؛ بلد غرائبي تمامًا. بالنسبة إليَّ، يتعلّق الأمر برواية غرائبية جدًّا. وكريمسون كاتب موهوب جدًّا.

كانت هناك أيضًا طالبة لم أكن أحبّها تمامًا، عندما كانت هنا، لأنها كانت لا تُحتمل، حقيقة. كانت تتحدّث كثيرًا دون أن تتوقف عن انتقاد الطلبة الآخرين. كانت جميلة جدًّا، أجمل من كل الطالبات الأخريات، يجب أن نعطي للقيصر ما للقيصر!، وكانت تعرف ذلك، جيدًا، طبعًا! لم تكن تتردّد في الإشارة إلى ذلك فيما تكتبه: أنا، أنا، أنا.. اسمها ماريان ويكنز. كتبت رواية ونشرتها. بعد أن غادرت قسمي أصبحت السيدة سلمان رشدي. لقد كتبت لي رسالة تطلعني على الخبر.. روايتها لاقت نجاحًا. بل نجاحًا كبيرًا. ثم طلّقت زوجها المسكين ـ الذي كتب ذلك الكتاب الذي أثار كثيرًا من الخلاف حوله ـ لأن الشرطة كانت حاضرة باستمرار في البيت. وهي لم تكن ترد الشرطة في بيتها. طلبت الطلاق، ومنحه لها المحامون بسهولة.

أودّ أن أشير إلى أنني لم أقرأ رواية هذه السيدة لأنها لم تكن تهمني إطلاقًا.

بعد أسابيع. زوال ذات يوم أحد.. قلت لپول:

- في المرّة الأخيرة التي تحدثنا فيها عن طلبتك «بالمدرسة الأميركية» نسيت الإشارة إلى أحدهم أصبح كاتبًا شهيرًا. كان أهداك المجلد الذي يضمّ بين دفتيه مجمل قصص تنيسي وليامز القصيرة.

- صحيح! إن جويل ريضوم، أيضًا، كان من طلبتي هنا في المدرسة الأميركية بطنجة. فقد نشر، هو أيضًا، رواية عنوانها Blood Stream قرأتها، لكنها لم تثر مشاعري. أعتقد أن ريضوم من خلال روايته هذه ومن خلال تجربتي لا موهبة له. لم أذكره في المرّة السابقة لأنني نسيته أو لأن لا شعوري تدخّل وكان محقًّا. لقد نشر رواية ثانية، لم أقرأها. لكنني أعرف أنه أعطى نسخة إلى إدوار روديتي (مات سنة 1992) الذي كان أخبرني أن الرواية لا قيمة لها. كان أبلغني رأيه هذا في رسالة.

## توقف دروس التخييل بالمدرسة الأميركية

شكري: «ظلّ بولز سنوات يمارس معهم هذه المهمة حتى أعجزه المرض (أجريت لهِ عمليتان حتى الآن على عرق النسا La ciatica وأتعبته شيخوخته الكئيبة. لكن يبقى بولز، في كتاباته، أقل صوفية، وعمقًا، من هرمان هيس الذي كان له

أيضًا تأثير كبير على الهيبيين؛ (خاصة من خلال عمليه: «ذئب البوادي» في جانبه التشاؤمي، و«سيدهارتا» في جانبه التفاؤلي) لأنه كان أقل انبهارًا بالغرائبي والافتتاني. وكذلك لم يكن في حاجة إلى تناول «المعجون» مثل پول بولز ليستوحي المخيلة المشتهاة كيما يصف ضياع وموت بطله پورط في «السماء الواقية» «The Sheltering Sky» وديار نيلسن بطل «دعه يسقط» يدق مسمارًا بكل قواه في أذن صديقه التهامي ليتخلص منه خوفًا من أن يستولي له على ماله». (ص20).

**بولز**: في البداية، أشير إلى أن ليس المرض هو الذي أعجزني عن تدريس التخييل لطلبة المدرسة الأميركية صيفًا بل هي الأحداث التي شهدها المغرب، وخاصة طنجة، سنة (1984). على إثر تلك الأحداث كتبت بعض الصحف الأميركية، اليهودية خاصة، مقالات مبالغ فيها، عما حدث بالمغرب. وقد كتبت عدة رسائل لأصدقاء أكذّب فيها ما كتبته تلك الجرائد. فأنت تعلم أني كنت أكسب أجرًا لا بأس به مقابل تدريسي ذلك، وكان يجب أن أدافع عن الحقيقة.. وكنت أرغب في الاستمرار في تدريس التخييل لعل بعض طلبتي يصبحون كتّابًا.. وكنت أفيد معنويًا من أولئك الطلبة: كيف يفكر الشباب في الولايات المتحدة، وفي بلدان أخرى..

**ثانيًا**: لا علاقة لي بتناول «المعجون»، من أجل الكتابة، فالكتابة جهد واعٍ لا يعتمد على تناول المنشطات (ضحك) لتنشيط الذاكرة أو الدماغ. طبعًا، سبق لي أن تناولت المعجون،

لكن ذلك حدث مرّة واحدة على سبيل الفضول.. أضيف أنني تناولت ملعقة أو ملعقتين، مرّة أو مرّتين، بمناسبة تناول صديق (أو أكثر) للمعجون، حين زيارته لطنجة، احتفاءً به.. وقد تناولت المعجون للمرّة الأولى لما تعذّر عليَّ وصف معاناة شخصية روايتي الأولى «السماء الواقية»، پورط، لأنها كانت تحت وطأة الحمى الناجمة عن ضربة شمس، ووجب عليَّ التخلّص منها بقتلها.. بينما ظللت أتناول بعض الكيف، أحيانًا، لأن فضيلته، إن كانت له من فضيلة، تكمن في كونه يساعد كثيرًا على الكتابة لأنه يهدئ الأعصاب. ذلك أنه يساعدني على الاستمرار في الكتابة لفترة طويلة. وهو يحول دون التوقف عن الكتابة والنهوض للقيام بنزهة..

**ثالثًا**: لست بعيدًا عن الافتتان بالعمق الصوفي. وأنت قد لاحظت ذلك من خلال الحضور القوي لفضاء الصحراء في نصوصي، والبعد التأملي، والفراغ الروحي.. أما عن تجلّي هذا الأمر في نصوصي ونصوص هرمان هيسه فأمر متروك لمتخصّص.. لا للسيد شكري، لأنه خصم وحكم، ولأنه لا يقرأ..

**رابعًا**: قد أزعم أن آلاف الهيبيين زاروا طنجة والمغرب ليروا أو يلتقوا پول بولز. طبعًا لم أكن مفتتنًا بهذا التيار، ولكني كنت أرى فيه نتيجة منطقية لمجتمع يُتقِن فن كبتِ الحريات.. قد أكون تعاطفت معهم لأنهم يبحثون عن حرية مفقودة، بسبل غير منطقية قد تكون سريالية.. كثير من الهيبيين قالوا لي، بل اعتبروني أبًا (وأنا لم أرزق بأبناء (ضحك)).. قد أضحكوني

مرّة، وأقلقوني مرات.. وقد ساعدني المرابط على التخلّص من ظلم بعضهم أو اعتداء بعضهم الآخر.. أعتقد أني ألتقي معهم في رفض المجتمع الاستهلاكي، ورفض كآبته، والهروب من بين براثنه، والبحث عن رحابة المكان، وطيبة الإنسان..

## في الخوف

شكري: «لكن السؤال الذي أطرحه على پول بولز هو هل انتصر وحقّق حلم المبدعين الأميركيين الحجاج إلى العواصم الثقافية: باريس، برلين، روما وطنجة، في زمن مجيئه إليها؟ ثم أهو حقّق، أيضًا حلمه معزولًا عن أحلام الآخرين الذين سبقهم إلى مغامرة السفر عندما يقول: «مثل أي رومانسي، كنت دائمًا مقتنعًا، في غموض، أنه ذات يوم سأجدني في مكان ساحر يكشف لي عن أسراره، ويهب لي الحكمة والنشوة، وربما الموت»!؟». (ص20/21).

بولز: طبعًا حقّقت حلمي بمجيئي إلى طنجة وإقامتي بها، كما ذهب آخرون للإقامة بعواصم ثقافية أوروبية أخرى. فالسفر، ومعرفة الناس والتواصل معهم.. والمغرب وطنجة كل ذلك ساعدني على تحقيق هذا الحلم الذي تحدّثت عنه في سيرتي الذاتية «بدون توقف»..

شكري: «پول بولز يحب أن يشعر بالخوف، لكنه لا يعرف لماذا! في اعتقاده أن الخوف «هو الذي يدير العالم، هو الانفعال الأقوى، الأكثر قوة من الحب، لأن الحب لا يحرك

العالم؟ إنه ينتج النوع: فهو ليس مهمًّا مثل الخوف الذي يتصدر. الخوف من أن نفارق الحياة لأنه معلوم أن كل واحد منّا يريد الاستمرار في العيش. وكل ما هو خارج يهدّدك؛ لأنه إذا أنت لم تكن خائفًا فإنك لن تتنفس». وطبعًا فإن هذه الفكرة تأثّر بها من كتاب «تدهور الحضارة الغربية» لـ:أسوالد اشبنغلر الذي كان معجبًا به». (ص24).

بولز: يقول صاحبنا إنني أحب أن أشعر بالخوف، وهكذا يقدّم البرهان مرّة أخرى على أنه لا يعرف لا نصوصي ولا حياتي. والفكرة التي ينقلها ليست صحيحة، ولكنها مبلغ اعتقاده فيما أظن. لقد قلت وكتبت أيضًا أن الخوف هو الذي يحرّك العالم ويديره. ثم إنني لم آخذ هذه الفكرة عن كتاب أوسفالد سبنكلر «أفول الغرب» الذي لا أكّن له أي إعجاب.

ولاحظ هذا اليقين الأعمى الزائف: «وطبعًا فإن هذه الفكرة تأثّر بها من كتاب «تدهور الحضارة الغربية» لأسوالد اشبنغلر الذي كان معجبًا به!!!!

يبدو لي أن السيد شكري يحاول أن يقنع القارئ غير العليم، وغير النبيه بأنه (شكري) رجل مثقف. ومن ثم هذه الاستشهادات العديدة من بعض الكتّاب والتي لا علاقة لها بالسياق، وغالبًا، ما تكون غير وظيفية ولا تفيد الموضوع في شيء. أعلم جيدًا أن السيد شكري يعاني من تلك اللعنة التي وسمه بها إلى الأبد، ذات يوم، الطاهر بن جلون. كان الطاهر بن جلون قال عنه «إنه أُميّ» وذلك يوم صدور «الخبز الحافي»

في طبعته الإنجليزية سنة (1973). أذكر جيدًا أن شكري قال لي في ذلك الوقت إنه كتب، باللغة العربية، مقالة ضد ابن جلون.

لا يهمني أن شكري يريد أن يقدّم الدليل على أنه مثقف، لكن، على الأقل، فليسلك طريقًا آخر ولا يستخدم اسمي.

## قدر الموت

يؤكد صاحبنا على أنني أخشى الموت. هذا ليس صحيحًا، بالطبع. ثم إن أي أحد يمكن أن يلاحظ أن هذا السيد يتناقض، ذلك أنه بالرجوع إلى «نصّه» نلاحظ أنه يستشهد بكلامي وأنا أجيب صحافيًا عربيًا طرح عليَّ هذا السؤال:

«سأل شاكر نوري پول بولز:

- هل تخاف الموت؟

- لا. إنني لا أخاف الموت». (ص21).

ألا نلاحظ في هذا القلب للجمل أن صاحبنا يريد أن يسيء للسيد بولز؟ (ضحك).

لاحظ هذا الاستشهاد الذي أورده مباشرة بعد أن أكّد أن پول بولز يخاف من الموت والذي نسبه إلى أبيقور: «پول بولز لم يستطع أن يجد حلًا للخوف من الموت كما وجده أبيقور: «ما دمت أعيش فلا خوف من الموت، وإذا مت فلن أحسّ بشيء» ألا يلاحظ أن لهذا التصرف صلة بالدجل؟ إن صاحبنا لا يقدّم أفكارًا أو يناقش قضايا بل يلوك الكلام ويراكمه، وسعيه

واضح، لا علاقة له بالأدب أو الفكر، وهو أن يتهم ويكذب لعله يستطيع أن يغوي بعض القرّاء..

ما قلته حقًا: ليس الموت هو الذي ينكّل بالعالم [الناس] بل هو الخوف، أي إن الخوف يحتل المكانة الأولى وإن الموت يأتي بعد ذلك. هذا كل ما في الأمر.

هنا يكمن المشكل الحقيقي: حينما يزعم أحد التحدث عنك، في حين أنه، في العمق، هو نفسه، لا يفهم ما تقوله: كيف يتسنّى له أن يقدّم عرضًا عنك، وعن أفكارك؟ عندما ننطلق انطلاقة سيئة أو متعثرة نسقط في بداية الطريق أو في منتصفه. ولن نصل أبدًا إلى الهدف.

إنه يحاول التعليق على فكرتي عن الخوف ويبدو لي أنه لم يفهم الفكرة التي يريد أن يعقب عليها لزعمه (فيما بعد) إنني أخاف الموت وإنني أخاف من الخوف! (ضحك). بالطبع، الانتحار يمكّن من التحرّر من الخوف، من الموت، أي التحرّر من الحياة إذا كان حملها يؤثر على شخص ما، ثم إننا عندما نموت فنحن نفارق الحياة.

وبالطبع، فإننا نتخلص/نتحرّر من شخص ما إذا كان وجوده يثقل كاهلنا بالافتراء عليه، بقصف رقبة كلامه، وأفكاره، بهدف التأثير في سمعته، لأننا لا يمكن أن نقصف رقبته.. (ضحك).

يبدو أن في الأمر ابتذالًا ذلك أن صاحبنا يرغب في أن أتحدث عن حدود الخوف، عندما يقول: «لكن بول فاته أن

الخوف لا حدود له». (ص25). اعتقد أنه سيضيع/سيتيه وسيخطئ، حينئذٍ، بشكل مضاعف. فليتحدَّث عن ذلك هو نفسه. لا أريد أن أتحدث عن هذه الحدود! فليتحدَّث عنها هو ذاته، فلا أرى في ذلك أي ضرر!؟

يبدو لي الأمر غريبًا بعض الشيء أن يستشهد السيد شكري، عندما يتحدَّث عن هذا الخوف، بكل هؤلاء: أبيقور، سيوران، سبنكلر... وكل هؤلاء لا علاقة لهم مع بولز... بالطبع، هو يذكر اسمي، بين الفينة والأخرى، سعيًا منه إلى إعطاء فكرة التناقض [الحاصل بين «فكري» و«فكرهم»!]، أو القيام بمقارنة بيني وبينهم! فماذا يثبت في نهاية المطاف: فشل «مقاربته». أين هو بولز ـ ما عدا ذكر اسمه ـ في هذا الخليط، (Salade niçoise) كما يقول المرابط في مثل هذه الحالة.

## الفن.. وجهة النظر

شكري: «وكذلك حيرته (بولز) تقنية فرانسيس بيكن في الرسم وأربكه «الغداء العاري» لوليام بروز». (ص 23).

بولز: ليس صحيحًا أن تقنية فرنسيس بيكن حيرتني. في الحقيقة، تقنيته ليست مدهشة، لكن مقاربته، وجهة نظره، طريقته في مقاربة الرسم هي التي أثارت شعوري.

إن القضية ليست قضية التقنية، بل هي قضية التوفر على وجهة نظر، جديدة، في الرسم. التقنية، بالضبط، ليس لها دور كبير تلعبه في عمل الفنان، بل الأسلوب، الطريقة التي يرسم بها

هي التي تتصدر. إذن تقنية فرنسيس بيكن لم تتركني حائرًا. بل إنه لأمر مثير للسخرية أن نقول ذلك! ما يتركني حائرًا، حقيقة، هو افتراءات الأستاذ شكري، وجهوده في تحويل الكذب إلى حقيقة!

وأخيرًا، إن شكري لا يعي ما يقول. لا يفكر قبل أن يقرأ. يجهل الموضوع الذي يتحدَّث عنه، وهكذا فهو يكتفي بالاختلاق.

أما فيما يخصّ «الغداء العاري» (1959)، فهذه الرواية أعجبتني كثيرًا، لكنها لم تتركني في حالة حيرة. الكتاب أعجبني كثيرًا بمضمونه. تقنيته ليست فريدة، فبإمكان أي أحد أن يكتب بالطريقة ذاتها، أي أن الكتاب يقدّم نفسه كرواية، إذن فهو يقدّم موضوعًا كأي رواية أخرى. لكن طريقة تقديم المشاهد تبقى، كما قلت أنت، غير منطقية إلى حدّ كبير. لا يتعلّق الأمر بتقنية Cut ـ Up (التقطيع) لأن بورووز لم يكن قد تبنّاها بعد، في ذلك الزمان: فكل مشهد تام وكامل [في حد ذاته]، بينما تستدعي تقنية التقطيع أن تظلّ المشاهد غير تامة والجمل غير كاملة. إن الأمر يتعلّق بتقنية أخرى، فيما أعتقد، لا تنسجم مع التخييل. لكن هذا الأمر استغرق وقت بورووز لفترة طويلة قبل أن يدرك ذلك. وقد تابع توظيف هذه التقنية في العديد من كتبه. لم تصبح تقنية التقطيع ممكنة التطبيق إلّا بعد اللقاء وخاصة الصداقة التي ربطت بين بورووز وبراين غيسن، لأن براين كان يدفع بيل نحو دروب جديدة، غير مطروقة وكان يدله على إمكانياته لكي يستغلها ويطوّر أدواته، فيسم إبداعه بالجدة والعمق..

## براين غيسن

يتضمّن حديث شكري عن براين غيسن كثيرًا من الزيف، ولمّا كان هذا الصديق قد مات أود أن أقول عنه كلمة تصحّح ما قد يعلق به من كذب شكري ولو أن براين، كان محظوظًا، ولم ينل منه شكري كثيرًا لأن اعتماد شكري مرجع السماع لم يفده في شيء..

لقد جاء براين غيسن إلى المغرب سنة (1950). أصبحنا صديقين. لقد سافرنا كثيرًا معًا. وفتح براين مطعم «ألف ليلة وليلة»، أمام القنصلية الإيطالية تمامًا، هنا في طنجة. بعد ثلاث سنوات، أغلق المطعم أبوابه، إذ أفلس براين. كان هناك أناس، أصدقاؤه، هم الذين ساعدوه على إقامة هذا المشروع. لقد أعطوه مبالغ مالية مهمة، لكنه خسر كل شيء. الجهة التي قدمت له المال كانت سيدة سويسرية وزوجها. كان الزوج والزوجة يدعيان ليشتنستايجر. كانت الزوجة تحب أن ترى براين، وتحب كثيرًا الذهاب إلى مطعمه، إلى حانته لكي تشرب. لو لم يكن هناك بار، لما ذهب الناس إلى ذلك المكان. كل الناس يحبّون أن يشربوا «إلّا يول» كما يقول أحدهم. كنت أذهب إلى هناك للاستماع إلى الموسيقى. كانت هناك مجموعة «جهجوكة» التي كانت تعزف، دائمًا، الموسيقى.

جاء براين إلى المغرب لأنه حصل على منحة من مؤسسة فولبرايت لكتابة كتاب موضوعه رق السود في إفريقيا الغربية. فمن هذه الجهة من العالم جاء العبيد الذين تمّ ترحيلهم إلى

أميركا. لقد كتب، براين، كتابًا عنوانه To Master A Long Goodnight.

كان براين رسامًا. لا أعتقد أنه كتب الشعر. كان رسامًا مهمًّا وكبيرًا، لم يتخلّ أبدًا عن الرسم. لقد رغب في أن يكون روائيًا، عندما انضمّ إلى بورووز، لذلك كتب قصصًا قصيرة، وروايتين. نعم، لقد اشتغل مع بورووز لكنهما لم يكتبا التخييل. لا يمكن أن يكتب التخييل شخصان. إنه أمر صعب جدًّا. فالأخيلة، لا يمكن أن تتقاسم، أو من الصعب أن تتطابق أو تكون موضوع اتفاق، أو تتكامل. لقد كتبا، بالطبع، رواية عنوانها The Exterminator (1973) وأعمال أخرى.. لم أكن أحب كتابات براين التخييلية ـ وكان هو يعلم ذلك ـ لكنني كنت وما أزال أحب رسوماته. لقد كان رسامًا كبيرًا، من خلال أشكاله الخارقة، التي لا تضاهى ولا تمحى [من الذاكرة] كأنها بصمات أو هي وشم.. ومن خلال التأليف بين الألوان الطبيعية والمبدعة في الآن نفسه. يجب أن أقول إن غيسن كان صديقًا كبيرًا لآن كومن فلستي. فلستي ميسن لم يكن اسمها، لكن، فيما أعتقد، اسم السيد ميسن الذي كانت تزوجته من قبل في إنجلترا. كانا صديقين كبيرين: براين وآن. قال لها براين ذات يوم:

- «أنت أختي.

فردّت عليه:

- وأنت أخي.

وهكذا أصبحا أخوين وظلّا كذلك».

لمّا مات براين، حاولت آن كومن رفقة أصدقاء آخرين لبراين احترام وصيته. دعت عددًا من الأصدقاء إلى المكان الذي يوجد به، الآن، فندق ومطعم «الميراج»، على شاطئ أشقار، وكانت قد حملت معها رماد غيسن، من باريس، لنذروه جميعًا على الشاطئ، وفق إرادة براين. أعطت لكل واحد منا بعض رماد براين لنثره. لم يكن ذلك الأمر ممكنًا. كانت الريح تهب بقوة. وكل ما نثرناه أبى أن يسقط على الأرض فعاد والتصق بوجوهنا. كنت هناك أيضًا، في أشقار، ونثرت نصيبي من الرماد وتلقيته على وجهي أيضًا (ضحك). كان الحمري هناك أيضًا، وكان مخمورًا. كان يصعب عليه أن يقف. لقد كان صديق براين. كانا صديقين حميمين، ربطت بينهما عرى الصداقة.

الذين حضروا، خلال هذا الحفل، هم أصدقاء براين على الخصوص واثنان أو ثلاثة من أصدقاء هؤلاء. الحاضرون كانوا فرنسيين وألمانيين وأميركيين ومغاربة... أناس لا أعرفهم جميعًا، ولكنهم قدّموا أنفسهم إليَّ. كانوا قرابة إثني عشرة شخصًا. أصدقاء حميمون لبراين ولتلك الصفة استدعتهم آن.

## جاك كرواك

شكري: «كرواك قد يستعري إذا هو سكر؛ فقد نهض ذات مرّة في خمّارة صارخًا: «إني تناكحت مع كور ڤيدال..

Gore Vidal. «كان اللواط يعتبر، بين الأدباء والفنانين، نوعًا من الرياضة القومية في الأربعينيات والخمسينيات خاصة في العالم النيويوركي». كان شيئًا حميمًا لتعزيز الصداقة: فقد عاد آلن جنسبرغ وبيتر أورلوفسكي Orlovsky كرواك وهو مريض. ولكي يبرهنا على صداقتهما له ناكاه. وعندما احتج كرواك على أنه ليس لوطيًا وما كان ينبغي لهما أن يفعلا له ذلك أجاباه بلطف بالغ: «إننا فقط أردنا أن نسعدك يا عزيزنا جاك»! (ص31).

بولز: إن كور فيدال هو الذي كتب، في سيرته الذاتية Palimpsest (الطرس الممسوح)، إنه هو الذي نكح جاك كيرواك بالطبع، صاحبنا أخطأ عندما قال شيئًا آخر غير ما حدث وغير ما قيل من لدن الفاعل ذاته. لكن ماذا تريده أن يفعل غير أن يخطئ، كالعادة! هو الذي يمجد ثقافة السمع (ولا بدّ أن نضع كلمة ثقافة بين مزدوجتين حتى نمسح عنها معناها الأول) لا الثقافة الحقيقية؛ الناتجة عن جهد القراءة.

بالطبع، قرأت كتب جاك كيرواك. أعتقد أن أهم كتبه هو كتاب On The Road (في الطريق). فهو بمثابة بيان «جماعة البيت». إنه عبارة عن سيرة ذاتية، فكيرواك لم يكن يكتب التخييل، بل كان يكتب، دائمًا، مذكراته؛ وما عاشه بالفعل.

عندما يقول صاحبنا بصدد جاك كيرواك: «إنه مستعد أن ينهق لكل من يصغي له على أنه كاتب مشهور. كان يصيح: أنا

جاك كيرواك»! إنه يذكرني بذلك الطالب الياباني الذي سأل، هذا الزوال، ما إذا كانت «قصة «حدث بعيد» قصة حقيقية أم لا»[1].

بالطبع، لم أتبيّن لم يورد شكري هذا الاستشهاد وما الغرض من ذلك وما الغرض من ورائه... قد أكون أعاني من عسر الفهم، وهو ما يزال في ريعان الشباب ويتقّد ذكاءً وفكرًا..

## الغداء العاري

شكري: «وكان پول بولز وبراين جيسن يلازمان زيارته [بورووز] في فندق المونيريا Munirya حينما كان يكتب «الغداء العاري». كانا يجمعان الأوراق المبعثرة على الأرض ويرتبانها. وعندما زار طنجة آلن غينسبرغ وجاك كرواك ساعدا بورووز على ترتيب ما كان قد أنجزه من «الغداء العاري». (ص33).

(1) يقصد بولز الطالب الياباني الذي زاره زوال ذلك اليوم، ليطرح عليه بضعة أسئلة تخصّ نصوصه. كان الزائر، كما وضح ذلك لبولز، طالبًا بجامعة طوكيو وكان يهيئ بحثًا جامعيًا عنه.. وهو يقدم نفسه إلى بولز، كان أخرج بعض نصوص الكاتب مترجمة للغة اليابانية، لكن اللغة الإنجليزية كانت لا تطاوعه لحظة التعبير عن أفكاره فكان يغادر الغرفة ويقف ببهو البيت، يقوم ببعض الحركات التعبدية ثم يعود إلى غرفة بولز (الذي كان ممدّدًا على فراشه، كالعادة) ويعاود، كرة أخرى، محاولة التعبير عن آرائه فتخونه اللغة الإنجليزية من جديد فيعود إلى بهو البيت، يعيد أداء حركاته التعبدية ويعود إلى غرفة پول.. ولما تعب قال لپول:
- سأطلب مترجمًا غدًا..
حيا پول وحياني باحترام جمّ وانصرف يشيعه أسف پول..
بعد لحظة من انصراف الطالب قال لي پول:
- سيعود غدًا ومعه مترجم من سفارة بلده، فقد حدث الأمر ذاته في مرة سابقة حيث طلب طالب ياباني مترجمًا من سفارة بلده ولبّى طلبه.

بولز: لم أكن أذهب يوميًا لزيارة بورووز في فندقه خلال إقامته، هنا، بطنجة. إنها مبالغة أخرى من مبالغات شكري. وسببها عدم معرفته بما يتحدَّث عنه. لقد ذهبت إلى هناك عدة مرات، لكن ذلك لم يصبح عادة أو ممارسة يومية. لا. كنت أذهب لزيارته من حين لآخر. وأنت تعلم، من خلال قراءاتك، جيدًا أنني كنت أتحاشى اللقاء به، في البداية، ولم أكن أشجعه على أن يتصل بي[1]. كانت جين تخاف منه. لم تكن تحب أن أراه. ولكنني، رغم ذلك، ذهبت لرؤيته. ليس سرًّا بالطبع (ضحك). براين، نفسه، لم تكن جين ترغب في التعرف عليه. كانت تقول: «أوه لا! لي من البؤس ما يغنيني عن معرفة شخص آخر من قبيل جونكي».

وقد عملت على الجمع بين براين ووليام، وقد نجحت العلاقة بينهما. لم أقم بذلك للتخلّص من براين كما تعتقد ذلك، ولكني كنت أعتقد أن غيسن سيحبّ بورووز عندما يتعرّف عليه،

(1) سيكتب بورووز عن ذلك في إحدى رسائله إلى صديقه آلن غنسبيرغ مؤرخة بالجمعة صباحًا 16 من شهر يوليو/تموز 1954: «طنجة هي العدم. يوجد هنا بعض الكتّاب هم في معظمهم أصدقاء بولز، والذي يبدو أنه لا يريد أن تكون له أي صلة بي. لقد خطر لي أن بولز يريد أن يتجنب أي اتصال بي بسبب تعاطي المخدرات، خوفًا من كل إزعاج مفترض من لدن مفتشي الجمارك والسلطات على العموم، في حال ما إذا شاع خبر أنه ارتبط بي ـ أنا المتهم غيابيًا. لست أدري»، انظر: **The Letters Of William Burroughs**, 1945-1959, edited and with introduction by Oliver Harris, Viking, U.S.A, 1993, p: 232/ ص: 223 رسائل بورووز: **1945 ـ 1959**، نشر وتقديم أوليفر هاريس، فيكنغ بنغوان، الولايات المتحدة، 1993.

ولمّا لم يكن يعرفه، كنت خائفًا أن العلاقة بينهما قد لا تؤتي أكلها، لكنني كنت أقول إن معرفة بورووز لن تسيء إليه. كلاهما كان يأوي في داخله شخص المغامر. كان المغامر يقاسم بورووز سلوكه اليومي بينما كان هو الكمان الثاني في سلوك براين.

ليس براين ولا أنا من جمّع ورتب الأوراق التي كتبها بورووز، والتي ستصبح، فيما بعد، «الغداء العاري». بالطبع، صاحبنا يخطئ وينشر جهله.

إن آلن غنسبيرغ وصديقه ألان آنسن هما من قام بهذا العمل. أعتقد أن غنسبيرغ هو من قام بالقسم الأوفر من العمل: اختيار الصفحات، القطع السردية، تنسيق المادة...

أعتقد أن جاك كيرواك هو من رقن على الآلة الكاتبة ما سيصبح كتاب بورووز، ذائع الصيت، «الغداء العاري». لم يكن لديه ما يكفي من الوقت. فهو قد قضى هنا أقل من شهر. على أي حال، كان قد أنهى الكتاب ـ في ذلك الوقت ـ وكان سلّمه إلى الناشر بباريس[1].

(1) سيكتب بورووز عن هذا الأمر ما يلي: «ذات صباح زارني سنكلير بيلز الذي كنت تعرفت عليه سابقًا بطنجة. كان يشتغل مع جيروديايس الذي رغب في نشر «الغداء» بعد أن قرأ عدد (Big Table). طالب بمسودة نهائية في ظرف أسبوعين. هيأتُ المسودة بعد أسبوعين، بمساعدة بيلز وبراين غيسن، وبعد شهر كان الكتاب قد طبع»، انظر **With William Burroughs, A Report From The Bunker,** by Victor Bockris, Seaver Books, New York, 1981/ فيكتور بوكريس: مع وليام بورووز ـ تقرير من المستودع» سيفر بوكس نيويورك، (1981).

يجب أن أقول إن وجود كيرواك، هنا، لم يسمح لي بلقائه، في ذلك الوقت، وذلك لأنني لم أكن موجودًا بطنجة، بل كنت في البرتغال. كان ذلك سنة (1957). كانت جين، يومها، في كاليفورنيا. لم يكن الوضع، هنا في المغرب، قد استقرّ بعد، على الأقل، في طنجة.

إذن، فآلن غنسبيرغ هو الذي جمع الأوراق، أما أنا فلم أمسّها. سألت بيل، ذات يوم، لماذا لم يجمع هذه الأوراق، فاكتفى بالقول: آه! أتركها...

كان يتناول، في تلك الفترة، كل أصناف المخدرات. إذا، كانت تلك الأوراق تبقى في مكانها. ومع مرور الأيام بل الأشهر تصبح أكثر اتساخًا. كان بيل يسقط عليها الطعام. وكانت فضلات الفئران تنضاف إلى الطعام والشراب فتلطخ تلك الأوراق. كانت الفئران تقاسم بورووز غرفته في الفندق. وكانت تطل على حديقة النزل. قلت له ذات مرّة:

- «- لماذا تكتب هذه الأوراق إذا كنت لن تحتفظ بها؟

ردَّ قائلًا:

- آه! آياياي! سأحتفظ بها مستقبلًا».

لكنه لم يفعل ذلك أبدًا.

لقد كان آلن غنسبيرغ هو من جمع كل تلك الأوراق ورتبها أيضًا. ثم عمد إلى اختيار المقاطع (إذ لم تكن هناك مقاطع) وتنسيق السرد وتقسيم النص إلى فصول. لا أعلم من

قام بعنونة الفصول، لأنني لم أكن موجودًا، في الوقت الذي جمع فيه غنسبيرغ الأوراق ورتبها. لقد كان آلن آنسن حاضرًا آنذاك وساهم بقسط في ذلك العمل. وبالمقابل، لم يكن جاك كيرواك حاضرًا، ولذلك لم يساهم في ذلك العمل.

**شكري**: «وفي دينز بار Dean's Bar حيث كان صاحبه Dean يعتبر مجيء بورووز طالع شؤم. لم يكن يلبي طلبه، على مضض للشراب، إلَّا إذا كان مصحوبًا بزبون جيد مثل Kells Elvis صديق بورووز في الدراسة الذي كان شجعه على الكتابة في بداية الثلاثينيات». (ص34).

**بولز**: إني أعلم جيدًا أن بيل بورووز لم يكن يتردّد على الـ .Dean's Bar كان يتردّد، دائمًا على بار لاباراد. الدينز بار كان مكانًا يتردّد عليه فقط الإنجليز. ليس صحيحًا أن بيل بورووز لم يكن يؤدي ثمن ما يشربه وكان يطرد من الدينز بار، بل هو لم يكن يذهب أبدًا إلى هناك. بالعكس كان من رواد بار لاباراد. كان يدير هذا البار مالكه هازلوود. لذلك قال بيل، كما قالت ذلك جين أيضًا، «إن موت هازلوود (1965) تمثل نهاية فترة». أنا لم أتردّد أبدًا على هذه البارات، وصاحبنا لم يدخل إليها أبدًا.

# مرايا مهشّمة.. ومرمّمة

## الموديل.. والرسم

شكري: «بدأ تقزّز بولز من الأجسام البشرية العارية عندما كان يدرس الرسم وهو في السادسة عشرة من عمره. وبلغ السابعة عشرة ولم يكن يفرّق بين اختلاف الذكر والأنثى جسديًا. ولقد بدا له ذلك مدهشًا. لماذا هذا الفارق؟ هكذا تساءل.!. لكن الأغرب من هذا التساؤل هو لماذا لم يرق له أن يرسم الجسد البشري إلّا باللون الأزرق؟ أكان يعتقد أنه نزل من السماء مصبوغًا بهذا اللون؟». (ص100).

بولز: آه! إنه يتحدَّث عن الفترة التي كنت أدرس فيها الرسم. ألا نلاحظ أن شكري يتحدَّث عن أشياء يجهلها. يجب أن ترى الموديلات! إنه منظر شنيع! إنها موديلات كان يتمّ العثور عليها في نيويورك. ثمنها رخيص جدًّا. ذلك أن مديرة المدرسة التي كنت أتردّد عليها لم تكن تريد، كما كان يروج، أن تبدد المال، لذلك كانت تجلب للمدرسة رجالًا ونساءً لا هيئة لهم. بالطبع، لم يرق ذلك أحدًا، لا لتلاميذ القسم ولا لي أنا. لو كانت موديلات جميلة ومليحة لأعجبتنا. نعم. لكن هناك،

طبعًا، فرق بين الجمال والقبح، فهل يدرك هو هذا الفرق؟ إنه مختل تمامًا.

شكري: «ولد الغرباوي العام 1930 في (جرف الملح ـ الغرب). أعماله اليوم موجودة معظمها في المغرب لدى المعجبين به من الأثرياء في منازلهم، وفي بعض متاحف أوروبا، والولايات المتحدة وحيث لا ندري». (ص100).

بولز: إنني لا أعرف الغرباوي، ولا أعرف شيئًا عن أعماله، لذلك لا يمكن أن أتساءل عن شيء لماذا هو هكذا إذا كنت لا أعرفه؟ وهذا ما لم أستطع أن أتبيّنه عند شكري. يجعلك تتحدّث عن أشياء أنت لا تعرفها، ويجعلك تقول أشياء أنت لم تقلها. أليس روائيًّا يكتب رواية؟ أي أنه يختلق. هو حرّ في أن يختلق ما يريد.. فليكن الله في عونه على إنجاز عمله... شريطة أن لا يدّعي أنه «يكتب» عن مواطن من لحم ودم اسمه پول بولز.. لو اختار طريقة روم لاندو لكان لعمله شأن آخر[1].

(1) يقصد بولز ما حدث له مع روم لاندو لما أراد أن يكتب كتابه الأول، وهو كتاب موضوعه بولز وزوجته جين! زار لاندو بولز في الفندق الذي كان يقيم به بمدينة فاس: فندق الجامعي. قال له:
« ـ أريد أن أكتب كتابًا عن زوجين أميركيـين..
ـ من يمنعك من ذلك. افعل ما تريد.. فلست في حاجة إلى أحد..
ـ إني في حاجة إلى مساعدتك!..
ـ وفيما يمكن أن أساعدك؟
ـ الزوجان هما أنت وزوجتك!»
كان يريد أن يكتب كتابًا بأي وسيلة. كان يسعى إلى كتابة كتاب يشبه ما قرأه في إحدى روايات الكاتب لويس سانكلير. وهكذا شرع يتخيل أحاديث بيني وبين

## شرط الإبداع: العزلة

شكري: «إن كل شيء جاءه متأخرًا في حياته: فحتى شهرته مبدعًا أدبيًا عالميًا لم تأته إلّا بعد الستين. إنه اليوم ينطبق عليه المثل: «يوم عشنا متنا». (ص101/100).

بولز: هل هذه تهمة أخرى؟ هل يعتقد أن هذا الأمر لو صحّ أيضًا هو خطأ ارتكبته. أم تراه يريد أن يقول إنني لم أصبح مشهورًا وأنا شاب، وأنه أمر مضرّ بي لو أصبحت مشهورًا وأنا شيخ!؟ لم يقل لماذا يعتبر ذلك مضرًّا وكيف؟ لا يوضح للأسف ! أعتقد أن ذلك يعود إلى أنه يريد أن يحول كل هذه الجمل إلى تهمة. إني أشتمّ من هذا الكلام رائحة المحقّق، ومحكمة التفتيش..

= جين ويتخيل كيف نعيش.. إنها ممارسة مثيرة للسخرية تشبهها من حيث الجوهر ممارسة صاحبنا شكري. الفرق بينهما يكمن في أن روم أعطانا، جين وأنا، اسمين آخرين في هذا الكتاب الذي اختار له عنوان «دعوة إلى المغرب». أطلق على الشخص الذي هو بول اسم إلمير وأطلق على جين اسمًا ألمانيًا أكثر إثارة للسخرية. وهكذا ألّف كتابًا باختراع أحداث وحوارات، عن زوجين متخيلين. ولم يفكر أحد فينا، جين وأنا، لأن روم لم يكن متعنتًا ليشير إلى اسمينا.. لقد غضب مني جدًّا لأنني لم أتعاون معه وأحكي له تفاصيل من حياتنا.. تخيل، يجرؤ على طلب ذلك مني ولو أنها المرة الأولى التي نلتقي فيها.. ولم يكن هو معروفًا.. لم يكن كتب أي كتاب. كان يخطط كيف يأكل الكتف، وكيف يحصل على مكانة خاصة في المغرب ليشيع نزواته كشخص شاذٍّ جنسيًّا ونهم ولا يتوانى عن إشباع حاجياته بطرق مخجلة.. إن روم لاندو ليس اسمه الحقيقي. اسمه الحقيقي هو (Wiener)، وهو يهودي نمساوي...» [«مع بول بولز في طنجة: سيرة حياة وإبداع»، مخطوط].

شكري: «إن پول يأخذ حذره البالغ تجاه الآخرين والأشياء، لكن يلطّفه بنوع من التفكّه. ولكي يحقّق شبه انغلاق حلزوني على نفسه حذف التليفون». (ص102).

بولز: ربما، أراد أن يقول إنني آخذ حذري منه هو شكري. لا أدري لماذا يقول هذا الكلام أيضًا. إنه رجل يستوجب الحذر فهو قد تنكّر لكل الذين ساعدوه: المرابط، بن جلون، دانييل هالبرن، بولز..

بالطبع، حذفت التليفون لكي أمتّع نفسي بالعزلة. لكن ليس عيبًا ولا إجرامًا، البحث عن قليل من العزلة (ضحك)، وذلك لنحصل على ما يسميه الإنجليز بالـ(Privacy) أي نعيش في عزلة. وأعتقد أنه هو نفسه يحتاج بعض العزلة والراحة. إذا أراد المرء أن يعمل حقًّا، أن يكتب حقًّا لا يجب أن يعيش وسط عدد كبير من الناس، أو يكون في مكان ـ عمومي؟ ـ حيث يسود الضجيج. ربما، كان شكري قادرًا على العمل في مكان شبيه بذلك، أما أنا فلا أقدر.

لكي أرضي صاحبنا شكري وجب أن أقول إن كل كاتب يظهر درجة معينة من الأنانية. بالنسبة لمن يكتب، يخلق شيئًا، إذا لم يعش لذاته، كيف يمكنه إنجاز هذا العمل؟

شكري: «هذه الحياة شبه القوقعة، السابتة، بدأ يمارسها في طنجة أواخر الخمسينيات.. وبسبب مرضه، في السنوات الأخيرة، يكاد يعيش في ركن من الغرفة». (ص 102).

بولز: أجد الأمر حسنًا جدًّا كون پول بولز يحبّ العيش في شبه قوقعة، أو في مغارة. هذا شيء جيد. نعم. إني أوافقه الرأي (ضحك) لِمَ لا؟ ألا ترى أن صاحبنا يمكن أن يقول صوابًا وينجح في امتحانه أو في أداء دوره كطفل صغير.

**أطفال**

شكري: «ذهبنا إلى «الرميلات». كان هو اليوم الوحيد الذي اشتغلنا فيه، پول وأنا، خارج منزله. كان في حاجة إلى ڤيتامين الشمس كما قال. يوم ربيعي. كنا نترجم «الخبز الحافي» [. . .] عائلات مغربية وأجنبية تستعيد مرح طفولتها مع الأطفال. كنا بعيدين عن ملاعبهم وصراخهم. ذكّرني نفور بولز من صراخهم بسيمون دو بوفوار. كلاهما يحبّهم لكن من بعيد». (ص115).

بولز: أعتقد أنه يبحث، دائمًا، عن مشكل حيث لا يوجد مشكل. لا يمكن القول إنني لا أحب الأطفال. لكن لا يمكن أن أتحمل مسؤولية إنجابهم.. ثم إنني لا يمكن أن أنجبهم وحدي.. فجين لا يمكن أن تتحمّل آلام إنجابهم (الحمل، الولادة..).

إنني لست مغربيًا. أعلم أن المغاربة يحبّون الأطفال ويمكن أن يتحملوهم في كل لحظة. بالرغم من أن كل شيء يتغيّر مع الجيل الجديد. لكن، هل نَعِمَ هو بإنجاب الأولاد؟ هل حظي بمعرفة ملذات الزواج ومسؤولياته؟ وعندما يقول شكري إن «نفور بولز ذكره بسيمون دو بوڤوار» فهل ربطته علاقات بها ويجب أن ننتظر يوم يؤلف عنها كتابًا مليئًا بالأكاذيب كالذي خصّ به بولز؟

## ڤودكا.. وكذب

شكري: «إن پول بولز له اليوم حساسية بالغة تجاه الشمس: هو الذي استمتع بشموس الصحاري، والمناخات الاستوائية، في زمن بعيد. إنه لم يعد يسبح في البحر منذ سنوات طويلة رغم أنه محاط ببعض الشواطئ النقية والجميلة. لم يعد يتنسَّم (من النسيم) إلَّا رائحة اليود عندما يتجول، في سيارته، عبر منار «رأس اسبارطيل». إن مرضه جعل أقرب الأشياء إليه أبعدها عنه. هناك عذر آخر: فقد صار جلده يحترق وينسلخ بحساسية سريعة أكثر من السابق، إذا هو تعرّى في الشمس التي كانت إلهته في زمن ما». (ص 115/ 116).

بولز: يبدو لي أنها طريقة غريبة وغير موضوعية في تقديم الأشياء. الشمس تحرقني! هل هي مستاءة مني أم تراها في خدمة الدرويش المدعو شكري؟ ألا تحرق الشمس جلد كل من عرض نفسه عليها. كلمات هذا الدرويش الجديد بلهاء حقيقة.

يمكن أن نقول الأمر ذاته عمّا قاله عن تجولي في السيارة وأنا أشمّ رائحة اليود. هل معنى ذلك أنه يجب عليَّ أن لا أتجول في السيارة! إنه يقول أشياء يصعب فهمها. أشياء خرقاء. إنها ليست أمورًا غريبة، ما دامت صادرة عنه.

شكري: 8 ـ 5 ـ 94 هذا الصباح سيسافر پول إلى باريس ثم إلى أتلانتا لتُجرى له عملية إزالة ورم سرطاني يمتدّ

من الأنف إلى الصدغ. فكرت: في النهاية الكل يخشى الموت ما عدا كلبي جوبا». (ص117).

بولز: يعتقد أنني عندما ذهبت إلى الولايات المتحدة من أجل إجراء عملية جراحية كنت أفكر في أن أنجو من الموت! إنه أحمق! يعتقد أننا لا تجرى لنا عملية جراحية إلّا للنجاة من الموت. ألا يعلم أن العملية تخلّص صاحبها من الألم الدائم وهو أشد ضررًا من الموت؟ ولو كانت تنجي صاحبها من الموت فهل يعتبر ذلك عيبًا أو عملًا رديئًا! من الصعب التعليق على أقواله. إنها غير منطقية. كل ما يتفوّه به ليس منطقيًا ولا منسجمًا. يمكن أن يبدي، هو نفسه، الملاحظة ذاتها لو أعاد قراءة درره!

شكري: «كنا في «الرميلات». فجأة أشرت إلى آل جيروفي: إزابيل وصهرتها إيفون Ivonne:

- سأذهب للسلام عليهما.

أوقفني پول بانفعال رقيق:

- أرجو ألّا تفعل ذلك. إن الناس يهربون من المدينة لكي يرتاحوا من الذين يعرفونهم فيها.

فكرت إنه على حقّ. ينبغي أن نكون بدويين في البادية، ومتحضرين في الحاضرة. لم أتخلّص بعد من بدويتي وأنا في المدينة [...]

برد وشمس خفيفان. سائق پول، عبد الواحد، يتجول

بعيدًا عنّا.. («لما سمع عبدالواحد، الذي دخل الغرفة لحظتها، بولز يقرأ هذه الجمل دخل مباشرة قائلًا، باللغة الدارجة، ثم باللغة الإسبانية: «شكري يكذب لم يحدث أبدًا أن قدّتهما إلى الرميلات. ألم يشبع من الكذب؟ كان يأتي إلى هنا، مطأطأ الرأس، خجولًا، يشتغل بعض الوقت مع پول، وهو يشرب البينو، ثم يدوخ، فإما أن ينام حيث هو ونتركه هناك، إن لم يزر پول أحد، أو يجره أحد إلى زاوية الغرفة [...] حيث يظلّ هناك حتى يستيقظ ويذهب بمفرده، أو يحمله المرابط على كتفه وهو يلعن، مكرّرًا «بَهْذَلْتينا أشكري» ويقوده إلى بيته قرب الروكسي») يسأل عبدالواحد بولز قائلًا:

- هل سبق لنا أن ذهبنا مرّة إلى الرميلات، نحن الثلاثة؟

يردّ عليه پول بصوته الخالي من أي انفعال:

- لم يحدث ذلك أبدًا. الحمد لله أنك كنت حاضرًا، بالصدفة، وأدليتَ بشهادتك..

**عبد الواحد:** [مقاطعًا] الخطأ خطؤك، أنت يا پول، لو جاء المرّة الأولى وردّدته على عقبيه ما أصبح الآن يلعنك، ولا يحترم شيخوختك، بعد أن قضى حاجته..

لن يجني شيئًا من وراء عمله هذا، ولن يخفي الحقيقة بما يدعيه. لو كانت أكاذيبه صحيحة لكان قالها قبل عشرين سنة على الأقل.

يلتفت عبدالواحد نحوي ويقول:

- أنا ما بيني وبين شكري حتى حاجه. ولكن حقّ الله يقال فقد

اعتدى على هذا الرجل واخا هو نصراني. أنا واخا لم أقرأ كثيرًا ولكنني أفهم عدة أشياء وأسمع أخرى. فهو ساعده حتى أصبح كاتبًا معروفًا في العالم. وترجم له قلة الحياء ديالو.. ولم يغلق في وجهه باب بيته، بالرغم من أنه كان يرتكب حماقات في حقّه وفي حقّ ضيوفه.. ثم شرع يشتمه ولم يقل فيه كلمة طيبة.. ثم قال إنه كتب عنه كتابًا.. وها أنا أرى أنه كتاب كله كذب.. يكذب عليه وعليّ أنا.. سكت برهة ثم أضاف: قبل أسبوع التقاني شكري وقال لي، فيما يشبه الاعتذار وبأدب جمّ: ليس بيني وبينك أي شيء.. يا سي عبدالواحد. أنت مغربي وأنا مغربي.. قد يموت بولز، غدًا.. ولماذا نبقى نحن عدوين.. أنا لم أفعل شيئًا سيئًا.. فقد كتبت عنه كتابًا، ما العيب في ذلك؟ (يسكت عبدالواحد برهة ثم يضيف) لم أكن أعلم أنه كذب عليَّ أنا أيضًا..

ظلّ پول ساكتًا. حرّك رأسه ذات اليمين والشمال ثم قال:

- يبدو لي إنه يعيش لعنة پول بولز ومن معه، ويريد أن يتخلّص من هذا الإرث، فاختار أن يلعن ويكذب سبيلًا للتخلّص من فترة من ماضيه..

شكري: «سألني مرّة عبدالواحد:

- هل ما تحكيه أنت أو المرابط لپول ويترجمه إلى الإنجليزية يهم كثيرًا الأجانب؟

ـ أنا لا أحكي فقط، أنا أكتب الحكاية لكل من يقرأ.

ـ لا أفهم جيدًا.

ـ وأنا لا أعرف كيف أشرح لك أكثر.

ـ لكن المرابط لا يكتب، إنه فقط يحكي.

ـ لكن پول يكتب له. ولا بدّ أن تختلف الحكاية عند كتابتها». (ص118).

**عبدالواحد**: معقّبًا على ما ورد في كتاب شكري بانفعال تعكسه نبرة صوته:

ـ والله أسيدي ولا عُمرني سَقْصيتو. وها أنا حلفت بالله.

**بولز**: الكذبة الأولى رصدها عبدالواحد، والثانية سأرصدها: يقول إن القصة التي يرويها المرابط ليست هي تلك التي أترجمها، ليخلص إلى أنني أعرضها للتغيير. ليقول في النهاية إن عمل المرابط ليس له؛ بل هو عملي! آه! آه! لكنه كان شرع يقول الكلام ذاته عن «الخبز الحافي» عندما فقدَ صوابه. يقول إن ما ترجمته، إلى الإنجليزية، ليس هو ما رواه/ كتبه بالعربية. إذن هو يريد أن يقول إنني عبارة عن صفر (ضحك). بالنسبة إليه «الخبز الحافي» لا يوجد باللغة الإنجليزية لأنني قمت، حسب رأيه، بتغيير النصّ برمّته. مؤخّرًا شرع يعيد نفس الكلام المكرور: پول بولز يختلق كل شيء من عندياته. لكن قبل ذلك كل شيء كان على أحسن ما يرام في أحسن العوالم.. أما الآن، إذا ترجمت نصوص أحمد اليعقوبي فهي ليست له؛ إنها نصوصي. إذا ترجمت نصوص المرابط، فهي ليست له؛ إنها

نصوصي. إذا قلت إن «الخبز الحافي» أو «جان جينه في طنجة» هما كتابا شكري، فهو يقول إنهما كتابا پول بولز. إنني أقوم بتغيير كل شيء. لا أترجم أي شيء.. لكن إذا كان يعتقد، حقًّا، هذه الأشياء، لماذا انتظر أكثر من عشرين سنة ليعلن عنها في كل مكان. السكير رجل مزاجي وليس أهلًا للثقة.. هذه قاعدة عامة.. هل هذه الأشياء سرية للغاية حتى ينتظر كل هذه السنوات ليفشيها!؟ هل هو قادر على الإدلاء بالحجج والأدلة على ذلك؟

## تافراوت

شكري: «زرت اليوم پول صحبة هانس والروبيو. كان پول متعبًا جدًّا في فراشه. في وسط الغرفة طبلة فوقها ركام كبير من الأدوية.. وعندما قدمت الروبيو لپول على أنه من تافراوت هلل:

- أوه! لقد كنت هناك في الأربعينيات. أعجبني كثيرًا سوقها كل يوم الأربعاء، والجبل المطل عليها.

قال الروبيو:

- والصخرة التي تشبه قمتها قبعة نابليون.

قال پول:

- في كل ليلة كانت الثعالب تهاجم الكلاب الشاردة. الثعالب هي المنتصرة دائمًا والكلاب تفرّ مئنّة عاوية...

(يقلدها): عاو... عاووو... أما زالت هناك الثعالب؟

قال الروبيو:

- أبغوغن؟ (نطق بالسوسية) نعم. لكن ليس كما من قبل [...]

قال پول، بصوته الواهن، وقد بدأ يعتدل وينتشي في فراشه:

- العالم تغير كثيرًا في كل مكان.

بدأت أعرق. الخشب يطقطق وشعلة هائلة في المدخنة. پول قد يستدفئ بالنار حتى في عزِّ الصيف. وإذا سألته يجيبك: «أنا بردان». لم أسمعه أبدًا يشكو من الحرارة في منزله أو خارجه. أمام المدخنة صف من الزجاجات البلاستيكية ملأى بالماء. لعلّها كانت هناك لامتصاص الرطوبة [...].

عندما خرجنا قال لي الروبيو:

- عجيب، هذا الرجل!

- لماذا؟

- لأنه ما زال يتذكر كل شيء منذ أكثر من خمسين سنة. لقد نسي شيئًا مهمًّا هو أن في تافراوت صخرة أخرى رأسها يشبه رأس أسد.

قلت:

- ربما لم يزرها.

قال بانفعال، كعادته:

- مستحيل آسي محمد. إن كل السيّاح الذين يزورون تافراوت يعرفون صخرة رأس الأسد.

قلت مازحًا:

- أنا رأيي أن رأس الأسد هو الذي يشبه رأس الصخرة. إن پول بولز لا يسيح مثل الآخرين.

- وماذا هو إذن؟

- قد لا يعرف ما يعرفه الآخرون، وقد يعرف ما لا يعرفه الآخرون أو أكثر». (ص 119/ 120/ 121).

بولز: لا يمكنني أن أذكر هذه الزيارة، التي يتحدَّث عنها، رفقة هانس والروبيو. إنني لا أعرف هذين الشخصين. هناك آلاف الأشخاص يقومون بزيارتي. إذن لا يمكن أن أقول إن هذه الزيارة لم تقع. وذلك بالرغم من أن تقنية شكري واضحة بيّنة: ذكر اسمين لكي يوكل إليهما دور «شاهدين» ثم يدسّ كذبة جديدة. وبذلك يحقّق إخراجًا صغيرًا «ناجحًا». إذا كان يرى الأمر عجيبًا كوْني لم ألاحظ تلك الصخرة التي تشبه رأس أسد، يجب أن ألاحظ أنني أنا الذي أرى ما يقوله عجيبًا جدًّا، حتى لا أقول إنه يكذب بلا قيد ولا شرط. ليس ما يقوله صحيحًا بالطبع. لا أحد لا يمكنه أن لا يرى هذا الرسم (رأس الأسد) على الجبل. إنه يشبه رأس الأسد. لقد رأيته خلال زيارتي الأولى. ما زلت أذكر ذلك جيدًا. إنه ما يزال يحتل مكانه في ذاكرتي أسد جبل لاكستِ هذا. لكن صاحبنا، فيما أعتقد، مخّه مهوش. كل الأشياء التي يقولها أو يدعيها ليست واضحة، لأنها

ليست حقيقية.. على أي حال، إنني لا أعرف السيدين اللذين يتحدَّث عنهما. ويجب أن ألاحظ، أيضًا، أنه يوجد عدد قليل من الناس لون شعرهم أشقر/أصهب في تافراوت. ما دمت قلت لي إن الناس يسمّون هذا السيد بالروبيو لأن شعره أشقر.. وهذا الألماني هانس، هل هو أيضًا مواطن من تافراوت؟ (ضحك).

أما قوله «أمام المدخنة صف من الزجاجات البلاستيكية ملأى بالماء. لعلّها كانت هناك لامتصاص الرطوبة» فهو أمر غير حقيقي وغير صحيح. وقد تسأل أي زائر عن ذلك فينفي وجود هذه الزجاجات البلاستيكية. ثم إنه لم يكن هناك، أبدًا، صف من الزجاجات أمام المدخنة. إنها واحدة من هلوسات شكري، مع فارق واحد أن الهلوسات الحقيقية يمكن أن تكون دعامة للإبداع الحقيقي. ويمكن أن أذكر في هذا المجال وليام بورووز. لكن الأكاذيب أكاذيب. إنها فقيرة، خاصة إذا نبعت من عقل فقير. إنني أعقّب، عمدًا، على أكاذيب/سخافات صاحبنا لكي أثبت أن حديثه سخيف.

## حديث الحانة

شكري: «تردّدت في الدخول إلى حانة «كوسموبوليتا» لأنها صغيرة مثل حانة «ثقب في الحائط» يكفي ستة أو سبعة أشخاص فإذا هي ملأى. لم تكن فرجيني قد دخلتها معي من قبل. أغريتها فوافقت. إنها دائمًا تغامر أكثر من سنها (ص18). التمسماني كان هناك في ركن مثل لقلق مقدس. وديع.. بعد نخبين أعدناه، فرجيني وأنا، إلى ذكرياته مع بولز وجين

والجماعة.. وعندما سألته فجأة أهو حقًّا قتل پول قط جين حيث دفعه من على حافة نافذة شقته في الطابق الرابع أجابني بحدة:

- أبدًا لا. پول قد يؤذي بعض الناس وأشياء أخرى في كتبه، حسبما سمعت، لكنه جدّ إنساني في الحياة الواقعية. خيال الكتابة شيء آخر لا نحاسبه عليه لأنه حرّ في خياله.

- العربي اليعقوبي قال لي ذلك.

- اسمع: العربي اليعقوبي صديقنا، لكن ما يقوله عن پول ليس صحيحًا. إنه لا يعرف پول كما أعرفه أنا». (ص122/ 123).

## ببغاء طليق

بولز: يجب أن أقول إن جين كانت صديقة العربي اليعقوبي. قالت له، ذات مرّة، لقد فرّ ببغائي. ويبدو أن العربي اليعقوبي خرج للبحث عنه. تغيّب قرابة أكثر من شهر. وأخيرًا، عثر عليه. كان أحدهم قد دجّنه حتى ألف عشرته. كان وضعه في قفص في جبل المقراع. وهكذا خرج التمسماني [سائق پول آنذاك] للبحث عنه. أعاده إلى البيت، أخيرًا، بعد أن دفع مقابل ذلك قدرًا ماليًّا. فالرجل الذي كان تبنّى الطائر واعتنى به، قال إنه بدّد مالًا كثيرًا ليُطعم الببغاء. كان الببغاء يأكل كثيرًا من نوار الشمس (ضحك). أعتقد أن التمسماني كان دفع عشرين ألف بسيطة. وهكذا تمكّنا من استعادة الببغاء. لكن، خلال السنة التالية هرب الببغاء من جديد. وعندما زارنا العربي اليعقوبي مرّة

أخرى قالت له جين إن الببغاء قد هرب إلى مكان آخر. قال لها العربي:

- هذه المرّة، لن أذهب للبحث عنه!

ردَّت عليه جين:

- للأسف.

وفي الأخير، عثرنا على الببغاء من جديد. ولم يكن العربي اليعقوبي هو الذي عثر عليه. كانت جين قد نشرت إعلانات على صفحات الجرائد تقول: «كل من عثر عليه يحمله إليَّ ويحصل على قدر مالي». وفي هذه المرّة تمّ العثور على الببغاء في مكان يوجد على طريق تطوان. في ضيعة لم تعد موجودة الآن. في المكان الذي شيّدت عليه المنطقة الصناعية. وهكذا حصلنا على الببغاء من جديد. بالطبع، يتعلّق الأمر حقيقة ببغاء.. لكن لا علاقة للقطة بالموضوع؛ ولا علاقة لها بالعربي ولا بالأستاذ شكري..

**براءة**

أما فيما يخصّ القطة، فما زلت أحتفظ برسالة من جين تخبرني فيها أن قطتها ماتت. وهذا يؤكد أن صاحبنا يتحدَّث وهو يجهل الوقائع ويجهل ما يتحدَّث عنه..

كانت القطة تدعى براد (شاي). وكانت جين تحبها كثيرًا. وعندما ماتت القطة لم أكن موجودًا بطنجة ولا بالمغرب أيضًا. كنت في التايلاند. كم لا يصلح الأستاذ شكري مخبرًا بالرغم من أنه يحبّ هذه المهنة جيدًا كما يبدو من خلال تحقيقاته

الفاشلة والتي «تفلح» في ضبط «الفاعل» الذي لم يقم بالفعل.. وقد كتبت لي جين قائلة: «لسوء الحظ، ماتت قطتي براد». أحكي كل هذه الأمور لأؤكد أن القطة ماتت خلال غيابي. ولم ألق بها من النافذة..

هل يمكن أن أسمح لنفسي بأن أستخلص من كل هذا أن صاحبنا كذاب كبير.. يكذب ليوجد، ويكذب ليعيش، ويكذب ليسيء... إلى الناس: پول بولز، محمد المرابط.. وغيرهما..

هل يمكن أن أسمح لنفسي أن أستخلص من كل هذا أن صاحبنا يتكلم ـ ويحبّ أن يتكلم ـ عن أشياء يجهلها تمامًا.

يمكن أن أضيف أن ما حدث هو أنه كان لي قط جميل. كان يُدعى دوبس. كنت أحب كثيرًا قطي هذا. وقد تركت دوبس (Dubs) في بيت آن أرباك. هي أميركية كانت تسكن كوفيكوم. ستنتحر فيما بعد. قبل ذلك كانت احتفظت بقطي، في بيتها، كجميل منها. كان لها قطها الخاص وكان يدعى بربا. وكانت تدعوه بسبوت (Pisspot) أي مبولة. كان لقطي مخالب طويلة. كان يُسقط كل شيء. تركت آن قطي يلعب على حافة النافذة. فسقط في الأخير. عندما عدنا من السفر، ذهبت إلى بيت آن لاستعادة قطي، فقالت لي إنه مات. سألتها كيف حدث ذلك، فقالت لي إنه سقط من فوق النافذة. أعتقد أن السينيور شكري أراد أن يتحدَّث عن هذا الموضوع. ولما كان يجهل كل شيء عنه، لم يستطع أن يتحدَّث عن ذلك، بالرغم من أنه اتخذ منه موضوعًا للحديث، على تفاهة الموضوع. لكن الرغبة في تجريم

پول وإدانته لم تترك له لحظة للتفكير وتقليب الأمر على كل وجوهه... والانتهاء بخلاصة أن هذا الأمر قادر على إدخال پول إلى السجن أو التشهير «بلا إنسانيته». فانقلب السحر على الساحر. اختلطت الأمور عليه. مسكين شكري! كم مرّة يفضح نفسه! فيستغرق في الخطأ، الجهل، الحقد!

جدير: في أي بلد كنت يومها؟

بولز: كنت ذهبت إلى الولايات المتحدة، وكانت جين رافقتني. وعدنا معًا. ومعًا ذهبنا إلى بيت آن أرباك. فقالت لنا إن القط سقط من النافذة ومات. حزنت لذلك، ولكن لم أستطع أن أعلّق بشيء. أعتقد أن شكري يخلط الأشياء، عن قصد... ـ كما يخلط أنواع الكحول ـ شأن حديثه عن هذه التفاهة، وغيرها من التفاهات التي ملأ بها صفحاته هذه.

يبدو أنه يريد كتابة كتاب عن پول بأي ثمن.. ولو كان الثمن هو الكذب والاختلاق والتخييل والادعاء..

**أسنان الحانة**

شكري: «حوالى الساعة الرابعة مساءً مرّ پول بولز قدام حانة نيجريسكو (Negresco). سلّمت عليه. صوته ضعيف. مريض. ذاهب إلى طبيب الأسنان. يمشي مقوسًا مائلًا على جانبه الأيسر. عبدالواحد يمسكه من ذراعه الأيمن. رجعت إلى طاولتي المطلة على الشارع لأشرب كأسي من الويسكي مفكرًا في مساوئ الشيخوخة». (ص125).

بولز: لقد كان عبدالواحد هو الذاهب إلى طبيب الأسنان، ولست أنا!؟ يضيف صاحبنا إنه خرج من حانة نيجريسكو ليحييني، ولعل الأمر يفسر ذاته. إنه كان، إذن، في النيجريسكو. وهذا أمر جيد، في حد ذاته (ضحك). جيد جدًّا أنه لم يخرج من المسجد، أو من البنك. جيد جدًّا أنه لم يرني أمام بنك (ضحك) كما حدث فيما يخصّ المرابط[1]. كيف لمدمن الخمر أن يفهم الأحداث ويحلّلها ثم يستخلص منها النتائج الضرورية؟

## صداقة.. وعيد ميلاد

شكري: «في عيد ميلاد پول العام 94، الذي تعود المرابط الاحتفال به في منزله على الطريقة المغربية التقليدية: (جوق موسيقى جيلالة وذبح خروف)، رغم القطيعة بينهما، راح پول يعدد لبدرو Pedro مزايا خدمة سائقه عبدالواحد له، وعنايته به وطبخه اللذيذ. وهنا قال له المرابط الجالس قريبًا منه:

- سينيور پول، (يتكلمان دائمًا بالإسبانية) ولكنني أيضًا فعلت نفس الشيء معك، بل أكثر.

قال پول، ببروده الثلجي المعهود:

- لا أعتقد. أنت لم تفعل شيئًا من أجلي. كنت فقط تشتغل عندي حينما تريد.

---

(1) يقصد بولز ما كتبه شكري في كتابه: «پول بولز وعزلة طنجة»: «صباحًا. 95. 7. 11. «التقيت المرابط قدّام البنك الإسباني المغربي. كان ينتظر أحدًا أو ينتظر نفسه. صحته منهارة. شاخ سيئًا». (ص. 124).

انشغل المرابط مع نغم الموسيقيين فقال بدرو لبولز:

- لكن كنتما صديقين حميمين.
- من؟ المرابط؟ ليس صحيحًا. إنه لم يكن أبدًا صديقي!
- وماذا كان لك إذن؟
- كان مستخدمًا مثل الذين اشتغلوا عندي». (ص125/126).

**بولز:** أشير إلى أن بيدرو هو روبيرتو (وهو وكيل شكري الأدبي)، كما أشير إلى أن هذا الحوار لم يجرِ أبدًا بيننا. أبدًا. ربما، قصد أن يقول: لا أحد يعرف پول بولز لأنه شخص غريب. المرابط لم يكن يشتغل عندي، وليس صديقي. لكن شكري، صديقي! لأنني كنت أقدّم له زجاجات الڤودكا. يبدو لي أنه يريد الوصول إلى نقطة ما.. إنه يقول كل ذلك ليؤكد شيئًا ما. لكن الكلام فاقد لنظامه، لا معنى له لدرجة أنه لا يصل إلى أي شيء حتى أننا لا نعرف ما الذي يريد تأكيده، ما الذي يريد البرهنة عليه.. إن رأس شكري، لا عينيه، تغشاه غشاوة.. يبدو لي أنه يحاول أن يقول إن بولز لا أصدقاء له، لا أحد يعرفه حقًّا، وأن شكري هو الوحيد، حقًّا، الذي يعرفه. إذن، شكري هو العالم النفسي الكبير القادر على سبر أغوار قلب ووعي المواطن پول بولز (ضحك).

إن شكري يلعب دور المحقّق الذي يجب أن ينجح في انتزاع الاعتراف من البريء..

أود أن أقول إن المرابط صديقي. لقد استمرت صداقتنا

قرابة أربعين سنة، وأصبح كل منّا جزء من عائلة الآخر، بل وأثمرت هذه الصداقة ثلاثة عشر كتابًا.. وهي علاقة لا يمكن أن تُمحى آثارها..

بالطبع لي أصدقاء مغاربة. من بينهم يمكن أن أذكر: أحمد اليعقوبي. لقد كان صديقًا. زرنا معًا الولايات المتحدة، الهند، اليابان، هونج كونج، سريلانكا، إيطاليا، تركيا.. كما زرنا معظم مدن المغرب.. المرابط أيضًا صديقي، فقد ذهب معي إلى الولايات المتحدة ذاتها. وقضينا معًا أكثر من ربع قرن. لم نكن نفترق.. لكن، لست أدري ماذا يقصد شكري، حقًّا، بهذه الجملة: «لم يكن لي أبدًا أصدقاء مغاربة!» هل يريد التمييز بين المغاربة والأوروبيين؟ هل يريد إصدار ظهير آخر؟ ما الاسم الذي سيطلقه عليه؟

ثم إن وضع أحمد اليعقوبي الاعتباري ترقّى. فقد شجعناه، جين وأنا، على امتهان الرسم فأصبح رسامًا ذا صدى عالمي.. ودخلت لوحاته متاحف كثيرة، وكان أول مغربي وعربي وإفريقي ومسلم تدخل لوحته متحف نيويورك.. هذه هي الصداقة التي اعتزُّ بها.. وأنت تعلم أنه سيصبح خليلًا لإحدى أهم السيدات الأميركيات اللواتي ينتمين إلى الطبقة العليا.. فعرف الرقي المادي والمعنوي.. هذه هي الصداقة الإيجابية التي ربطتني بالمغاربة.. ومحمد المرابط نفسه، مكّنته صداقتنا من أن ينقد بعض السرد المغربي الشفهي ويتحول راويًا وكاتبًا معروفًا في العالم.. ويجلب للمغرب العملة الصعبة (ضاحكًا). ثم هو رسام

تتميّز رسوماته بالغنى والعمق.. والعياشي نفسه، ألم تثر سيرته الذاتية صدى في أي لغة ترجمت إليها؟ ألم ينافس جورج سيمبرون بكتابه «حياة مليئة بالثقوب» في الحصول على جائزة أدبية وسيحوز المرتبة الثانية حيث لم يستطع أحد من أعضاء اللجنة أن يخفي سحر السيرة عليه؟ هذه صداقة أعتز بها.. وهي الصداقة ذاتها التي أغنت كتابتي وعلمتني الإيجاز والاقتصاد اللغوي وغير ذلك من الدروس التي أعتبر نفسي مدينًا بها لهؤلاء الأصدقاء.. طبعًا لم أذكر آخرين الذين من فرقة جيلالة (فرقة محلية) والعطار قائد فرقة جهجوكة وغير هؤلاء كثير..

يمكن أن يكون لنا أصدقاء أو لا يمكن. وهو (شكري) هل هو صديقي، أم يعتقد أنه كذلك؟ أعتقد أن هذا الأمر لا يعنيه. ربما، ما يهمّه هو أن يقول إنه يعرفني بما فيه الكفاية ليشرعن أمر الكتابة عني. كأنه يعتبرني رجلًا مهمًّا؟ لكن، لا سبيل إلى شرعنة هذا الفعل. يمكن لآخر أن يكتب عني. أنت مثلًا. لكن، ليس هو. فهو ليس قادرًا على كتابة نص منطقي/ مقنع عني ليقدّم أية إضافة. يمكن أن نلاحظ بسهولة أن صاحبنا لا يعرف لا پول ولا بولز ولا أعماله.

وبالرغم من أني لست متنبّئًا بالورق، مثل شكري، ولا أقرأ الكف، يمكن أن أتنبّأ بمصير هذا الكتيب التافه، المليء بالتحامل وعديم القيمة. لن يعرف ذرة نجاح. لا أحد يكتب كتابًا مليئًا بثرثرة نساء! هذا الكتاب يعتبر وصمة عار في مسيرة شكري الكاتب..

الذي أعتز بترجمة كتابه «الخبز الحافي» باعتباره مواطنًا ينتمي إلى بلد أحببته وأحببت أهله إلى حد جعلت منه وطني..

## الحريگ[1]

**شكري**: «95.8.21

زارت إنكارنا بولز هذا المساء. ما زال يدخن سجائر سوداء محشوّة بالكيف. أخبرته عن تفاقم قرحة المرابط السرطانية. قال لها: «لم يعد يزورني. لا أعرف عنه شيئًا. ليس هناك من هو على صلة بيننا. أعرف أنه سيعاني كثيرًا لأنه كان دائمًا يعطي أهمية كبيرة لمظهره الجسدي». (ص126/127).

**بولز**: هذه السيدة تدعى إنكارنا وقد زارتني لتهديني كتابها. عنوانه (La Casadora) لا أعتقد أن الأمر يتعلّق برواية، بل بمجموعة قصصية قصيرة، بالرغم من أن الغلاف يشير إلى أن الكتاب رواية. موضوع الكتاب المغاربة الذين يعيشون بإسبانيا. هؤلاء الذين لا يتوفرون على ڤيزا والذين يعيشون هناك بشكل «غير قانوني». يخافون الترحيل إلى المغرب. يبذلون قصارى جهدهم لكي يفلتوا من الحرس المدني. هذا موضوع هذه المجموعة القصصية. لم تزرني هذه السيدة في السنة الماضية، ولكن خلال هذه السنة (1996)، وأعطتني كتابها. لقد حصل ذلك سنة (1996). لكن المضمون الذي تحدث عنه صاحبنا لم يدرْ بيننا. لم نذكر

(1) عبارة تعني الهجرة السرية حيث يلجأ المهاجر السرّي إلى إحراق [بطاقة] هويته قبل الهجرة إلى الضفة الأخرى حتى لا يتمّ إرجاعه إلى «وطنه»، نقطة انطلاقه.

المرابط. ولكن قد أفهم أن موقف شكري تحكمه مقولة قتل الأب، كما يقول بعض أصدقائي، لكن كيف نفهم الموقف ذاته من المرابط، وهو الذي يتأثّر كثيرًا لوضع شكري؟

نعم هذه السيدة كاتبة. كانت تسكن هنا، قبل عشر سنوات. لست أدري هل كانت متزوجة بمغربي، كانت تعيش معه، أم كانت مرتبطة به فقط. الشرطة المغربية، أرغمت هذه السيدة على مغادرة المغرب. ربما، لم تكن تقيم في البلد بشكل قانوني، وهو ما يؤكد أنها لم تكن متزوجة بهذا المغربي. فما علاقة ما كتبت بوضعها؟ لكن هذا الأمر لا يهمني، سواء كانت متزوجة أم لم تكن كذلك. إنها ليست صديقتي. إنها صديقة السيد شكري.. ويبدو أن هذه السيدة صحافية تكتب بالجرائد الإسبانية ولها اهتمام بالمغاربة المهاجرين وبالمغرب وبالعالم العربي والمرأة العربية وربما بالـ... الإسبانية..!

## أميركي في المغرب

شكري: «إنه [بولز] يؤكد لا وطنيته حين صرّح لعمار الجندي (مجلة الوسط (9): «لست أميركيًا أو مغربيًا. أنا زائر للأرض. عليك أن تكون مسلمًا لكي تحيط بالمغرب وتنتمي إليه». ويقول بيتر أوين: «إن پول بولز يعرف المغرب أفضل من المغاربة»! (ص128).

بولز: من غير المنطقي أن أقول: «لست أميركيًا أو مغربيًا. أنا زائر للأرض».

كل الناس يعلمون أنني أميركي. لماذا يلحّ على أني لست أميركيًّا؟ أنا لست مغربيًّا. ولم أكن، في يوم من الأيام، مغربيًّا، ولا يمكنني أن أكون مغربيًّا. فالقضية قضية تربية، تقاليد.. إنني ما أزال أميركيًّا، وما تزال تربطني بأميركا عدة روابط (ذكريات مرحلة الطفولة، الأصدقاء، النشأة، وكيلا أعمالي الأدبية والفنية..) ولكنني أقطن المغرب، ولذلك تربطني روابط متعددة بالمغرب (الإقامة، الأصدقاء، نمط العيش، الراحة النفسية، وهو البلد الذي قضيت به أجمل لحظات عمري وفتح لي أفق الإبداع الأدبي..) فكيف يمكنني أن أقول كلامًا ينكر انتمائي لأميركا وللمغرب؟ مبعوث لأداء مهمة على الأرض، هل أنا مبشِّر! لقد نسي أن يتهمني بأنني مبشِّر كاثوليكي أو بروتيستانتي. خَلَف فوكو. ليس مشيل بل الأب المعروف (ضحك). يا للحماقة. لم يبعثني أحد إلى الأرض. إن شكري لا يفهم معنى الكلمات.

أحسّ أنه يلحّ على أمر كون پول بولز لا يعرف المغرب. يلحّ على هذه الجملة: «عليك أن تكون مسلمًا لكي تحيط بالمغرب وتنتمي إليه». يبدو لي أن شكري يخشى أن أقول، ذات مرّة، إنني أعرف المغرب، أو أن يقال عني «إن بولز يتميّز بمعرفة عميقة للمغرب». ألا يستشهد بجملة بيتر أوين: «Paul Bowles knows Morocco more than Moroccans» (إن پول بولز يعرف المغرب أفضل من المغاربة). لكن لا يجب على شكري أن يحمل هذه الكلمات على محمل الجد. فليطمئن. فأنا نفسي، أصرح علنًا ورسميًّا

أنني لا أعرف المغرب معرفة عميقة. أقول ذلك بصراحة يا سيد شكري... أعرف أنه من الصعب الحديث مع شكري أو مناقشته لأنه ذُهاني هذياني. إنه يرى كل الأشياء بطريقة مخالفة، غير طبيعية، منحرفة. لا نعرف عمّا نتحدث عنه عندما يكون شكري موضوع حديثنا. قد يبدو الأمر غير عادي أن أقول: إنني لا أعرف المغرب (وهذا يرضي شكري، كما يرضيه الكذب ومجانبة الصواب والواقع) وذلك بالرغم من أني أعيش، هنا، منذ أكثر من نصف قرن. المغرب يتغيّر، الواقع يتغيّر، وشكري؟..

## قتل الأب

يبدو لي أن شكل كتابات شكري يبين قصد صاحبها. هذه الكتابات لا شكل لها. يمكن القول إنها نزوات/ تخيّلات. لا يمكن القول إنها تتخذ شكل ذكريات/ مذكرة، أي أن شكري لا يتذكر، بالضبط، أحداثًا أو أحاديث. فهو لا يتذكر شيئًا حدث أو قيل. إنه يختلق، ليتلذذ. لذلك أقول إن هذه الكتابات نزوات/ تخيّلات. لا يتعلّق الأمر بمذكرات/ يوميات. فالمذكرات (اليوميات) لها خصائصها التي تجعل منها جنسًا أدبيًّا، رائعًا ومستقلًّا. هل يتعلّق الأمر بجنس أدبي جديد ابتكره صاحبنا؟ ألا يحاول شكري أن يثبت أنني غير موجود، بل إنني لم أوجد أبدًا، أو أن لا قيمة لي؟ إنني لا أقول عكس ذلك، فشكري، بالتأكيد، على حقّ! فهو معصوم... كل ما يمكن أن أقوله: إنه يقدّم البرهان على أنه لم يعرفني أبدًا. إنه يعاملني كشيء وليس كشخص. وهذا الشيء، وفقًا

لذهانه الهذياني، هذا الشيء الذي هو أنا موجود ليزعجه ويقف، كعائق كبير، في طريقه. طريق يؤدي لست أدري إلى أين، لأنني لا أدري ما هي وجهة شكري. عندما أقرأ ما كتب، ألاحظ أني لا أعرف (أو لا أذكر) أي حدث من تلك الأحداث التي يذكرها، لا أفهم عما يتحدَّث. ألاحظ أنه لا يتحدَّث عن الشخص الذي يتخذ منه موضوع حديثه ـ والذي هو پول بولز ـ كشخص. كائن بشري يفكر، يتأمل، يتطور.. ألا يقدّم شكري صورة عن نفسه، ما دامت الكتابة مرآة؟

كثير من معارفي حدثوني، فعلًا، عن محاولة قتل الأب، من لدن شكري، العقدة الشهيرة التي حلّلها فرويد، يونغ... يقولون إنني أُعتبر والده لأنني كنت أول من ترجم كتابه، ووضعه على السكة. لكنني لا أريد أن أكون أبًا لابن عاق (مسخوط، قالها بالعربية) (ضحك). هو نفسه ينكر أني ترجمت كتبه. حسب رأيه لم أترجم «خبزه الحافي»؛ سيرته الذاتية. وذلك بالرغم من أن الكتاب صدر وهو يحمل هذه الإشارة: تُرجم عن الإنجليزية من لدن السيد فلان. لكنه يقول: إن الأمر لا يتعلّق بترجمة، لأنني غيّرت كل شيء، وبذلك أصبح الكتاب ليس كتابه. اكذب. اكذب. اكذب، حتى تصدّق كذبتك ويعتقد الآخرون مثلك إنها حقيقة! إنها المزايدة. طيلة عقدين، كان الكتاب كتابه، ثم، فجأة، لم يعد كتابه. لقد مُسِخ. إنها طريقة لقتل الأب. وقد ألِف قتل الأب. إنه محترف... على أية حال، يجب أن يكون المرء محلّلًا نفسيًّا ويتحدَّث مطولًا إلى شكري لمعرفة ما يدور في رأسه...

بالنسبة إليَّ، لا يوجد في رأسه شيء. الضباب، الكحول، الضغينة، السراب، الشيخوخة قبل الأوان، عدم الشعور بالأمان، وتوابل لا أستطيع الكشف عنها. . . لكنني يمكن أن أقول لو حمل كلامه محمل الجد، لوجب أن ننعته، بسهولة، بحالة مرضية. وهو بالطبع، لا يستطيع أن يحمل كلامه محمل الجد. وأنا أيضًا لا يمكن أن أحمله ذات المحمل. لذلك أقول يجب أن نمنحه الوقت الكافي لتدمير ذاته. لا يجب مساعدته. يجب أن نترك له الحبل ليلعب به ما طاب له ذلك. هو سيشنق نفسه به.

لا أرى أي خيط منطقي يربط بين ما يكتبه شكري. لكن لا يمكن أن نتحدث عن منطق فيما يخصّه. بالنسبة إلي هو مصاب بالفُصام؛ لكن لا يجب أن ننتظر شيئًا منطقيًا مما يقوله وفيما يقوله. كل ما يفعله، كل ما يقوله هو خلاصة مشاعره. إنه يعتقد أنه قادر على ترجمة نزواته إلى حقائق! واحسرتاه! لا يمكن أن يحقّق هذا الحلم، وهذه الأمنية، وإلّا أصبح الأب نويل! (Père Noël).

شكري: «لكن پول كان يعمل باستمرار ولا يكاد ينقّح ما يكتبه (حسب زعمه) مثل جاك كرواك الذي يقول أيضًا بأنه لا يكاد ينقّح كتاباته، لكن ناشره مالكوم كوولي Malcom Cowly يكذّب ما يقوله كرواك عن نفسه؛ لأنه ينقّح كثيرًا لكي يكون النصّ جيدًا. لكأنما كل تنقيح يُفقِد العمل بكارته التي يحبّها كرواك وبولز». (ص129/130).

بولز: بالطبع، لأنني عندما أكتب، أكتب بعناية فائقة. وعندما أنتهي من فقرة، أكون قد انتهيت منها مرّة واحدة

ولن أعود إليها أبدًا. لا أكون في حاجة إلى إعادة كتابتها. ثم أرقنها على الآلة الكاتبة. لن أعيد كتابتها لأنها لا تحتاج إلى إعادة كتابة. لا أصلِّح أي شيء، لأنني أكون قد صححت كل شيء وأنا أكتب. لم أستطع أبدًا أن أكتب أكثر من صفحتين في اليوم الواحد.

المثير في الأمر أن السيد شكري وإن أثار هذه القضية من دون استعمال عبارة يفوح منها الغضب وهي «حسب زعمه»، فهو يبدو أنه غضب من تسامحه مع والده فعاد إليها (القضية) متّخذًا موقف الولد العاقّ: «إن ما دمر جين هي عدميتها مع نفسها [. . .] كل شيء ينبغي خلقه. بالنسبة إليها ليست هناك تسلية أو عزاء في الحياة اليومية. وكتابتها كانت خلقًا وليس تقليدًا، ولذلك عجزت عن أن تتمّ الكثير مما تبدأه. أما پول فلم يكن ينقح كثيرًا ما يكتبه كما يقول هو». (ص54).

## طنجة المغربية/الأوروبية

شكري: «إن بولز، اليوم، جِد متحسر على ما حدث من تبدل في طنجة (والعالم طبعًا، رغم بعده عنه)». (ص133).

بولز: يقول أيضًا، وهو يقوّلني ما شاء «كانت الحياة جميلة جدًّا..» هكذا يجيب بصيغ مختلفة كل من يسأله عن هذا الخلود الطنجي الذي لم يندم عليه، رغم حسرته على ماضي طنجة (ص11).. لكن، كل الناس يمكن أن يلاحظوا أن طنجة، الآن، أقل جمالًا مما كانت عليه. لقد أصبحت هذه المدينة

بشعة بما فيه الكفاية. لذلك لم أعد أحبها كثيرًا. لقد أصبحت أقل جمالًا وأقل نظافة. صحيح أنه تمّ تغيير واجهات المنازل، في المدينة. وقد تمّ السعي إلى التحديث، والتحديث يعني التأورب، تأورب الهندسة وأشياء أخرى، وهذا لا يقود (دائمًا) نحو الجمال. إذا استثنينا الجانب البصري، فذلك لا يعنيني في شيء. فالحياة تتابع مجراها كالعادة. ليس صحيحًا أنني لا أحب طنجة اليوم، وأنني أحب طنجة سنوات الأربعينيات والخمسينيات. ليس صحيحًا. المغاربة أيضًا يجمعون على أن طنجة اليوم أقل جمالًا وأقل نظافة. أما إذا قصد صاحبنا أنني كنت أحب طنجة الثلاثينيات، التي لم تكن تحت حكم المغاربة، وأنني لا أحب طنجة اليوم، لأنها مغربية، أوضح وأؤكد أن هذه فكرة شكري. لم أقل هذه الفكرة أبدًا. هذه فكرة عقيمة، لا طائل تحتها، وهي غير بريئة لأن الهدف من ورائها هو التحريض. إنها تبعث مناخ محاكم التفتيش...

يجب أن أقول إن طنجة اليوم هي أقل مغربية من طنجة زمان. ليست مغربية بقدر ما كانت مغربية [في السابق]. إنها يُنظر إليها الآن كمدينة أوروبية: الحانات، المراقص، اللباس... كيف يمكن لشكري أن يقول إن المدينة أصبحت مغربية؟ لو قصد أنها أصبحت مستقلة [خاضعة للنفوذ المغربي] لكان على حق. وأوافقه على ذلك... لكن طبيعة الحياة قد اتخذت مجرى أوروبيًا.. لعل شكري يخلط كل شيء، ويدخل «السياسة» حيث لا مكان لها ولا دور، لكي يعطي للأحداث مجرى آخر.

أود أن نتأمل أقوال شكري التالية لنرى موقفه من طنجة بين زمنين:

- «قرب منزلي، اعترضني اثنان. تركتهما يسلبانني ساعتي دون أن أقاوم وأعنّف معهما. أحدهما ضحك ضحكة استهزائية. إنهما من السافلين. لا عليهما. كانا منتصرين. وكنت أضعف من أن أدافع عن نفسي. فكرت: ما جدوى أن أستغيث بحارس مقهى روكسي؟ إنه عجوز؟ [...] سبق لحارس الحي المجاور أن طارد لصّين كانا يحاولان سرقة سيارة. في اليوم التالي كانوا أربعة. كتّفوا له يديه ورجليه ودعكوا له أوراقًا في فمه، وحشوا له «السبسي» الذي يدخّن به كيفه في أسته. هذه هي الحراسة في حارتي: «شوف واسكت». كانا يسلبانني كل ما أملك وأذن أحدهما قريبة من فمي. كلا. سيسلخانني إذا أنا عضضتها له، أما إذا بترتها فحتمًا أنهما سيقتلانني. ثم هناك السبسي والأوراق المدعوكة في الفم [...] إن للسرقة نشوتها. سبق لي أن شعرت بها عندما شاركت في سرقة حانوت في الترنكات. في تلك الأيام لم تكن تتم السرقة بحشو السبسي في الأست والأوراق المدعوكة في الفم. كان للسرقة أخلاق». (ص78/79).

- « ليل طنجة ـ الأسطورة أتعبني تشيؤه، أغثتني حثالته المجرمة حتى لم أعد أتقيأ في الصباح إلّا الصفراء». (ص81).

ألا نقف هنا على انتقاد واضح لطنجة في زمنها الراهن؟..

شكري: «بين طنجة الأمس، وطنجة اليوم، هناك الحالمون بها على الدوام، رغم خيبة أملهم فيها. وپول بوولز هو أكبرهم. إن الانتحار، بالنسبة للياباني، انتصار وليس انهزامًا، لكن پول ينهزم دون أن يخوض معركة ما في شجاعة، معنويًا وجسديًا، عندما يقول: «لا شيء ينتظر إلّا الموت». (ص130/131).

بولز: إنه غريب هذا الرجل! عندما يكلّف نفسه عناء شرح أمر انتحار الياباني باعتباره انتصارًا وليس هزيمة. وأن پول ينهزم دون أن يخوض معركة (هاأنذا أخوضها.. ضد زيف شكري (ضحك)). هل يريد أن يثبت أني لست يابانيًا؟ طبعًا لست يابانيًا، هذه حقيقة. لقد صدّق، لأول مرّة، بالمصادفة!

إنه يتحدَّث، هذا كل ما يفعله. لا يكلّف نفسه شرح أي شيء... لا يجب أن نطلب منه أكثر مما فعل... وحتى عندما ينسب إليَّ كلامًا ويضعه بين مزدوجتين فهو لا يحيل على مصدره إلّا لمامًا. ومعنى ذلك أن كل استشهاد لم يوضع أمامه مصدره ورقم الصفحة هو كلام من اختلاق شكري لهدف معين.. غير شريف على أي حال..

## قدر الموت

شكري: «پول ينهزم دون أن يخوض معركة ما في شجاعة، معنويًا وجسديًا، عندما يقول: «لا شيء ينتظر إلّا الموت. ما زلت أنتظر موتي في طنجة. هذا أكيد». وأيضًا:

«الآن لا شيء يمكن أن يحدث ما عدا الذي يجب أن يحدث». أو: «الإنسان ليس له سوى أن يموت Man muss nur sterben كما فكرت بذلك ديزي Daizy في مونولوجها. (ديزي شخصية من رواية «دعه يسقط»).

إن أنتيوس، قبل أن يموت، صارع هرقل، أما پول فإنه استسلم للقدر ولم يعد ينتظر إلَّا ميتة جميلة، تَليق بقدر كفاحه الإبداعي». (ص131/130).

بولز: يتحدَّث عن الموت. كلّ من عليها فان. هذا عندي سيّان. يبدو لي أن الإنسان ليس مرغمًا على فعل أي شيء، بل هو مرغم على الموت. معنى ذلك أنه حرّ في فعل أي شيء يرغب فيه، لكنه ليس حرًّا في أن لا يموت أي يرفض الموت. لأن طبيعة الإنسان هي الموت، وعليه أن يموت.

لم أستطع فهم منطق شكري. لم أفهم ما يريد قوله، حقيقة. معنى جملتي: «ما زلت أنتظر موتي في طنجة» ومعنى فكرة ديزي «Man muss nur sterben، (ليس لإنسان إلَّا الموت)». المعنى هو التالي: ليس الإنسان مرغمًا على أداء عمل ما مثلما هو مرغم على الموت. كل من عليها مرغم على الفناء. هذا هو معنى العبارات. الموت ضرورة، حاجة. الموت هو القدر المشترك بين الناس وهو قدر كل إنسان. هل لشكري بديل آخر؟ نلاحظ أنه يقوم بتجميع الجمل من دون رابط منطقي بينها. يجب أن نخوض معركة ضد أي شيء؟ ضد الموت؟ لا. ضد المستقبل؟

شكري: «أظن أن پول، من خلال عشرتي معه، التي دامت حوال ربع قرن، لم يكن يعطي كبير اعتبار لما ينتجه هو بالذات أو لما ينتجه أحد ما. المهم أن تعمّ الجودة وتتكاثر: جودة النتاج ولا يهم من ينتج. كان يشجع هذا المبدأ». (ص133/132).

## ترجمة وڤودكا

بولز: عندما يقول إنه يعرفني منذ ربع قرن، أجيبه: هذا كذب. لقد تعرّف إليَّ قبل ربع قرن، نعم. لكن لا شيء يجمع بيننا. لم نعش معًا مدة معينة. لم نقض أبدًا فترة معينة معًا. كان يزورني، بين الفينة والأخرى، عندما كنا نشتغل على «الخبز الحافي» والكتب الأخرى، وذلك طيلة سنة وبضعة أشهر. وكان يأتي ليشرب الڤودكا. على أية حال لم تكن بيننا صداقة قوية، بل لم نكن أصدقاء. هو كان يشرب كثيرًا. أنا لم أكن أشرب أبدًا، كمغربي حقيقي (ضاحكًا). لا يمكن أن أكون وديًّا جدًّا مع سكّير.

عندما انتهينا من الترجمة وشرب كل زجاجات الڤودكا، لم يعد يزورني. لم يعد لديه مبرر للزيارة. إذن لا مبرر لديه ليقول إنه عاشرني ربع قرن. هذا كلام خاطئ تمامًا. زد على ذلك أنه يعرف ذلك هو أيضًا. لكنه يقوله ليصدّق الناس ما سيقوله عني. لذلك أقول دائمًا إن محمد شكري رجل ذكي جدًّا. إنه لا يعرفني جيدًا. ولا أعرفه جيدًا، أنا أيضًا. ورغم ذلك يسمح لنفسه بأن يقول: «أظن أن پول، من خلال عشرتي معه، التي دامت حوالي ربع قرن...».

## مغرب ومغاربة

شكري: «بول بولز أحبّ المغرب، لكنه المغرب الذي جاءه العام 31». (ص134).

بولز: إذا كنت لا أحبّ مغرب اليوم، فلماذا بقيت مقيمًا به؟ ما دام ليس هو مغرب العشرينيات، ولا الثلاثينيات، ولا مغرب الخمسينيات، ولا الستينيات، ولا هو مغرب سنوات السبعينيات ولا الثمانينيات! إنه يريد غرز الفكرة الخاطئة القائلة إن المواطن پول بولز لا يحبّ المغرب، بل لا يحبّ المغاربة. ونجده، من جهة أخرى، يقول ذلك، بصراحة. كيف علم بذلك؟ الله وحده يعلم ذلك. لعبة الشوافة. لقد تعبت من الأكاذيب الشكرية. من الصعب تصحيح كل هذه الأكاذيب. أكاذيبه... أعتقد أنه يرغب في أن أقول إني لا أحب المغرب! للأسف، لا يمكن أن ألبّي رغبته! وعندما يقول عني إني أحب مغرب السنوات الثلاثين، هل يقصد بذلك إن المغاربة لم يكونوا موجودين، في تلك الفترة من التاريخ؟

لو أراد أن يقول إن مغرب الثلاثينيات كان طبيعيًّا، نظيفًا، تقليديًّا (بمعنى أصيل)، أجمل [مما هو عليه اليوم] لقلت عندئذٍ نعم، هذا صحيح. إني أحب البلدان الجميلة والأصيلة كسريلانكا. هناك، توجد كثرة النبات. مما يجعل منها بلدًا جميلًا. هنا، المدن هي الجميلة جدًّا. إني لا أتحدث عن الدار البيضاء، ولا عن الرباط. لكنني أقصد مدنًا مثل فاس، مراكش، تارودانت، الراشيدية...

شكري: «لم يحبّ أبدًا المغاربة. وإذا لم يحبّهم فلماذا سيبذلون هم أيضًا أي مجهود ليحبّوه؟». (ص134).

بولز: ها هو يفصح عما يسكن لا شعوره.. هذا بيت القصيد.. سلوك المشرفين على محاكم التفتيش.. ثم إنني لم أقل أبدًا إن على المغاربة أن يبذلوا الجهد ليحبّوني. الأمر عندي سيّان سواء أحبوني أم لم يحبّوني. وجودي بينهم يكفيني.. وكلام شكري هذا يدل على أنه لا يعرفني البتة. ثم من أكون حتى يحبّني المغاربة؟ لست نجمًا كالسيد شكري. في الغالب، لا نحب إلّا من نعاشرهم، إذ تتقوى معرفتنا بهم لأننا نفهمهم ويفهموننا. وإذا قال إني لم أبذل جهدًا في هذا المجال، كيف يمكن أن يفسر أني أعيش محاطًا بالمغاربة، وأني أستقبل، في بيتي، يوميًا المغاربة؟ يمكن لأي كان أن يلاحظ أن زواري من المغاربة، يوميًا، يفوق زواري الأجانب. وأخيرًا، فليقل ما يريد، لأنه هو نفسه لا يصدّق ما يقول.

### عداء عداء

شكري: «بعد موت جين كتب پول من طنجة (1973/5/11) إلى أدري وود Adrey Wood: «الآن لم يعد شيء يستبقيني هنا، ما عدا العادة، لكن من المحتمل أن أبقى حتى ترغمني ظروف خارجية على الذهاب، وأنه في كل مرّة رجعت إلى الولايات المتحدة تبين لي أنه المكان الذي يقل حبي للعيش فيه». (ص168).

بولز: لا يفهم ما وددت قوله، كالعادة. كنت أتحدث عن

ظروف ترغمني على مغادرة المغرب. ليس لأن المغاربة لا يحبّونني، أو أنني لا أحبُّ المغاربة، لكن، لأن الظروف السياسية يمكن أن ترغمني على مغادرة المغرب. (فقد عرف المغرب آنذاك محاولتين تستهدفان استقراره. . .)[1]، وليس لأنني السيد الفلاني (پول بولز)، لكن لأنني أجنبي. هذا كل ما في الأمر[2]. . .

كنت أفكر، في حقيقة الأمر، في بعض الاتجاهات السياسية، في الأصوليين. . . ذلك أنه منذ أن تعرّفت إلى السيد شكري، كان يظلّ يكرّر على مسامعي: «إنهم لا يرحبون بوجودك بين ظهرانينا. إنهم يريدون قتلك». لقد شرع يقول هذه الأشياء منذ السنة الأولى التي تعرّفت فيها عليه. شرع يقول:

- « - المسلمون يريدون موتك.

كنت أقول له:

- كيف عرفت ذلك؟

(1) يقصد بولز الانقلابين العسكريين اللذين استهدفا الملك الراحل الحسن الثاني سنة (1971) وسنة (1972).

(2) هل يجب أن أشير إلى أن الفرنسيين اعتدوا عليَّ لمجرد أني الأجنبي الوحيد الذي رفض مغادرة فاس لما حاصرها جنودهم وهمّوا بالاعتداء على المواطنين المغاربة وذلك لكي لا ينقل أحد جرائمهم؟ وقد تشبثت بالبقاء في فاس لنقل وقائع الجريمة. وقد نقلت بعض تفاصيلها في روايتي «بيت العنكبوت» التي أغاظت الفرنسيين ورفضوا ترجمتها (وترجمتها مؤخرًا صديقتنا كلود توما) وترجمها في حينها، 1955، الأسبان ليغيظوا فرنسا..

كان يجيبني قائلًا:

- هذا الأمر معروف في مصر... وهو كذلك هنا...

بل كان يهدّدني قائلًا:

- وجب عليك أن لا تبقى هنا لأنهم يكرهونك...».

لم أكن أعلم ما المصدر الذي كان يعتمد عليه ويستقي منه معلوماته تلك. كان يبدو لي أنه يعرف كل شيء، وأنني لا أعرف أي شيء. كان يظلّ يكرّر على مسامعي هذا الكلام. فيما بعد، سألت بعض المغاربة، من معارفي، عن درجة صحة أقوال شكري، فقالوا لي: «ليس صحيحًا أنك مكروه، وأن هناك رغبة في قتلك». الآن، أستخلص أن شكري هو من كان يريد ذلك ويريد فعله. وهذا يؤكد موقفه العدواني ـ منذ زمن بعيد ـ تجاهي.

كل هذا يذكّرني بشيء شبيه بما نتحدث عنه الآن، عندما كان شكري يحدثني ـ منذ زمن بعيد، طبعًا ـ عن جان جينه. كان يحدثني دائمًا عمّا يقوله له جينه، وعما يفعلانه، وعندما أحدّثه عن تقديمي لجان جينه، كان يجيبني:

- « ـ جينه لا يريد رؤيتك أبدًا لأنك أميركي!».

ولم أكن ألحّ عليه.

لكن، الآن، أعتقد أني أعرف لماذا لم يرد أبدًا تقديمي لجان جينه، الذي أعتبره كاتبًا كبيرًا.

ولعلك تذكر أنك قرأت في كتاب إدموند وايت الخاص

بسيرة جان جينه [جان جينه، سيرة. إ. وايت، (1993)، ألفريد كنوبف، نيويورك، الطبعة الأميركية] «أن بولز لم يسع أبدًا للّقاء بجينه لأنه سمع أن جينه كان يكره الأميركيين البيض من الطبقة الوسطى». (ص500)[1]. طبعًا لم تكن هناك أي قناة مباشرة (ضحك) بين جينه وبيني إلّا السيد شكري..

أعتقد، أيضًا، أن كل ذلك يمكن أن يتضح من خلال هذه الجمل التي لا يتوانى يكرّرها، مؤخَّرًا، ومفادها أنه كان فقيرًا منحدرًا من أسرة فقيرة. لكن پول منحدر من أسرة غنية! ولا شيء يجمع بيننا. من المذنب؟ هو الشيطان أم أنا؟

## في الحاجة إلى فرويد ولاكان

**شكري**: «إن آفة پول بولز هي أنه لا يميّز كثيرًا بين الماضي والحاضر، في حياة البلدان وشعوبها، رغم تجواله الكثير. أما المستقبل فهو منعدم بالنسبةِ له. بمعنى آخر، هو يريد أن يعيش في عالم بدائي ثابت ولكنه متحضر. كيف يمكن ذلك؟ إنه لا يعرف كيف يجيب رغم أن هذا الطرح من بين طروحاته عن البشرية». (ص135).

**بولز**: لا وجود لذرة منطق تبرر قوله هذا. لا يمكن أن يطلع على النيات، ولا أن يحاكمها. كما لا يمكنه أن يكشف

(1) وقد صرّح بولز بهذا الرأي خلال حوار أجراه معه وايت سنة 1988، انظر هامش الفصل الثامن عشر (ص: 692).

خبايا العالم، أيضًا. أنا، نفسي، لم أستطع أن أفهم ما يريد قوله. لا يمكنني فهم هذه الجملة: «لا أعنى بالمستقبل» ولا هذه أيضًا: «أريد أن أعيش في عالم بدائي ثابت (كالمغرب؟، لاحظ أنه لا يذكر بلدًا بعينه).. » هذا أمر متناقض، ولم أستطع ولا أستطيع، أبدًا، أن أجد تفسيرًا مقبولًا له.

**أولًا**: المغرب ليس بلدًا بدائيًا، حتى لمّا زرته للمرّة الأولى، سنة (1931)، لم يكن «بدائيًّا»؟ **ثانيًا**: كيف يمكن لعالم بدائي أن يصبح عالمًا متحضرًا؟ **وثالثًا**: أنظر إلى هذه الخاتمة: «لكي يروقني». من الصعب، حقيقة، أن نتبين كيف يفكر، وهل ما يزال يتمتع بعقل؟ وهذا هو الجانب الجارح/المزعج في كلام شكري: تعاني عباراته من داء فقدان المنطق. لا يمكنني أن أتبين لماذا يفكر بهذه الطريقة، ولا لماذا يقول ما يقوله. لست لا السيد فرويد ولا السيد لاكان..

إن شكري يستخلص خلاصات ليست نابعة من تحليل واضح لمعطيات بعينها، بل من تحليل هواجسه الخاصة: «كتابتي حنين إلى الفترة الاستعمارية». لم يستطع ناقد، حقيقي أكاديمي أقصد، يمحّص النصّ أن يخلص إلى هذه الخلاصة الجنائية، قبل السيد شكري. وقد قُرِئت نصوصي في ظلّ مناهج عدة وما استطاع ناقد حقيقي أن يكتشف ما اكتشفه الناقد شكري؟ كل ما أود قوله: إنني أرغب في أن يعيش شكري فترة استعمار (في بلد آخر غير المغرب (ضحك)) ليعرف كيف يمكن أن يروقه. في أحاديث صحافية مختلفة يمتدح شكري الفترة

الاستعمارية: يقول إنه كان يعثر على الطعام في مزابل الكافرين (وهذه نقطة إيجابية للفترة الاستعمارية، من وجهة نظر شكري المؤرخ) بينما يقول في مكان آخر إن المغرب كان يعيش المجاعة... أرغب جيدًا في معرفة الأسباب التي تدفع شكري أن يقول مثل هذه الأشياء، وأعتقد أن جهله بموضوع حديثه هو السبب الحقيقي في خلو كل جمله من كل معنى. بالطبع، إنه من الكلام المبتذل أن أقول: إنني أرفض كل أشكال الاستعمار لأن الاستعمار بغيض بطبعه... إنني لا أحب أن أكرّر هذا الكلام الشعاراتي لأنني لست حزبيًّا ولا أبحث عن مصلحة أيًّا كانت طبيعتها.. أعتقد أن شكري يتحدَّث بهذا الشكل لأن هذا الموضوع هو أحسن المواضيع التي تمكّنه من مهاجمتي (وتسجيل بعض النقط، على وجه الاحتمال، باللجوء إلى الكذب!) وهذا ليس بالأمر الجديد. فشكري على علم بما قاله الطاهر بن جلون عني بجريدة «لوموند»، خلال فترة السبعينيات[1]. لقد قال: إنني استعماري جديد، وإنني جئت، إلى هنا، لاستغلال المغاربة!.. وشكري يعيد كل هذا الكلام ـ بعد ربع قرن ـ مضيفًا أنني أقيم هنا لسرقة المغاربة. لأجرّدهم من أموالهم، وأفكارهم... وكل ما يمكنهم أن يعطوني إياه.

(1) يقصد بولز مقالة بن جلون: «تقنية اغتصاب»، جريدة **(Le Monde)** الفرنسية ليوم 19 يونيو/حزيران 1972.

## المغاربة.. أصدقائي

شكري: «هذا العداء، إن كان موجودًا من طرف المغاربة له، خلقه هو ولم يخلقه المغاربة تجاهه. ومعلوم أن پول، أينما يكون، يعيش دائمًا في حالة حصار وبارانويا. إنه يتوهّم أن هناك دومًا من يتجسس عليه ويتوجس به شرًّا مثل سلب ماله، مثلًا، الذي يتحدَّث عنه بتقديس وعبادة». (ص140/141).

بولز: لم أشعر أبدًا أن المغاربة يتخذون مني موقفًا عدوانيًّا، ولو لم يكن الأمر كذلك لما أقمت بين ظهرانيهم، سنوات عدة... حتى الموت، بلا ريب.. الإنسان الأول والوحيد الذي حدثني عن الموقف العدائي هو شكري ذاته. لكنني لست مصابًا بالذهان الهذياني أيضًا... لست رجلًا مهمًّا لدرجة أن المغاربة يتجسّسون عليَّ... وأشعر، صادقًا أن المغاربة أصدقائي.. ثم إننا لا نقيم في مكان معين، بشكل نهائي، إلَّا إذا كنا، على يقين، أننا نعيش بأمان، وأننا نعيش في انسجام مع المحيط... ألا نرى آلاف المواطنين يفرّون من بلدهم نفسه، في فترة الأزمة، النزاع الحدودي، الحرب الأهلية...؟

# جين بولز

## نصيب جين

الغريب أن صاحبنا يتحدَّث كثيرًا عن جين. هل يمكن أن يقول شيئًا مهمًّا عنها؟ في الحقيقة، لم يتعرّف عليها أبدًا، ولا رآها. الغريب، أيضًا، أنه تجرأ على الاعتراف بذلك، بفضل الله. لكنه لم يجرؤ على القول إنه لم يقرأ أبدًا أعمال جين، وأنه اكتفى بانتحال كل المعلومات، الأفكار المتعلّقة بجين من كتاب مليسنت ديلن. إن حقيقة ما ذكره شكري عن جين، في كتابه هذا، هو التكرار، الحشو، الكذب، بتر الأفكار والميل نحو التهويل في المعلومات التي التقطها... جمعها.. لعل ذلك هو أسلوب السيد شكري لكي يمحو آثار انتحاله لأفكار مليسنت، أقصد إقدامه على إضفاء الطابع الشخصي عليها عن طريق ما تمتُّ الإشارة إليه.

**شكري**: «لعل انتحار جين بولز العقلي، البطيء، هو الذي قادها إلى الإفراط في الشراب، والمسكّنات وخليط من الأدوية». (ص60).

**بولز**: الحديث عن الانتحار العقلي لجين يتعلّق بشيء

يتجاوز الثرثرة الخفيفة. إن الأمر يتعلّق حقيقة بقول أحمق، ذلك الذي يتحدَّث عن انتحار. والحقيقة، إن صاحبنا يؤكد بالملموس أنه لا يعرف شيئًا عن جين وأنه يجهل كل شيء عن أعمالها. جين، كانت تفرط في الشراب منذ مرحلة الشباب، وكم كان موضوع الشراب مَثار خلاف بيننا.. ثم ألا يميل شكري إلى السهولة، الكلام الأخرق/ المحال ذاته (عندما يتحدَّث عن الحفلة التي أحيتها باربارا هاتن..)

شكري: «جين تتماس ولا تلتقي حتى مع نفسها. إذا هي دعيت إلى سهرة فقد تقضي أكثر من ساعة متردّدة بين أن تلبس هذا الثوب أو ذاك، حسب رواية مدام جيروفي. لكن پول يذكر أكثر من هذا: فقد كتب في رسالة إلى أبويه رينا Rena وكلود عن حفلة تشريفية Gala من طراز ألف ليلة وليلة أحيتها باربارا هاتن Barbara Hutton حضرها مائتا ضيف جاء كثير منهم من لندن وباريس - حسب قوله: «بما أننا استلمنا دعوة، فقد حضرنا، وجين قضت أسبوعًا مشغولة في إعداد أزيائها. يمكن لكما أن تتصورا التهيج! آن (هارباش Anne Harbach) أوصت على لباس سهرة جديد للمناسبة. في كل ساعة كانت هناك استشارة هاتفية وجين غيّرت رأيها على الأقل عشرين مرّة حول ذهابها أو لا ذهابها. أخيرًا ذهبنا وكل شيء كان على ما يرام». (ص51/52).

بولز: ويجب أن أقول إننا لبّينا دعوتها مرات عديدة. يركّز صاحبنا على اختيار جين زي حضور الحفل كأنه فعل موحٍ في حدّ ذاته. قد يكون فعلًا موحيًا ينبئ عن «أهمية المحلّل» ذاته

(الذي يعنى بهذا الفعل). يعمد إلى التركيز على أعمال جين الأدبية والمزج بين الرجوع إلى عناصر السيَر الذاتية وتحليل هذه الأعمال. إن هذا الذهاب والإياب بين الكتابة والسيرة، أي بين كتابات جين وبين التقاط عناصر دالة من سيرتها عمل مخصّب وثري، ولكن هل هو قادر على ذلك؟

أود أن أثير الانتباه إلى أن جين لم تُعْنَ كثيرًا باختيار زي السهرة بل هي ظلت متردّدة في حضور الحفل أو عدم حضوره. لو كان شكري يفهم ما «يقرأ/يسمع» لكان مكّننا من اقتصاد كثير من الجهد.

ثم إن هذا الفعل/الحدث (اختيار الزي) كالأفعال/الأحداث الأخرى المتعلّقة بجين، جمعها/لقطها شكري من كتاب مليسنت ديلن. ما الجدوى من استنساخها إذا لم تخضع للتحليل الأدبي وإذا لم توظّف لإضاءة عملها الأدبي؟ أو الانطلاق من الاحتباس [العجز عن الكلام] الذي تعاني منه في حياتها اليومية والوصول إلى الاحتباس الأدبي [العجز عن الكتابة]، كما اقترحت أنت ذلك. إبراز الروابط والصلات بين الجانبين. إنها فكرة رائعة. لكن شكري يسخر من الأفكار الرائعة..

إن كتاب شكري مليء بالمبالغات والاختلاقات والجهل مما يجعلني، أحيانًا، مرغمًا على التدخل والتقويم:

شكري: «وظلّت جين أيضًا تتردّد في الالتحاق ببول في طنجة ستة أشهر حتى جاءت مصحوبة بعشيقتها الجديدة جودي

Jody في31 يناير/ كانون الثاني عام 48 خائفة ممّا ستواجه في هذه المدينة ذات السمعة المغرية والمخيفة معًا: طنجة ـ خطر «Tanger - Danger». (ص51/52).

بولز: عندما أتت جين للمرّة الأولى إلى طنجة لم تنضم إليَّ مباشرة. ولم أنتظرها أيضًا. كنت يومها في الصحراء، في أدرار بالضبط. كانت أخبرتني بمجيئها، لكن الرسالة تتطلب شهرًا للوصول من نيويورك إلى أدرار. كان على الرسالة القيام بالرحلة التالية: نيويورك ـ طنجة ـ فاس ـ وجدة.. وقد عمد القنصل الإنجليزي إلى جعل الرسالة تقتفي أثري...

أما إشارته إلى «المدينة ذات السمعة المغرية والمخيفة معًا: طنجة ـ خطر Tanger - Danger» فلا علاقة لها بجين، بل تلك إشارة وردت في روايتي «دعه يسقط» التي تتخذ من طنجة فضاءً لها. إنها سياسة الجمع وتوظيف ثقافة الأذن، أو السمع، كما يمارسها المخبرون..

## زواج جين وبول

شكري: «التقت به في نيويورك في إحدى ليالي نوفمبر/ تشرين الثاني العام 37. ما أعجبها فيه هو أنه يبتسم بعذوبة. كانوا جماعة يدخنون الماريوانا في هارلم. ومنذ تلك اللحظة صار عدوها المحبوب. تزوجا في 21 من فبراير/ شباط العام 38. لكن هذا الزواج تمّ ضد إرادة أمها؛ لأنها كانت تريد لابنتها أن تتزوج

يهوديًا مثلها، غير أن جين كانت لاسامية إلى حدّ التزمت، وكذلك تزوجها پول ليُغضب أباه المناهض للسامية». (ص53).

بولز: لم أتزوج جين ضدًا على إرادة والدي، أو لإغاظته! لأنه كان لاساميًا. في الحقيقة، لم أفاتح والدي في الأمر، قبل أن أقدِم على الزواج. من المحقَّق أن والدة جين كانت تفضل أن تتزوج ابنتها يهوديًا، وهو أمر طبيعي لأن الأم كانت يهودية. أما فيما يخصّني، لم أحدث والدي أبدًا عن الزواج. لم يكن يعلم أي شيء عن هذا الموضوع. لقد اضطر إلى مجابهة الأمر الواقع. أمر فرضه پول بالقوة! (ضحك). بعد الزواج، لم يقل شيئًا.. أذكر، فقط، أنه قال لي ذات يوم:

- « - ستكون حياتك صعبة بسبب ساقها».

لم يجانب الحقيقة البتة. قال ذلك لأن جين لم تكن قادرة على المشي العادي. تلك هي الجملة الوحيدة التي فاهَ بها، النقد الوحيد الذي أبداه. لم يكن فاقدًا لعقله مثل صاحبنا (ضاحكًا).

في الواقع، كانت جين قد تعرّضت لحادثة: حيث سقطت من على ظهر فرس وتكسرت ساقها اليمنى[1].. وقد كانت مريضة قبل مجيئها إلى طنجة.

---

(1) وكانت الساق تُسبب لها الألم منذ الطفولة. أُعيد العظم إلى مكانه لكن الساق لم تتعافَ أبدًا. وأقامت بمصحة بمدينة ليزن، بسويسرا، ما بين 1932 و1934. ثم أُجريت لها سلسلة من العمليات ولكنها ظلت على الدوام تعاني من آلام بساقها. ثم أصيبت بسل العظم.

## استيهامات وتخيّلات

شكري: «عاشت جين آور Jane Auer متحدّية كل التقاليد والأعراف». (ص53).

بولز: ومع ذلك، إنه أمر غريب، أن يقال إن جين كانت ضد التقاليد. ربما كان ذلك حقيقيًا، لكنني لم أفكر فيه أبدًا. ثم هو يؤكد: كانت جين عدمية كپول «إن ما دمر جين هي عدميتها مع نفسها لكي ترضي نزعتها المازوخية؟ [...] أما پول فقد اكتفى بتشاؤمه، حسب زعمه [...] لكن پول عدمي حتى نخاع العظام». (ص54). لست أدري هل ذلك أمر صحيح. هي لم تكن مثلي. لا. لكنه هو لم يكن يعرفها، كيف يجرؤ على القول إنها كانت عدمية؟ إنه أمر مثير للسخرية القول إنها كانت عدمية بينما هو لا يعرف من كانت جين. ستبقى بالنسبة إليه معادلة مجهولة. بالرغم من أن لمليسنت ديلن عبارات تؤدي ذات المعنى.. بالطبع، كاتب السيرة الموضوعية الحقيقي يعتمد على المعرفة العميقة بالذي/ التي يكتب سيرته/ ها، وعلى العلاقة المفترضة التي يمكن أن تربط بينهما والحوار الذي يمكن أن يجمع بين الطرفين... كما يمكن أن يعتمد على تحقيقات وتحريات يجريها مع محيط هذا/ هذه الذي/ التي يكتب عنه/ عنها، وعلى المعرفة العميقة بنصوصه/ ها ... إن صاحبنا ليس كاتب سيرة ولا ناقدًا. لو أنه كان يعرف عما يتحدَّث...

لكن ما يلفت الانتباه في كلام شكري هو درجة اليقين

التي يتحدَّث بها عن مواضيع أو أشياء لا يعرفها أو سمع أصداء باهتة عنها، فأراد أن يكرّرها فكانت النتيجة هي هذه الصورة المشوهة عن كل مَنْ تحدث عنهم في أوراقه هاته وعلى رأسهم جين، المرابط، پول، براين، بيل بورووز.. ويبدو لي أن مجمل أقاويله حافزها غيظ دفين تجاه كل من تحدث عنهم في «عزلته الطنجية تلك» ذلك أنه يبدو لي أن شكري هو من يعيش عزلة بولز. فما ذكر السيد شكري إلّا وذكر معه بولز الذي أهّله، حسب أقوال العارفين، لاحتلال المرتبة التي يحتلها.. ويضاف إلى پول المرابط الذي رغب بمحض إرادته في توقيف ترجمة مجموعته «الطفل الذي أوقد النار» لأترجم كتاب شكري.. ويضاف إلى پول والمرابط أيضًا السيد الطاهر بنجلون.. ولا أحد من هؤلاء سلم من شتائم شكري..

ما الذي يجب فعله!؟ يجب تقويم كل استيهامات صاحبنا كما نقوِّم فرض طفل صغير. نؤدِّبه ونُفهمه أخطاءه.. أليس شكري طفلًا صغيرًا يعاني من نوبة غضب طفل صغير، كما يظل، وكيله الأدبي روبيرتو، يكرّر ذلك. .

شكري: «إن معضلة جين بولز هي أنها تريد أن تسكنها الكتابة، ولكنها لا تستطيع أن تقبض عليها وتسكنها باستدامة كما تريد. لم تغالب وتكابد بما فيه الكفاية، مثل پول، لكي تضع موهبتها في كتاباتها [...] إنها لا تكاد تمسك بخيط أريان Ariane حتى ينفلت منها. فهي حقًّا موهوبة، لكن ينقصها عناد الجلوس ساعات ليلًا أو نهارًا كما فعلت كوليت، وسيمون

دو بوفوار، ويورسينار ومارغريت دورا. لم يكن يشد جين إلى المقعد القاسي الضابط، المنتج، إلّا كتابة الرسائل الطويلة إلى پول أو إلى أصدقائها شاكية أحوالها المادية المتدهورة أو متذمرة من علاقاتها العاطفية مع «الشريفة» ومن يحيط بها من النساء اللواتي تتزعمهن لاستنزاف مال «هاذ النصرانية الكافرة بالله» كما كن يقلن عن جين». (ص54/55).

بولز: القول بأن جين لم تكن تقوى على الصبر الذي تفرضه الكتابة ضرب من التخييل الخالص. في الحقيقة، كانت تصبر كثيرًا وتتحمّل ما تتطلبه الكتابة. كانت تجلس ساعات كاملة إلى مكتبها، لتحاول الكتابة. لا، كانت رصينة وجدية لحظة الكتابة. بالطبع، صاحبنا يقول العكس تمامًا لأنه لم يرها أبدًا. هذا أمر طبيعي. بالتأكيد، سنجد أنه يقول عني في نهاية هذا الكتاب إنني أسود البشرة (ضحك). نيگرو من نيجريا (ضحك)، لم لا؟

كل الجمل تؤدي إلى النتيجة ذاتها: ملء الأوراق بالكلمات لا المعاني المتواضعة أو المبتكرة..

لقد كانت جين تتوفر على كثير من الصبر. زد على ذلك أني أشرت إلى هذا الأمر في سيرتي الذاتية «بدون توقف». لو كان صاحبنا يقرأ... لعلم أن صبرها لحظة الكتابة صبر جميل. أذكر لما كانت جين تكتب قصتها القصيرة Camp Cataract كانت ترغب في بناء قنطرة فعانت كثيرًا جرّاء ذلك. ظلّت تسألني

طيلة ذلك الصباح عن كلمات خاصة بالقنطرة وشكلها لحاجتها إليها في الوصف.. وفي الأخير قلت لها:

- «لا داعي لبناء هذه القنطرة، يمكن أن تقولي إنها موجودة هناك وكفى..

فكان ردّها مثيرًا جعلني أدرك مفهوم الكتابة عندها:

- إذا لم أعرف كيف بنيت لا يمكن أن أتخيّلها..

ويومها، وقفت على معنى الجملة التي ظلّت جين تردّدها باستمرار: «الكتابة صعبة».

كانت جين تفكر كثيرًا فبي الكتابة، وتأخذها مأخذ الجد. كانت كثيرة الصبر بالرغم من استيهامات صاحبنا، ذلك أن الحقيقة توجد على الضفة الأخرى من أقواله. يبدو لي أنه عندما يقول إن جين: «حقًّا موهوبة، لكن ينقصها عناد الجلوس ساعات ليلًا أو نهارًا كما فعلت كوليت، وسيمون دو بوڤوار، ويورسينار ومارغريت دورا» يريد أن يقول إنها لم تكن موهوبة مثل هؤلاء الكاتبات، لأنها لم تكن قادرة على الصبر الجميل للجلوس ساعات طويلة إلى مكتبها. أما فيما يخصّ التلميح بأن جين لم تكن موهوبة فالنقاد الناطقون باللغة الإنجليزية وحتى الناطقين باللغة الفرنسية قد قالوا كلمتهم في هذا المجال وكذلك فعل رجال المسرح. دون أن ننسى القراء.. فما على السيد شكري إلَّا أن يقرأ ما كتبوه.. وسيتعرف مكانتها الأدبية.. فليتواضع..

ومع ذلك يجب أن يتحلّى صاحبنا بالصبر ويتوفر على الوقت للقراءة ويفهم ما يقرأ ويعثر على البرهان الحقيقي للأحكام التي يصدرها، في الأخير. إن الانطلاق من النصوص وتحليلها يعتبر أكثر عقلانية من الانطلاق مما يسمع، أو انطلاقًا من مجرد الاستيهامات...

شكري: إن جين ترفض الانضباط في الكتابة، أو أنها لم تكن قادرة عليه مثل پول الذي يتكيّف ويتلاءم مع أسوأ الحالات ليكتب كما حدث له عندما كان يكتب روايته «دعه يسقط». إن الأوضاع المملّة أو العاجزة أو المؤلمة قد تكون حافزًا منبّهًا للكتابة. يقول في رسالة إلى وليام رايت (William Right 54.7.23): «لكن ربما هو الملل الذي يحتاجه المرء لكي يعمل جيدًا». ثم يضيف: «لقد تحقّقت من أن القضية هي هكذا. ينبغي للمرء أن يكون مملًا حتى يرغب في الهروب بقوة كافية». وقد لازمه هذا التكريس للعمل منذ مراحله التعليمية في الرسم، والموسيقى وأخيرًا الكتابة التي انتقل إليها من الموسيقى مثل حرباء كما قال في استجواب لغيلا سروقا Ghila Sroka لقد ظلّ وفيًا لآرون كوبلاند الذي قال له: «إذا أنت لم تشتغل في العشرين فلا أحد سيحبّك في الثلاثين». (ص56).

بولز: في الحقيقة، لا أعرف من هو هذا السيد وليام رايت، إنني متأكّد من وجوده (في البداية، شكّكت في وجوده) لقد تمكّنت من التحقّق من صحة الرسالة التي كُتبت إليه. إنها

توجد في كتاب In Touch (1993)، كما تأكدت من أن الرسالة الأصلية تحمل توقيعي. ولكنني لا أذكر شيئًا عن هذا الرجل. لا بدّ أنني التقيت هذا الرجل، في مكان معين، مرّة واحدة، وطلب مني أن أكتب إليه، فسمح لي الوقت بذلك فكتبت إليه. لم أعد أذكر هذا الرجل. لا بدّ أنه أمر غريب جدًّا أنني لم أتعرّف عليه.

طلب مني پول أن أبحث عن نسخة كتابIn Touch بين دزينة من الكتب وُضِعت بدون نظام يذكر، وسط البيت، ما بين الفراش والطيفور الذي غطّت سطحه علب الدواء المختلفة، ثلاثة مقصّات من أحجام مختلفة، نظارتان. . . عثرت على نسخة الكتاب وقدمته لپول. إنه طبعة جديدة من الكتاب المشار إليه توصل بها قبل أيام. فتح الكتاب على الصفحات الأخيرة، وبالضبط الصفحات المشتملة على المعجم المتعلّق بترجمة حياة الشخصيات الواردة في الكتاب: Biographical Glossaire لم يكن اسم وليام رايت واردًا بين الأسماء المذكورة. حدّق فيّ وقال:

- إذن إني لا أعرف هذا الرجل حقًّا.

## جين.. جين والمرابط

شكري: «ربما موت أبيها وهي في حدود الثالثة عشرة من عمرها (وأيضًا كانت وحيدة أبويها)، هو ما أذكاها قبل الأوان، بالنسبة لعمرها. يرى فيها غينسبيرغ ذكاءً، نبوغًا،

احتشامًا واحترامًا، وتذكره بجوان Joan Vollmer زوجة بروز». (ص58).

بولز: آلن غنسبيرغ لم يقل لي أبدًا إن جين تذكّره بجوان فولمر؛ زوجة بيل بورووز، وأنها كانت ذكية نابغة... إن صاحبنا يتحول إلى مداح للناس لأحد السببين:

ـ أن يوهم بموضوعية خارقة الطبيعة...

ـ أن يلمّح بأن پول لا يتمتع بخصال قابلة للمدح (مثل خصال جين)!؟

شكري: «محمد المرابط هو أحسن من يدافع عن جين من بين المغاربة الذين عرفوها. كان المرابط يُعنى بأكلها حينما تمرض ـ حسب شهادة پول نفسه ـ بينما هي أوعزت إلى پول أكثر من مرّة بأن يطرده من العمل معهما...». (ص59).

بولز: كانت جين تقبل دائمًا ما يقوله المرابط لأنه كان يشفق عليها وكذلك كانت تفعل. كانت تقول لي:

ـ «إنه سيحزن إذا لم أعنَ به.

وكانت تضيف:

ـ إنه يريد أن آكل، إذن سآكل من أجله لا من أجلي. إني لست جائعة».

كانت تقول لي هذا الكلام عندما كانت مريضة. لا، لم تقل لي جين أبدًا «اطرد» المرابط من عمله لأنها هي نفسها

كانت تعلم أن المرابط لم يكن يعمل في بيتنا... المرابط، كان صديق جين وصديقي. كنّا، هو وأنا، نشتغل، نؤلّف كتبًا. يقوم هو بتسجيل مادة الكتاب، قصصًا قصيرة كانت أو رواية، بالدارجة المغربية، أستمع إلى المادة المسجلة، أبدي رأيي فيها، ثم نشرع في ترجمتها، معًا..

## جين وأنايس نين

شكري: «من بين الإحباطات الكثيرة ما يرويه پول في رسالة إلى فيل نورنبرج Phil Nurenberg: «جين وأنا كنا انتهينا من الخروج من حانوت في الشارع الثامن وأنا حامل كيسًا ورقيًّا، جدّ ضخم. القصد كان هو الوصول إلى منزلنا من الشارع العاشر في أقرب وقت ممكن. لكن أنايس نين Anais Nin ظهرت وباشرت مع جين أطول حديث أتذكره بينما أنا كنت أحاول منع الثلج الذائب من أن يفسد الكيس. بعد أربعين دقيقة تابعت أنايس نين طريقها؛ كانت قد حكت لجين كم أضجرتها روايتها. الأمر واضح إذن، فأنا لن أنسى اللقاء». (ص62).

بولز: بالطبع، أذكر نقد أنايس نين لرواية جين «سيدتان وقورتان»، (1943) في وسط الطريق..!

أنايس لم تكن تفهم عقلية جين وكانت تنتقد طريقتها في الكتابة، طريقتها في التفكير... كنت أعتقد، في تلك اللحظة، أن الأمر لا يهمها. والحقيقة، أنني لم أكن أُعير كبير عناية للكلام الذي كانت تقوله لجين ولكنني كنت أعتقد أن ذلك

الكلام قد يؤذي جين. لكن، لحسن الحظ، جين لم تكن تحمل على محمل الجدِّ أنايس كامرأة. كانت جين ترى أن كل ما قالته لها مثير للسخرية لأن كل ما كانت تكتبه أنايس نين من روايات «كالمرايا في الحديقة» أو سيرة «يوميات 1969 - 1975» لم يكن يروق جين أو يروقني. لم تكن أنايس شخصًا يمكن أن يؤثر فينا وهو ينتقدنا. لأن آراءها لم تكن صلبة ومقنعة عند الكثير من المقرّبين منها أنفسهم.. بالطبع، صاحبنا، كالعادة له رأي آخر لأنه يصف هذا اللقاء مع أنايس نين بلقاء الحرمان والإحباط. كيف يمكن أن ننعت ذلك اللقاء بما وصفه به شكري ما دامت المعنية بالأمر (جين) لا تعير كبير اهتمام ومصداقية لمن صدر عنه الانتقاد؟ فأنايس تصف في كتاباتها أو تحلّل شخصيات منقسمة على نفسها عاطفيًا وفكريًا، وهي قريبة الشبه بها، كما كُتِب عنها ذلك.. وقد ضحكت كثيرًا من هذه الأوصاف التي تؤكد مجمل استنتاجاتي وأنا أطالع هذا الكتاب الذي كتب للثأر من ماضي السيد شكري.. هل يمكن أن نمحو الماضي؟

**العمل... العمل**

**شكري**: «لقد كانت جين تغذي نتاج پول بوجودها معه كما يعترف هو نفسه. لم يعد يكتب شيئًا مهمًّا ـ حسب قوله ـ بعد وفاتها». (ص62).

**بولز**: إنه من البلاهة أن يقوِّلني صاحبنا أنني لم أكتب شيئًا مهمًّا بعد وفاة جين. لاحظ أنه في صفحات سابقة ذكر أن

«هذا التكريس للعمل قد لازمني منذ مراحلي التعليمية في الرسم، والموسيقى وأخيرًا في الكتابة».. فكيف يتخلّى عني هذا التكريس في صفحات أخرى من الكتاب ذاته.. ألا إن رغبات شكري الطفولية قادرة على تغيير الكون على الورق!؟ على الورق!؟ كم تمنيت لو كان قادرًا، على الأقل، أن ينسب كلامه لنفسه، لكان ذلك سيعتبر فعلًا ينتسب إلى حرية الفكر والتعبير وشجاعة الرأي والبطولة أيضًا. لكن أن يختلق أوهامًا أو يؤلفها وينسبها إلى الغير، فذلك يعتبر قمة الجبن، أو على الأقل الرغبة في الإيذاء مع سبق الإصرار. أعتبر نفسي اشتغلت كثيرًا بعد وفاة جين والوقائع تثبت ذلك. ألم أنشر عددًا من الكتب، وأنت تعرفها ويمكنك أن تذكرها:

## 1 ـ كتب تخييلية وغير تخييلية:

ـ أشياء اختفت وأخرى باقية، مجموعة قصصية، (1977).

ـ صلاة منتصف الليل، مجموعة قصصية، (1981).

ـ لحظات في الزمن، قصص مستوحاة من تاريخ المغرب، (1982).

ـ كلمات غير مرحّب بها، مجموعة قصصية، (1988).

ـ سنتان قرب البوغاز: مذكرات طنجة 1987 - 1989، (1989).

ـ بعيدًا جدًّا عن البيت، رواية، (1992).

## 2 ـ ترجمات:

### 1 ـ 2 كتب محمد المرابط:

ـ حديدان الحرامي، قصة من التراث الشعبي، (1975).

ـ سموم غير مؤذية، قصة من التراث الشعبي، (1976).

ـ ثلاث حكايات، قصص قصيرة، (1975).

ـ أنظر وامش، سيرة ذاتية، (1976).

ـ المرآة الكبيرة، رواية، (1977).

ـ مقهى الشاطئ ـ الصوت، روايتان، (1980).

ـ الصندوق، مجموعة قصصية، (1983).

ـ الزواج بالأوراق، رواية، (1986).

ـ شكلاطة، قشدة ودولارات، سيرة الكاتب ألفرد شيستر، (1993).

### 2 ـ 2 كتب محمد شكري:

ـ من أجل الخبز وحده، (1973).

ـ جان جينه في طنجة، (1979).

ـ تنيسي ولیامز في طنجة، (1979).

### 3 ـ 2 ترجمات متنوعة:

ـ الباحثون عن النسيان (إيزابيل إبرهاردت)، (1975).

ـ خمس نظرات (نصوص عبدالسلام بولعيش، محمد المرابط، محمد شكري وأحمد اليعقوبي)، (1979).

ـ أيقظتني فقتلتها (قصص قصيرة لكتّاب فرنسيين وإسبانيين)، (1985).

4 ـ 2 كتب رودريغو راي روصا:

ـ غبار على لسانه، مجموعة قصصية، (1989).

ـ سكين الشحاذ، مجموعة قصصية، (1989).

ـ خطة بلكاري، (1991).

أعتقد أن في هذه المجموعة من الكتب ما يملأ حياة قارئ دؤوب خلال شهرين على الأقل، ويضمن له تنوع الأساليب والمواضيع والعوالم والأجواء والفضاءات..

## جين.. الانضباط والإبداع

**شكري**: «وكانت قصة A Stiek of Green Candy هي آخر ما كتبته في مارس/آذار 49 أثناء عطلتها مع پول في صحراء الجزائر». (ص63).

**بولز**: كانت هذه القصة آخر قصة كتَبتها جين ونشرت قبل وفاتها. لكن هناك العديد من النصوص نشرت بعد وفاتها. لست أدري متى كتبتها بالضبط. نصوص عثرت عليها مليسنت ديلن بين دفاتر جين الصغيرة. وكانت هناك نصوص قصصية بين هذه النصوص. عثرت عليها وسط مذكرات جين في تكساس. هذه الدفاتر الصغيرة انتقلت مع مسوداتي ووثائقي إلى جامعة تكساس بواسطة المدعو أندرياس براون: صاحب تلك المكتبة بنيويورك، واسمها Gotham Bookmart..

وأنت تعرف تفاصيل انتقال وثائقي تلك إلى جامعة تكساس بأوستن، ويمكنك أن ترويها[1]..

شكري: «إن جين كرّست نبوغها في الحياة [...] جين وضعت أدبها في الحياة (63) ظلت موهبة جين بولز تنتظر انضباطها في العمل، لكن الإحباط، أدبيًا وحياتيًا، ظلّ يعجزها عن إنجاز ما كانت تريد إنجازه». (69).

بولز: ليس صحيحًا أن جين لم تكن تملك الانضباط الذي تستلزمه الكتابة ويمتلكه الكتّاب، وأن موهبتها كانت تعاني جرّاء ذلك. لقد كانت تجلس للكتابة كل صباح. كانت تظلّ كل الصباح جالسة إلى مكتبها بغرفتها. كانت تعاني كثيرًا لأنها لا تستطيع أن تكتب.

كانت تحاول الكتابة طيلة الصباح فلا تفلح في ذلك. كانت الكتابة عملية مستحيلة بالنسبة إليها. أولًا، لم تكن تبصر أو لم تكن تبصر جيدًا. ثم إنها كانت عصبية المزاج إلى أقصى حدّ، لأنها كانت تتناول عددًا كبيرًا من الأقراص.

(1) كان أندرياس قد ظلّ يلحّ على پول ليبيعه بعض مسودات نصوصه.. وظلّ پول يرفض ذلك حتى أقنعه ذات مرة وهما في نيويورك. كان پول يقيم يومها ببيت ليبي هولمان. اتفقا على قدر مالي.. واتفقا على قدر محدّد من المسودات عيّن پول مكان وجوده في الدولاب.. أعطى پول لأندرياس مفتاح البيت ومفتاح الدولاب الذي كان يحتفظ فيه بكل مسوداته ووثائقه.. ووثائق ومسودات جين.. حرص أندرياس على جمع وثائق ومسودات الزوجين معًا وانصرف.. باع الغنيمة لجامعة تكساس. لما علم بولز بما حدث وبالقدر المالي الذي بيعت به الوثائق والمسودات احتجّ وقدم دعوة بأندرياس دون جدوى..

لكنها كانت، بالرغم من ذلك، دقيقة جدًّا، تحافظ على موعد الكتابة، بيد أن الكتابة لا تستجيب. لأنها كانت تعاني من مرض في المخ. لكن صاحبنا يخلط بين كل شيء ويبيِّن بالملموس أنه يتحدَّث عن شيء لا يعرفه كالعادة.

ويمكن أن أقول إن حبّ جين للكتابة لم يكن ينافسه حب آخر، لكن المرض والأقراص والشراب فتكت بصحة جين وذهنها فما عاد حبُّ الكتابة ولا الانضباط ينفعانها..

## جين بين أمها والشريفة

شكري: «تميّزت جين بولز بسخريتها من كل شيء حتى في أكثر الحالات الكئيبة في حياتها. ربما لتتخلص من عقدة سلطانية أمها ـ وإن لم تصل إلى قسوة وجهل أم رامبو. لقد عانت منها كثيرًا، ورافقها استبدادها طوال حياتها وهي على بُعد قارة أو قارتين منها. أما پول فقد تدبر أمره باكرًا متخلصًا من كل لعنة عائلية تلاحقه. كان أكثر مواجهة في التمرّد على توجيهات أبويه الصارمة خاصة أباه! وكانت أمه، أيضًا، ضحية لتعنُّت أبيه!». (ص69/70).

بولز: لا أعتقد أن جين كانت تحت تأثير أمها. الثابت أنها كانت تكره أمها. ولمّا لم تكن تحب أمها، فلا يمكن أن تكون تحت تأثيرها. الأسوأ في الأمر أن صاحبنا يقول عن جين إنها لم تستطع أن تتخلص من استبداد أمها طيلة حياتها!؟... لكن المشكل يكمن في أن صاحبنا يتحدَّث عن هذه الأشياء بيقين

أعمى، كأنه كان يعيش معنا، كأنه كان فردًا من أفراد الأسرة؛ كأن جين كانت ابنة عمه أو خالِه (ضحك). يتحدَّث كأنه يعرف كل شيء عن الأسرتين معًا: أسرة جين وأسرتي. لكنه، في العمق، لا يعرف أي شيء عن أي أحد منا. لو حالفه الحظ لعرف نفسه!

لو حالفه الحظ لتجنب التناقض الذي حفل به كتابه.. في موضع آخر يقول إن أم پول تعطف عليه، وها هو يعود ليقول نقيض ذلك: «كان [پول] أكثر مواجهة في التمرد على توجيهات أبويه الصارمة»! وها هو يعود لينعم على پول بفضيلة التمرّد بينما كان في الصفحات السابقة ينفي عنه هذه الفضيلة..

وأشير إلى أن الوالدة لم تكن ضحية لتعنت الوالد، ذلك أنه كان يحبّها كثيرًا، بل كان يغضب من شدة العناية التي توليها لي معتبرًا ذلك إهمالًا في حقّه.. كان يعاملني بقسوة. وقد فكرت في قتله! كما قد يفكر أي مراهق في ذلك (ضاحكًا). لكن، فيما بعد، عرفت أن الهدف من معاملته لي على ذلك النحو هدف تربوي! فهو أراد أن أكون صلب العود، حاذقًا..

شكري: «عرفت جين بولز الشريفة في أبريل/نيسان العام 48 عن طريق بولز الذي كان يعرفها في «سوق الزرع». كانت الشريفة تبيع القمح في دكان (شبيه بوِجار) ضيق إلى حدّ الاختناق، أيام الصهد. كانت كتلة بشرية تثير الإشفاق، جهازًا هضميًا، لا أثر فيه لما يمكن أنْ يغري من جمال أو سلوك. إنها متوحشة وشريرة [...] كانت مسيطرة عليها إلى حدّ أنها أرادت أن تخضعها لتصوم معها رمضان رغم مرضها المزمن. وكانت

جين تعتبرها مثل ابنة تبنّتها. وبدون رعايتها (حسب قول جين) ستشقى. ولكن جين كانت ترعى غرابًا [...] ولأن جين (مثل بول) منجذبة دومًا إلى ما هو غامض ومبهم وما ينفر منه الآخرون فقد انسحرت بها. وربما هذا الغامض في علاقاتها العاطفية هو ما أدام علاقتها بالشريفة أكثر من سابقاتها. آلم جين مشهد هذه الكتلة البشرية المكدودة، الملتحفة بلباسها الجبلي و«شاشيتها» في حجم عجلة سيارة، والمتكورة على نفسها في حانوتها ـ الوِجار فأشفقت عليها ثم أحبتها بجنون. ما أقسى حب امرأة لامرأة!». (ص70/71).

بولز: الشريفة من أصل بدوي، من منطقة الفحص. فهي فحصية. لكنني لن أقول عنها ما قاله شكري «إنها متوحشة». كانت أُميّة، نعم. القول الأصح أن جين كانت متأثّرة بالشريفة وليس بأمها. أما فيما يخصّ رمضان، فجين هي التي كانت تريد صيامه حتى تنال إعجاب الشريفة. لكن الشريفة لم ترغم أبدًا جين على الصيام.

في الحقيقة لم يكن هناك حب بين جين والشريفة. وعكس ما قيل، كانت الشريفة لا تحب جين، لذلك لا يمكن الحديث عن غياب الحب بينهما. جين كانت تريد أن تبقى الشريفة إلى جانبها. هذا كل ما في الأمر. من جانب الشريفة، كان هناك على الدوام هاجس المصلحة هو الأساس.

شكري: «بطلب من جين أهدى بولز للشريفة منزله في حي «أمراح» المؤدي إلى باب البحر في القصبة». (ص72).

بولز: لا، لم أعطِ منزلي الذي كان موجودًا بأمراح للشريفة. لقدِ تنازلتُ عنه لجين كتابة، وقامت جين بإعطائه للشريفة. هكذا إذن، فلست أنا الذي أعطيت المنزل للشريفة تحت تأثير جين. يتعلّق الأمر بحذف/ إضمار. عندما تنازلت لجين عن المنزل كنت أعلم أنها ستمنحه للشريفة. بالطبع، كانت قد أخبرتني بذلك، ولولا ذلك لما عرفت لماذا، ولا وجدت تعليلًا لرغبتها في تملّك المنزل. لم تكن تريده لنفسها.

شكري: «إن الذين عرفوا الشريفة، من المغاربة، يعتبرونها «ساحرة»، ماكرة، قادرة على تسميم الإنسان حسب المرابط نفسه، الأكثر معرفة بها. ولا يختلف معه أحمد اليعقوبي الذي يؤكد أن الشريفة كانت تسحر لجين خاصة عندما وجدت تحت مخدتها شعرًا ودمًا متخثرًا وأظفارًا ملفوفة في رزمة خرِقة. ويعتقد پول أنها حقًّا سمّمت ببغاءه، وقد تسمّمهما هو وجين [. . .] أما الأجانب، الذين عرفوا الشريفة بصحبة جين، فإنهم ينعتونها بالتفاهة، والدمامة والخبث». (ص72/71).

بولز: بالطبع، كانت الشريفة تمارس كل أنواع السحر قصد البقاء إلى جانب جين. وقد عثرت جين على أشياء عدة تحت وسادتها. وبالرغم من ذلك لم تفكر في إبعاد نفسها من الشريفة. بالطبع، جين بصفتها أميركية، لم تكن تصدّق هذه الأشياء. فهذه الممارسات لها، ربما، تأثير نفسي ولكن ليس لها تأثير فعلي. بالطبع، لا أؤمن بالسحر، لكنني أعتقد أنه يمكن أن يكون له تأثير سلبي في الناس إذا عرفوه وكانوا يؤمنون بهذه الأشياء.

بيد أنني أؤمن بالتوكال الذي يعتبر مؤذيًا جدًّا، لكن التوكال شيء آخر طبعًا.

## ببغاء پول

شكري: «ويعتقد پول أنها سمّمت ببغاءه [...] وكان أكثر ما يخيفه فيها ضحكتها المفرقعة الكاشفة عن سنها الذهبية» .(ص72).

بولز: إن صاحبنا يستسلم كثيرًا لأوهامه. فببغائي لم يسمَّم. «ولا أعتقد ذلك». كل ما حدث أن عنقه تكسرت تحت وطأة النافذة، فيما أعتقد. كان يظل دائمًا بنافذة الحمام. وعندما كان باب البيت يفتح كان يحدث، بلا شكّ، مجرى هواء. قوي جدًّا. وأعتقد أن عنق الببغاء تعرض للكسر بهذا الشكل، ولهذا الأمر أتحدث عن أكاذيب واستيهامات صاحبنا: إنه لا يعرف عمّا يتحدَّث. ولما لم يكن لديه موضوع محدّد الجوانب بدقة، ولا منهجية واضحة الملامح، ولم ينطلق من متن غني ومختار بعناية ومن فرضيات تمّ التعبير عنها بكل وضوح؛ فإنه يكتفي بجمع معلومات خاطئة أو يشوه ما حصل عليه من معلومات (أو أخبار) عن قصد أو يخترع أخرى. إن شكري يشبه ذلك المحقّق الذي تتحكم فيه مواقف مسبقة ممن سيحقّق معه فلا يستطيع أن يتحرّر من نزواته ولا يرتاح له بال حتى يصدر بشأنه قرار الاتهام..

ثم إني لم أكن أكره الشريفة لأنها كانت لها سن ذهبية. لا يمكن أن نكره أحدًا ولو كانت كل أسنانه مغلفة بالذهب، وإلّا

كنا عدوانيين وغير أسوياء... لم أكن أكرهها، بل كنت أحتاط منها. وهذا أمر آخر أو شيء مختلف. وهذا لا علاقة له بالسن الذهبية. بالطبع، الشريفة لم تكن حسناء (جين أدت لها ثمن تغليف أسنانها بالذهب). كان للشريفة شخصية تنحو نحو التملك والهيمنة، وكانت جين تشعر أمامها بالانمحاء.. عشق جين لها كان مطلقًا، وقد لاحظت أن مكانة الشريفة، في رسائل جين، مكانة مهمة جدًّا.. لم يكن ذلك الوضع يرضيني. كانت الشريفة تعلم ذلك، ولم يكن يرضيها.. وقد ظل الحذر يحكم علاقتنا، الشريفة وأنا. وقد هدّدتني ذات يوم بسكين..

## جين بين السخرية والهزل...

**شكري**: «تميّزت جين بولز بسخريتها من كل شيء حتى في أكثر الحالات الكئيبة في حياتها». (ص70).

**بولز**: لم تكن جين كاتبة ساخرة، لكنها كانت كاتبة هزلية خاصة. هزلية جدًّا. وهي سمة لاحظها كل نقادها كما لاحظها القراء من أصدقائها.. ولقد أشرت إلى ذلك في رسالة إلى إحدى الفرقتين اللتين قدمتا مسرحيتها «البيت الصيفي» سنة (1995).

«لست متأكّدًا من أنه تمّ الوعي، بما فيه الكفاية، بأن جين كانت قبل كل شيء كاتبة هزلية. ليصبح احتمال الحياة ممكنًا يجب أن نجعلها عبثية. إن شخوصها توجد في وضعيات يجب أن تفهم/تدرك باعتبارها عبثية بشكل كلّي. إنها رصينة، مثيرة للشفقة ومثيرة للضحك».

إن هذا المقطع ورد في مقدّمة الترجمة الفرنسية لمسرحية جين «البيت الصيفي».

## ومعاناة شخصياتها

أعتقد أن شكري لم يقرأ مؤلفات جين وأنه جمع/التقط هذه الجمل الثلاث من رسالتي إلى ج. لافيلي. والدليل على ذلك أنه قال إن جين لا تجعل شخوصها تعاني:

«كانت قاسية على نفسها وليس على أشخاص كتاباتها». (ص72).

«إن پول بولز ربما لم يقتل ويعذب، واقعيًا، أحدًا، لكنه أكيدًا قتل وعذب الكثيرين في أعماله الأدبية». (ص72).

بولز: بل إنها تجعل شخصياتها تعاني كثيرًا. ويمكن أن أقدم كمثال على ذلك شخصية غيرترود ايستمان كويباس التي تعاني كثيرًا. ليونيل، الذي تزوج ابنة غيرترود، يعاني أيضًا... وفي روايتها، لا أعتقد أنها تجعل شخصية ما تعاني. هناك، بالطبع، فرقًا بين المعاناة العاطفية والمعاناة البدنية.

في قصتها «مخيم السد»، تعاني إحدى الأختين كثيرًا. وتنتحر في الأخير. إن ذلك أقوى ممّا خلقته، أنا من شخصيات. هل يمكن أن نقول إن صاحبنا يعرف شيئًا ممّا يتحدَّث عنه؟ إنه يتحدَّث لأنه يحبّ سماع صوت جُمله. إذا كان رنين جُمله أو جَرسها يعجبه فذلك معناه، في اعتقاده، أنها جمل جميلة (ضحك).

## فراق

شكري: «طوال عشرتهما لم يكن أحدهما يعرف من كان يترك الآخر عندما يفترقان. ربما كانا يتعمدان هذا الفراق، الذي يطول أو يقصر، لخلق الحنين بينهما حسب مزاجهما [...] وعن الفراق بينهما، الذي يحدث على فترات متباعدة، كانت هي تكتب قصة عن امرأة تتخلّى عن زوجها وهو يكتب قصة عن رجل يتخلّى عن زوجته. أكانا يلعبان لعبة الوجود الأدبي؟». (ص83).

بولز: إنه كلام أرعن القول إننا كنا نفترق (جين وأنا) عن قصد لخلق مناخ من الحنين، على هوانا أو وفق مزاجنا أو رغبتنا الذاتية، كما لو كنا نفترق لنمثّل دورًا ثانويًا لا يروق أحدًا. هذا رأيه، وتلك استيهاماته؛ إنه يركب جملًا ويعتبرها أحداثًا..

إذا كنّا نفترق، فلأن لكل واحد منا عملًا يجب أن ينجزه الأمر الذي يتعذر معه وجودنا معًا. فمرّة يكون السفر هو السبب، ومرّة أخرى العمل (تأليف موسيقى...) ومرّة ثالثة يكون تقديم مسرحية.. ألف شيء مختلف يجب إنجازه ويتطلب ابتعاد أحدنا عن الآخر.

افتراقاتنا؟ إنها بالأحرى أسفارنا من أجل العمل. لم نفترق أبدًا، أي لم يبتعد أحدنا عن الآخر نتيجة خلاف. لم أكتب إلّا

قصة قصيرة واحدة يفترق الزوج فيها عن زوجته، وليس أكثر. نعم، يتعلّق الأمر بالقصة المعنوَنة بـ«التوقف بكوراسون».

## جين كاتبة مسرحية

شكري: «ومن المعروف عن جين أنها كانت أكثر عنادًا في مطالبها». (ص83).

بولز: من الطبيعي أن تكون جين كثيرة الطلب، ملحاحة وتطلب المال من زوجها. إنها جين بولز؛ زوجتي. هل يريد صاحبنا تثوير القوانين واقتراح أخرى.. أم تراه يتحدَّث بخفة لمجرد الكلام، ليسوِّد الأوراق.. يصفي حسابه مع ماضيه.. ويعطي الانطباع بأنه فريد، بطل، ذكي جدًّا.. قولًا.. كلمات ..كلمات.. كما يقول شكسبير..

لقد أصبحت جين كثيرة المطالب خلال المرحلة الأخيرة من حياتها خاصة. كانت مريضة جدًّا، ومن الطبيعي أن تتصرف كذلك. لقد أصبحت صعبة الإرضاء أو الإقناع خلال تلك الفترة. خاصة فترة فرارها إلى فندق «أطلس».

لقد حصلت على قدر مالي وهو نصيبها من إرث عمتها شور.

في البداية، لم يكن لجين مصدر مالي خاص بها، ولم يكن لها مالها الخاص. فيما بعد، فقط، ورثت هذا القدر المالي من عمتها. ثم إنها لم تجن شيئًا من حقوقها كمؤلفة. وعلى العكس من ذلك، فقد كسبت قدرًا مهمًّا من المال جرّاء إنتاج مسرحيتها. ربحت من ذلك أكثر بكثير من مجمل حقوقها ككاتبة. قدمت المسرحية المرّة الأولى بموسيقى ألفها پول بولز وإخراج خوسي

كينتيرو ( José Quintero). لقد عرضت مرات عديدة، طيلة شهرين متتاليين، بمعدل عرض كل يوم. بعد وفاة جين عرضت مسرحيتها، تقريبًا، في كل بقاع العالم. وخلال حياة جين عرض «بيتها الصيفي» ثلاث أو أربع مرات في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة. وبعد وفاة جين ورثت حقوقها ككاتب.

شكري: «لا أعتقد أنه [پول] أحب أحدًا (إذا هو حقًّا أحب) كما أحبها». (ص83).

بولز: بالطبع، أحببت جين. بل إني أحببتها كثيرًا. وهذا أمر طبيعي. لذلك تحدّثت، في مكان آخر، عن كون حبنا يكفي نفسه بنفسه.. لكن لا حظّ، هذه هي المرّة الأولى التي يقول فيها صاحبنا كلامًا منطقيًّا. لكن يبدو لي أنه يشكّ في ذلك وأنه يريد أن يقول: «پول لم يحبّ أحدًا ولا شيئًا بالمرّة».

## أماني شكري

شكري: «لقد أخذ في الانطفاء أدبيًّا، ونفسيًّا طيلة فترة مرضها حتى ماتت فصار يشيخ بتهكم كاتبًا كآبته بكبرياء». (ص83).

بولز: القول بأنني بدأت أنطفئ أدبيًّا ونفسيًّا طيلة مرض جين وأنني شخت بمجرد أن ماتت، أي أنني توقفت عن الكتابة كلام باطل تمامًا. أعتقد أن الأمر يتعلّق بأمنية عزيزة على شكري: يجب أن يموت الأب.

لقد اشتغلت كثيرًا بعد وفاة جين. يبدو لي أننا صادفنا، من قبل، هذا الاستيهام وسلّطنا عليه ضوء الحقيقة، أي أنني نشرت عدة كتب

بعد وفاة جين وقد ذكرت ذلك آنفًا. لكنني نشرت عدة كتب خلال مرض جين، بالرغم من صعوبة الكتابة.. ويمكن أن أذكر عناوينها:

- عاليًا فوق سطح العالم، (رواية لبولز)، (1966).
- الحب ببضع شعيرات، (رواية للمرابط)، (1967).
- الليمون، (رواية للمرابط)، (1969).
- بدون توقف، (سيرة بولز الذاتية)، (1972).

كما كتبت عدة قصص قصيرة خلال الفترة ذاتها، أذكر من بينها:

- بعد ظهر رفقة أنتيوس، (1970).
- لقد تركت حبات اللوتس في الأوتوبيس، (1971).

## جين وبول

**شكري**: «أكانا يلعبان لعبة الوجود الأدبي؟ ذلك سرّهما مثلما هي عشرتهما. إن جين، أحيانًا، تحب ما يكرهه، وتكره ما يحبّه. وبينهما تحتمل حياتها في عذاب مزمن، ونزوات هازئة برتابة حياة المحيطين بها». (ص83/84).

**بولز**: صحيح أننا، جين وأنا، كان لنا ذوقان مختلفان إلى حدّ ما.. أنا كنت أحب الطبيعة كثيرًا، بيد أنها كانت تكره الطبيعة، لكن باستثناء هذا الأمر، لست أدري هل بالفعل كان ذوقانا مختلفيْن حقًّا. لم أكن أعرف ماذا تحب جين على أي حال.. (مفكرًا) كانت تحب الخمر وقت تناول الطعام، بيد أنني لم أكن/ ولا زلت لا أحب ذلك حتى الآن. كانت تحب الخبز، بينما لم أكن أحب تناوله. وهذه ليست أشياء مهمة..

للأسف، لم يحدثنا صاحبنا عمّا تحب جين وما لا تحب، ما دام يبدو أنه يعرف أكثر مني عن زوجتي التي لم يرها أبدًا!

شكري: «جين بركان في حالة فوران. إنها تعلن شكواها لأقرب من يكون إلى جوارها: من تعرفه ومن لا تعرفه». (ص 84).

بولز: لم تكن جين تشكو أبدًا. وعندما تتحدّث عن آلامها كانت تتحدّث، بطيبة خاطر، إلى أناس تعرفهم وتحبهم ولم تكن تتحدّث إلى أي كان. وذلك مثلما تفعل مع ليبي هولمان، في بعض رسائلها، أو مع المرابط أحيانًا.. الأقرباء المقرّبون.. وهذه طبيعة كل البشر، فيما أعتقد.. فهي لم تكن تذهب إلى البار للحديث عن آلامها! فهذا أمر مثير للسخرية.

وعلى النقيض من ذلك أنا لا أحكي كل ما يعنيني لأي كان. وهذا ما يجب فعله، وهكذا يجب أن يتصرف الإنسان العاقل. يجب أن يكون للإنسان أسراره الخاصة به، وخاصة الرجل. لا يجب عليه أن يتحدَّث عن آلامه، وإلَّا أصبح مثيرًا للسخرية. المرأة يمكن أن تفعل ذلك، ويمكن أن نفهم تصرفها. لكن، إذا فعل الرجل ذلك بدا مُضجرًا ولا أحد يريد رؤيته، ولا أحد يستطيع احترامه أو فهم ظروفه..

شكري: «لقد كانت جين تغذي نتاج پول الأدبي بوجودها معه كما يعترف هو نفسه [. . .] أما هي فكانت تنفي وجودها الأدبي فيه ولا تريد أبدًا أن تعتبر نفسها ندًّا له عندما تقول: «لا ينبغي أن يكون أديبان في أسرة أدبية». أهو مبرر لعجزها عن

استمرار استلهام الكتابة؟ إنها متواضعة إلى حدّ مهابتها. وحين كان پول يزداد شهرة في الموسيقى ويشق طريقه في الأدب كانت هي تخبو متألمة عمّا لا تستطيع أن تنجزه ولو من أجل إرضائه [. . .] إن جين كرست نبوغها في الحياة خلاف پول الذي صبّ موهبته في تآليفه الموسيقية وكتبه دون أن تشغله حتى أية عاطفة جنسية ما عدا حبه لجين. إن جين وضعت أدبها في الحياة، وپول وضع حياته في الأدب مع كل تحفظاته». (ص 63/62).

بولز: الفرق بين جين وبيني فيما يخصّ موضوع الكتابة، يتلخص في كوني كنت أقدر على العمل، أي أكتب من دون صعوبة. لكنها هي لم تكن تقدر على ذلك، كانت تجلس للكتابة، في الغالب، لكنها لا تفلح في ذلك. كانت تقضي أربع ساعات في محاولة كتابة بضعة كلمات، ليس لأنها تبحث عن الكمال في الكتابة، بل لأنها تعاني من احتباس على مستوى الجهاز العصبي، وذلك بعد إصابتها في الدماغ.

قبل تعرّضها للحادثة كانت تكتب كما يكتب أي كاتب. لكن بعد الإصابة، حاولتْ عبثًا أن تكتب كل يوم في وقت محدّد، لكنها لم تفلح في كتابة ما كانت ترغب فيه أو ما كانت تعتزم كتابته. بعد الإصابة لم تنتج أي شيء، بل لم تتمّ أي شيء، بالرغم من أنها كانت تجلس للكتابة بانتظام.

أعتقد أنها كانت إنسانية جدًا، مثلي تمامًا. أعتبر أني أنتمي إلى الجنس البشري العاقل/الحكيم (ضحك) الذي ينتمي إليه شكري ذاته. هذا الذي يسكن القارات الخمس. عندما يقول

إنني لا أؤمن بكل ما هو إنساني لا أفهم ما المقصود بالإنساني/ البشري. لا يمكنني أن أستعمل هذه الكلمة: إنساني، ما فوق إنساني، ما دون الإنساني..

**شكري**: «عندما عرفت جين پول بولز قالت له حرفيًا: «لا أريد أن تكون لي معك علاقة جنسية إلَّا إذا ما تزوجنا. أريد أن أتزوج وأنا عذراء».

تظل هذه الرغبة غامضة حتى الآن في علاقتهما. وطبعًا هي هنا لا تريد أن تذكر المرات الضائعة في العدّ التي تركت فيها نفسها تفتض مع السحاقيات مثلها وهي بين الثانية والثالثة عشرة من عمرها قبل أن تعرف پول». (ص86).

**بولز**: القول إن جين كانت سحاقية منذ كان عمرها ثلاث عشرة سنة يقوم على قدرة كبيرة لمعرفة الأسرار الخفية أو التنبؤ بالورق أو قراءة الكف. إن صاحبنا لا يعرف شيئًا في هذا الموضوع، وأنا أيضًا لا أعرف هذا الموضوع. إن شكري يشتغل على موضوعه بسهولة، إنه يختلق، يعطي الانطباع بأنه يعرف كل شيء، لكنه، في الحقيقة، لا يعرف شيئًا. أعتقد أنه لو كانت هذه الأشياء صحيحة، وجب أن أعرفها أنا الأول. كان بالإمكان أن تخبرني بذلك. فلمن كان بالإمكان أن تقول ذلك؟ بالطبع، له هو، الذي لم يعرفها أبدًا! (ضحك) ربما كانت هاتفته من ما وراء القبر (ضحك)، فبفضل هذه الطريقة أصبح على علم بكل شيء.

## جين وشارلوت برونتيي

**شكري**: «إنها تعلن شكواها لأقرب من يكون إلى

جوارها: من تعرفه ومن لا تعرفه. هي الرغبة القاتلة في أن تفني نفسها حتى لا تذل: «أنا دائمًا على خطوة من اليأس» .(ص84).

بولز: لست أدري إذا كانت جين تقول حقًّا: «أنا على شفا اليأس»، ولا أدري من قال لصاحبنا هذه الجملة، ولو أني أعلم أنه يلجأ إلى الكذب. ويمكن أن تكون ثمرة خياله. بالطبع، قالت لنا كلود ناتالي توما، قبل أيام، أن راشيل قالت لها إن صاحبنا انتحل كتاب مليسنت ديلن. وأنا أيضًا متأكّد من أنه أخذ كل شيء من كتاب مليسنت: «الخطيئة الأصلية الصغرى. حياة وأعمال جين بولز (1982)». كل ما قاله صاحبنا عن جين موجود في كتاب مليسنت بالرغم من أنه لم يذكره إلّا مرّة واحدة أو مرتين. وهذا هو السلوك العلمي نحو جهود وأعمال الآخرين. وبين السرقة والكذب توجد خطوة واحدة. أخذ كل ما كتبه عن جين من ذلك الكتاب بعد أن قلب معظم معانيه الخاصة بجين وتلك الخاصة بپول أيضًا. ومعلوم أن كتاب مليسنت هو الوحيد المكرس بكامله لجين وكتابتها. ولكنه يتناول أيضًا حياة پول، إذ لا يمكن الفصل بين حياتهما..

شكري: «الخطيئة والشعور بالذنب، لذة التألم دون الإيلام، التلاشي، الطموح إلى ما ليست قادرة على تحقيقه في الكتابة والحب ثم الخوف من العزلة. هذا ما كان يلاحقها ويكوبسها (من الكابوس). إنها أشقى من شارلوت برونتيي». (ص84).

بولز: لست أدري إذا ما كانت جين تشبه شارلوت برونتيي، لأنني، في الحقيقة، لم أتعرف إلى هذه السيدة. وهو نفسه لم

تسمح له الفرصة للتعرف إليها (ضحك). فقد سبقَته إلى الدنيا بقرون معدودة (ضحك). لست أدري كيف يستطيع أن يقارن بين حياة كاتبتين لم يتعرف إليهما أو عاشرهما. إن الأمر يتعلّق بذلك الصنف من الخلاصات التي لا تستحق حتى أن ننعتها بالمتسرّعة.

**شكري:** «إنها [جين] إنسانية أكثر من اللازم كما عرفها الذين كانوا في حاجة إلى مساعدتها لهم، عكس پول الذي لم يؤمن يومًا ما في حياته بما هو إنساني». (ص85).

**بولز:** كانت جين إنسانية. إنسانية جدًّا تتصرف كأم مع كل أصدقائها، من الجنسين تريد للحظات الفرح أن لا تنتهي أبدًا.. لكن القول إن پول لم يؤمن أبدًا بما هو إنساني كلام لا معنى له، مثل القول إن پول عدو الحياة. في الحقيقة، لا أفهم معنى هذا الكلام. وحتى لو كان يريد أن يوحي بتناقض ما بين جين وبيني، فإنه لم يفلح في التعبير عن فكرته تلك.

## كتاب الأحلام

**شكري:** «ظلّ پول وجين يستلهمان كلاهما الكتابة عمّا يوحيه أحدهما للآخر حتى عجزت هي عن الكتابة بسبب مرضها الذي جلب لها الفشل التام. لقد انتهت إلى مرحلة عجزت فيها على أن تعمل لتحلم أو تحلم لتعمل. فحتى الحلم من أجل الحلم تخلّى عنها». (ص87).

**بولز:** أعتقد أن صاحبنا أصبح حكيمًا جدًّا، وذلك عندما يقول عن جين إن «الحلم تخلّى عنها». لم تعد تحلم خلال مدة

مرضها. لم يسبق لي سماع فكرة مثل هذه من أي آدمي (ضحك). لم يعد الأمر يتعلّق بالتنبؤ بالورق، لكن بمعجزة وليّ صالح، حتى لا نتحدث عن المعجزة!!! إني أشم رائحة، مناخ قصص المرابط.. المرابط وهو يخلق شخصيات، وأوضاع، ولا يعكس الواقع، يرسم بورتريه كائن حي؟.. ولكي نعود إلى الأحلام الغائبة أو الأحلام التي غادرت جين، فجين لم تحدّثني أبدًا عن ذلك. يبدو أن صاحبنا يعرف حتى ما يدور في لا شعور الناس! ومعنى ذلك أنه يتخذ الناس كائنات من ورق، بالرغم من أنه يريد أن يعطي الانطباع أنه يتحدَّث عن كائنات بشرية من أسمائها: پول وجين بولز، محمد المرابط، عبدالواحد بولعيش، محمد التمسماني.. كل واحد من هؤلاء نال نصيبه من الكذب العام الذي أنعم به عليهم السيد شكري. لقد أكّدوا ذلك وأثبتوه كلهم. إن روبيرتو، وكيل أعماله، ذاته، أنكر الكلام الذي نسبه إليه شكري في كتابه هذا «كتاب الأكاذيب» أو «كتاب الأحلام».

## قتل الآباء

شكري: «ولم يعد هو [بولز]، بعد موتها، متفرِّغًا سوى للترجمات، والريبورتاجات، والاستجوابات، وكتابة يوميات جدّ عادية ثم نظم أشعار باهتة بعناد. فلو كانت جرترود شتاين حية لمنعته، أكيدًا، من زيارتها..». (ص 87).

بولز: من الواضح أن صاحبنا يكذب وهو يقول إن پول بعد وفاة جين: «لم يعد متفرِّغًا سوى للترجمات، والريبورتاجات، والاستجوابات، وكتابة يوميات جدّ عادية ثم

نظم أشعار باهتة بعناد». والحقيقة أنني استمرّيت في الكتابة كما في السابق، بل أكثر ممّا فعلت في السابق، وذلك لأنني لم أعد مشغولًا كما كنت خلال حياة جين. لم أعد مرغمًا على الذهاب والإياب بين بيتها وبيتي عندما كانت تنادي عليّ في كل لحظة.. أصبحت حرًّا؛ وأصبحت أتصرف بوقتي كما أشاء، ولذلك اشتغلت كثيرًا. إن كتبي وترجماتي تؤكد ذلك. وقد أشرت إليها أعلاه. إن ترجمات صاحبنا ذاته أنجزتُها بعد وفاة جين، أي أنني خلقته بعد وفاة جين، كما يقول لي معظم الناس، في الغالب. إنه يتناقض. إنه مرتبك. لا بدّ من أن يتناقض، لأنه لا يبحث عن قول الحقيقة. إنه يبحث عن إشباع رغباته، انتقامه.. لقد قتل أباه البيولوجي، عشرين سنة، قبل وفاته الفعلية. إنه هو نفسه يصرح بذلك. وهاهو يقتل أباه الثاني، بالمعنى الترتيبي، الذي منحه الحياة في العالم الأنجلوساكسوني. وقد قتل أباه الآخر، الطاهر بن جلون، الذي منحه الحياة تحت السماء الفرانكفونية. الموت للآباء!. إلى الأمام..

إذن، قمت بترجمات كتب صاحبنا بعد وفاة جين. لو كانت حية لكانت رفضت أن أترجم نصوصه. إنه محظوظ. يمكنه أن يغني الأغنية التي تروقه..

## في الحب والإبداع

شكري: «إن جين كانت محبة أكثر منها محبوبة: فلم تربح الحب ولا الطموح الأدبي الذي كانت تصبو إليه. هذه هي مأساتها». (ص89).

**بولز**: من الصعب القول إن جين لم تنل الحب الذي كانت ترغب فيه، ولم تحقّق طموحها الأدبي. إن هذه الفكرة تنتمي إلى الخيال الخالص. إن جين لم تعبّر أبدًا عن فكرة مثل هذه. ثم إنه لم يلتق بها أبدًا، ولا تحدث إليها، ولا قرأ نصوصها على كل حال! هل تحدث عن أعمالها بغير الجمل والأفكار التي جمعها من كتاب مليسنت ديلن؟ إن الأمر غريب على أي حال. كتّاب قليلون هم الذين يعبرون عن رضاهم عن نصوصهم. في الحقيقة، إنها علامة سيئة جدًّا أن يكون الكاتب راضيًا عن عمله. كانت جين غير راضية تمامًا عن عملها. لكنها كانت على خطأ، لأنني أرى أنها كتبت أشياء مدهشة وجيدة. ترومان كابوتي، تنيسي وليامز، كارسن ماك كوليرس، مليسنت ديلن، جون هوبكنز.. وآخرون يعترفون بموهبتها ويقولون الشيء ذاته. ومنهم جامعيون في بحوث خاصة أو ضمن دروسهم الجامعية أو البحوث التي يشرفون عليها يقولون الكلام ذاته.. لا، لم تكن جين راضية عن نفسها، لكنني أعتبر ذلك أمرًا طبيعيًّا. ثم إن مكانة جين في تاريخ الأدب الأميركي هي في طور التحديد. ويجب أن لا ننسى أنها كاتبة معاصرة.

**رئيس محكمة..**

**شكري**: «سنيور پول، ألا تعتقد أنك أشللت جين عندما كنت تنتج بحماس كبير في الموسيقى، وتكتب القصص بوفرة، ورحلاتك الموزعة في عدة كتب بينما كانت جين عاجزة عن إتمام أي نصّ بدأته؟». (ص136).

بولز: في الحقيقة، لا أعرف كيف يشتغل ذهن صاحبنا. كيف يمكن لي أن أكون سبب عجز أو شلل جين لأنني «أؤلف الموسيقى بحماس كبير، وأكتب القصص بوفرة، ورحلاتي موزعة في عدة كتب بينما جين عاجزة عن إنهاء أي نصّ بدأته؟» كيف يمكن لعملي أن يسبّب إصابة جين بنوبة مخية ويصيبها بالاحتباس؟ ألم يقل في مكان آخر إن جين كان يكفيها أن أكتب أنا وأنه لا يوجد في أسرة أدبية أديبان؟ هذا هو الوجه الحقيقي للسيد شكري؛ إنه ينصّب نفسه مدّعيًا عامًّا! إنه يريد تجريمي، هو السيد المحقّق في محكمة التفتيش؛ ذلك لباسه الرسمي الحقيقي!

هل الذنب ذنبي إذا أصيبت جين بالمرض؟

لقد أشرت أعلاه إلى حديث لم يدر أبدًا بيننا (شكري وأنا، لأنه اختلقه). وهذا دليل آخر على ذلك. كيف له أن «يستشهد» بكلامي؟ وهو يُركّب جملًا تناقض معانيها الحقيقة، والأحداث، والتجربة.. يقول: «كانت خلافاتنا (جين وأنا) صغيرة». إنه يقول دائمًا عكس ما هو الواقع، عكس ما هو حاصل. إنه يتصرف كرئيس محكمة عسكرية يجب عليه أن يجرم البريء وينتقد كل تصرفاته وأقواله حتى يبرر الحكم المبيت الذي ينوي إصداره..

لكن عليَّ أن أقول إن جين لم تكن تريد مناقشة عملها، ولا أمر كونها لا تستطيع أن تشتغل.. لكن أريد أيضًا أن نتأمل هذا الأمر. قبل الآن كان صاحبنا يؤكد أنني لم أكتب شيئًا خلال مرض جين، وها هو الآن يؤكد أنني كنت «أنتج بحماس كبير في الموسيقى، وأكتب القصص بوفرة، ورحلاتي موزّعة في عدة

كتب، بينما كانت جين عاجزة عن إتمام أي نص بدأته؟». هل يمكن أن أستخلص أننا أمام شخصين يدعيان شكري؟ إن لم نكن أمام عدد من الأشخاص يدعون شكري. بالإضافة إلى ذلك، إن شكري يقول دائمًا ما هو عكس الواقع، أو عكس ما حصل. عندما كانت جين مريضة، هنا في طنجة، لم أكن أستطيع أن أشتغل. فكان يجب علي أن أقوم بترجمات. كان يجب عليّ أن أستجيب لنداءاتها، كل عشرين دقيقة تقريبًا. كانت تنادي عليَّ لتطلب شيئًا ما.. جرعة ماء، سيجارة... أو تذكرني بحدث معين أو تطلب مني المعذرة عن شيء صدر منها أو تسألني إن كنت غاضبًا من سلوك صدر منها.. ثم كان يجب عليَّ أن أعطيها دواءها. كنت أنزل إلى بيتها ثم أصعد إلى بيتي مرتين، على الأقل، خلال كل ساعة. كانت الكتابة إذن مستحيلة. لم يكن بالإمكان كتابة التخييل. لكن لمّا ماتت جين شرعت اشتغل، أكتب من جديد. بالطبع، صاحبنا يقول عكس ذلك. وهذا أمر طبيعي. ما دام هو شكري، فلا بدّ أن يقول ما هو عكس الواقع، عكس ما يحصل.

ولو كان شكري يقرأ، لا بدّ أن يتذكر... لو كان إنسانًا متحرّرًا من أحكامه المسبقة المكرهة، قد يستطيع أن يقول الحقيقة.. لكنه يعيش عزلة پول بولز، أي أنه سجين پول بولز..

**شكري**: «لكن، فيما يتعلّق بدفنها، معروف أنك كنت ضد أن تموت وتدفن مسيحيةً». (ص137).

**بولز**: لم أكن ضد فعل دفن جين باعتبارها كاثوليكية. لم

أستطع أن أعقّب بأي شيء، لأن جين دفنت في مقبرة كاثوليكية. لقد جعلت الراهبات منها كاثوليكية. كنت ضد فكرة تحويل الراهبات جين إلى الديانة المسيحية. نعم. وهذا أمر آخر، طبعًا. لكنني لا أستطيع أن أكون ضد فكرة دفنها في مقبرة مسيحية.

إنها لم تكن أبدًا تدين بالكاثوليكية حية أو ميتة. لم تكن تدين بأي دين وهي حية. وأنا أيضًا كذلك، مثل شكري أيضًا (ضحك).

لما كانت جين على قيد الحياة، كانت تشجعني على الكتابة، بل إن وجودها على قيد الحياة، وإلى جانبي، كل ذلك كان بالنسبة إلي دعامة كبيرة، وكانت تشجعني على الكتابة، فعلًا. كانت تناقش كل ما أكتبه. كانت تقرأ كل ما كنت أكتبه وتعطيني رأيها في ذلك. لم تفلح يومًا في جعلي أعيد كتابة بعض المقاطع من نصوصي جرّاء نقدها لذلك، كما أنها لم تقترح عليَّ إعادة قراءة أي شيء كتبته. لا، لم يحدث ذلك أبدًا. كل ما كنت أكتبه كان يروقها. هذا ما كانت تقوله..

## جين ضد أمها

شكري: «تميّزت جين بولز بسخريتها من كل شيء حتى في أكثر الحالات الكئيبة في حياتها. ربما لتتخلص من عقدة سلطانية أمها ـ وإن لم تصل إلى قسوة وجهل أم رامبو. لقد عانت منها كثيرًا، ورافقها استبدادها طوال حياتها وهي على بعد قارة أو قارتين منها». (ص70).

بولز: لم تكن جين أبدًا تحت تأثير والدتها لأن والدتها

كانت، كل الوقت تقريبًا، بعيدة عنها. كانت على وعي تام/ قوي بوجود والدتها، نعم. خلال سنوات عدة، كانت عندما تصل رسالة وتعرف أن والدتها هي مرسلتها، كانت تلقي بها على الأرض. كانت تقرأها دائمًا، لكنها كانت تقوم بأداء ذلك المشهد القصير الخاص بها قبل قراءة الرسالة: هاه هان (پول مقلّدًا جين الغاضبة: حركات سريعة، فم مفتوح، العينان ترسمان علامة التعجب..) عندما تصل الرسالة تلقي بها على الأرض، ترقص فوقها رقصة معينة. وتكون غاضبة، حانقة. كانت لا تريد أن تقول إن الرسالة من أمها، لكن بعد رقصتها على الرسالة، تقرأها دائمًا، ثم يمكنها أن تغضب بطريقة أخرى. في المرّة الأولى تكون غضبتها ذات طابع مسرحي (ضحك)، وفي الثانية تكون غضبة حقيقية لأنها ناتجة عن ردّ فعل ضد أمها. كانت أمها تقول لها في رسائلها: «يجب عليك أن تعتني بصحتك»، «يجب أن تعتني ببشرتك لأنك توجدين بمنطقة مدارية»، «انتبهي إلى حميتك»..

رسائلها تعكس موقف الأم الحريصة على حياة وصحة ابنتها. إنها ابنتها، ابنتها الوحيدة.

علاقتي بأم جين كانت، على الدوام، علاقة جيدة..

## پول قارورة كآبة

أذكر أنه في ربيع (1940) لم ترد جين مرافقتي إلى المكسيك بمفردها. فاضطررنا إلى استدعاء بوب فوكنر لكي

يرافقنا. كانت جين، يومها، شابة محافظة لا تريد أن توجد مع شاب، ومع زوجها رأسًا لرأس. لكنني أحاول تأويل الأمر، الآن، على النحو التالي: كان بوب فوكنر سكيرًا. أنا لم أكن أشرب الخمر. كانت جين تريد أن يرافقنا شخص ما يشرب حتى يمكنها أن تشرب بمعيّته وتلهو. لا يمكنها ذلك رفقتي. أنا، في الحقيقة، لم أكن أحب أن أكون مع الناس، فأنا متحفظ بعض الشيء، بينما هي، تحب أن تكون رفقة الناس..

كانت جين تطلق عليَّ قارورة الكآبة Gloompot وذلك لأنني كنت أتحدث بجدية، بينما هي تريد أن نتسلى ونضحك. أنا، كنت دائمًا موجودًا، ولكنني غير مناسب، فيما أعتقد. كانت تقول لي: «لا فائدة من الحديث مع قارورة الكآبة لأنك ستقول إن ذلك غير ممكن، وإن كل شيء على غير ما يرام، وإنه لا يمكننا أن نكون سعداء، الآن، لأن الوقت الحالي لا يسمح بالابتهاج» (ضحك). كانت تناديني قارورة الكآبة، ولذلك كانت تفضل أن يكون معها بوب فوكنر. أذكر أن آرون كوبلاند هو الذي قال: «بول بارد مثل سمكة». وفيليب [رايمي] هو الذي أورد تلك العبارة في مقاله بكتاب «بول بولز بقلم أصدقائه». إن صاحبنا يسرق أفكار الآخرين دون أن يشير إلى المراجع. إن كل شيء ينبع منه (ضحك). عين تجري علمًا.

# المال.. المال

**وأخيرًا، ها هو فصل المال**

شكري: «إنه [بولز] يتوهم أن هناك دومًا من يتجسس عليه ويتوجس به شرًّا مثل سلب ماله، مثلًا، الذي يتحدَّث عنه بتقديس وعبادة. پول جدّ بخيل، هذا من حقّه، لكن ليس من حقّه أن يتوصل سنويًا بعائدات حقوق نشر كتبي التي ترجمها ولا يعطيني قسمتي ما عدا التسبيقات الهزيلة التي كنت آخذها عند التوقيع على العقد. ثم هو يأخذ 50 في المائة عن حقوقه في الترجمة!». (ص140/141).

بولز: إذا لم نبدّد مالنا نعتبر بخلاء؟ لا. لست عربيدًا كصاحبنا لكي أتصرف بشكل غير منطقي.

بالطبع، يقول هذا الكلام كي يمهّد الطريق لكذبة أخرى: «ليس من حقّه أن يتوصل سنويًّا بعائدات حقوق نشر كتبي التي ترجمها ولا يعطيني قسمتي ما عدا التسبيقات الهزيلة التي كنت آخذها عند التوقيع على العقد...».

لعل لا شعور شكري هو الذي أملى عليه صيغة الجمع هذه

«التسبيقات»، وهذا أمر مهم في حدّ ذاته. إنه اعتراف.. اعتراف بأنه توصل بتعويضات (يسميها هو تسبيقات)! عدة مرات..

## البخل والفلوس والثروة وبذور الجريمة

شكري: «يقال عنه [پول]: «هو يعيش حياة قناعة». لكن لماذا لا يقال عنه: «إنه يعيش حياة شحٍّ»؟ (ص61).

بولز: هل كل من لا يبذر ماله يعتبر بخيلًا؟

أجيب بالنفي، بالطبع. ثم إنني لست عربيدًا، كصاحبنا، لأتصرف بطريقة غير منطقية. هل يريد صاحبنا أن يفرض علينا نمط عيش الشكري؟

وهو شكري لم يحصل إلّا على التسبيقات!.. إذا كان يريد أن يوهم بأن هناك حقوقًا للمؤلف، وأنها تُبعث إليّ، فهل يمكن أن يثبت ذلك؟ إنه لا يمكن أن يثبت ذلك، لأنه أمر زائف.

شكري: «إنه يكره الفقر، هذا حقّه، ويحتقر الفقراء، هذا ليس من حقّه». (ص141).

بولز: إن القول إن بولز يكره الفقراء استيهام آخر من استيهامات شكري. إنه مجنون. أولًا: هو لا يعرف رأيي في هذه المسألة. ثانيًا: ما يقوله ليس فكرة من أفكاري بل هو فكرة من أفكاره. وثالثًا: من هم هؤلاء الفقراء؟ هل هم جميعًا محمد شكري؟ إنه زمن الاستنساخ، هذا أمر حقيقي؟ هؤلاء الفقراء، هل هم جميعًا محمد شكري؟ (ضحك) حتى يمكن أن يتحدَّث باسمهم عني؟ هل يريد أن يشيد لنفسه وضع مناضل على حسابي؟ هو الذي

لم يغازل أبدًا السياسة! إنه بارع، هذا الصاحب، في دوره الجديد. إن معرفته وعلمه يسعان العالم والأشياء...

شكري: «ثروته التي سيخلفها (أكثر من سبعمائة ألف دولار حسبما قال لي بدرو) سيتركها لأحد البنوك لتستثمر من أجل مساعدة مؤسّسات فنية أو غيرها». (ص141).

بولز: إنه يؤكد أنني غني كبير!

هذا الرجل قادر على إزهاق روحي لو أيقن أنه لن يُعاقب..

كيف يمكن لوكيله الأدبي، روبيرتو دي هولاندا، أن يصل إلى معرفة فحوى حسابي البنكي بنيويورك. إن هناك قانون السرية الذي تعمل به البنوك. أقول هذا لأؤكد أن كلام السيد شكري لا علاقة له بالواقع. ها نحن ولجنا عالم ألف ليلة وليلة.. ولا يمكن لروبيرتو أن يقول له هذه التّرهات. إنه أمر غريب حقًّا. إذا كانت ثروتي وصلت إلى سبعمائة ألف (700.000) دولار، فشكري قد أخطأ من حيث الشخص، والاسم.. وعليه فپول بولز لم يعد هو اسمي، بل أصبح اسمي السيد مالكوم فوربيس (ضحك).

شكري: «غير أن ما يضايق پول حقًّا هو أن تطلب منه سلفة مهما يكن مبلغها. إنه يبلع ريقه عدة مرات بصعوبة وينظر إليك باندهاش وشحوب خافضًا عينيه مفكّرًا قبل أن يوافق على مضض أو يرفض بأدب بالغ. كنت أشتغل في التعليم. وقبيل نهاية الشهر يذكرني إذا كنت مدينًا له: «لا تنسَ أنك مدين لي

بـ. . . » وطبعًا لم يكن المبلغ يتعدى خمسين أو مائة درهم» . (ص142) .

بولز: لا ، ليس هناك مال بيننا. لم أُقرضه أبدًا خمسين أو ستين درهمًا. أبدًا ، حتى أذكره أنه مدين لي بهذا القدر الضئيل. هذا ليس صحيحًا. لماذا يجب عليَّ أن أقرضه قدرًا ماليًّا؟ حتى ولو أنه أراد أن يثبت هذا الأمر ، الذي لم يحدث أبدًا ، بحاجته وبنهاية الشهر ، أي أنه صرف كل ماله ، أو أجرته. بالطبع ، شكري كان ، في البداية ، معلمًا ، ثم معيدًا في ثانوية هنا بطنجة. إن ما يقوله بصدد هذه السلفات هو مجرد كوابيس خاصة. لا علاقة لها بالحقيقة النسبية أو بالحقيقة المطلقة. لا علاقة له بهما مطلقًا. لم يطلب مني أبدًا أن أقرضه قدرًا ماليًا ، ولم أعطه أبدًا مالًا ولا أقرضته إيّاه. أعتقد أن الخلاصة التي يرغب صاحبنا في «ترسيخها» هي التالية : «إن پول بولز بخيل» ، لكن الوقائع تخذله.

شكري: «صحبت تينسي الذي خرجت معه من منزل لويز دو مورون. كنا جماعة. لم أكن مدعوًّا لكنني أقحمت نفسي لأن الرفقة راقتني. جيوبي كانت مثقوبة وكنت مهدّدًا بالدخول إلى شقتي دون أن أتعشى وأتناول بعض الكؤوس.

كان تينسي سيسافر بعد يومين حين دعاني للعشاء في مطعم الجنينة Djinina صُحبة پول ، والمرابط وعبدالواحد. وطبعًا فإن تنيسي هو الذي دفع الحساب. أعتقد أن بخل پول حالة مرضية : إنه يوفر حتى لا يفقر ، لكنه يعيش الفقر ذاته» . (ص143) .

بولز: لو كان رجلًا لطيفًا لقال إن پول رجل مقتصد؛ لا

يحبّ أن يبذر ماله (ضحك)، أو أن بولز يختلف عني. لكن شكري لا يعرف مفهوم النسبية. ثم إني أرى أنه أمر طبيعي أن تنيسي وليامز الذي دعانا للعشاء (المرابط، عبدالواحد، شكري وأنا) هو الذي يؤدي ثمن ذلك. إنه تقليد. لا. يجب على پول أن يؤدي الثمن، بدل تنيسي، حتى لا يتهمه صاحبنا بالبخل. لكن شكري لا يعرف التقليد، وتقليده هو نقد بولز وشتمه. وتلك أخلاقه مع أغلب من عمل فيه معروفًا (المرابط، الطاهر بن جلون..).

## ناشرون وحقوق

**شكري:** «وطبعًا معروف دائمًا عن بيتر أوين أنه سخيف في تصريحاته التي يزكّي بها تجارته كناشر ابتزازي لحقوق المؤلّفين من بينها حقوقي عن كتابي (من أجل الخبز وحده For Bread Alone ـ الخبز الحافي في أصله العربي). ومثله ميجيل ريبرا مونتيسينوس، Miguel Riera Montesinos، دانييل هالبرن، Daniel Halpern - Ecco Press ـ وجيفري ميللر Jeffrey Miller ـ Cadmus. إنهم عوالق Vampiros هؤلاء الناشرون. فعندما طالب وكيل أعمالي دانييل هالبرن بحقوق نشره كتابي «جان جنيه في طنجة»، الذي ترجمه بولز، أجابه: «إن الحقوق محفوظة لپول بولز، وشكري ليس إلّا أُميًا». (ص69).

**بولز:** بالنسبة لكتاب «جان جنيه في طنجة» لم تكن هناك حقوق، إطلاقًا. لقد طبع جيفري نسخًا قليلة. أنا، لم أتوصل بأي شيء مقابل عمل الترجمة، ولو سنتيمًا واحدًا. كان دانييل هالبرن قد بعث قدرًا ماليًا، في البداية، إلى شكري. مع العلم

أن هذا الأمر لا يهمني في شيء. فأنا لست إلّا المترجم. ولم أحصل على شيء مقابل ذلك. لم أطلب شيئًا. لم أطالب بشيء. قمت بذلك مقابل صداقتي للناشرين ولمساعدة شكري الذي ألحّ عليّ أن أقوم بذلك. كنت أعتقد، بصدق، أنه وإن لم يعط دانييل هالبرن لشكري شيئًا ذا بال؛ فذلك أحسن من لا شيء. ولكن، في الحقيقة، كان يجب أن يحصل شكري، من الناشر، على شيء معين مقابل هذا الكتاب، بالطبع.

ربما توجد حقوق فيما يخصّ كتاب «جان جينه في طنجة»، أنا لا أعرف شيئًا عن هذا الموضوع، ولم أحصل على أي شيء. ولا أعرف ما إذا كان جيفري ميللر أعطى مقابلًا ما لشكري عن كتابه «تنيسي وليامز في طنجة» أو أنه لم يعطه شيئًا. لا علاقة لي بالموضوع. اقتصر دوري على ترجمة النص. ثم إنني لست وكيل شكري حتى أعنى بكل هذه التفاصيل.

**شكري**: «مرّة سألته:

- لماذا تنشر كتبك عند بعض الناشرين اللصوص مثل بيتر أوين؟
- لأنني لست هناك ليكون لي الاختيار. كيف يمكن لي أن أراقب نشر كتبي وأنا هنا وهم هناك؟ إن معظم الناشرين أوغاد. يفعلون ما يشاؤون خاصة إذا كنت تعيش في بلد بعيد عنهم. إنهم هكذا». (ص143).

**بولز**: صحيح إن عمل الناشرين يصعب التحقّق منه. كثير منهم ليس عملهم شفافًا. قليل منهم يعتبر عملهم كذلك. وإذا كنت

قبلت النشر من لدن بيتر أوين فلأنه يوجد في بلد ناطق باللغة الإنجليزية. إن بيتر أوين هو الذي اتصل بي سنة (1962) وطلب مني أن ينشر لي نصًّا/ نصوصًا بعد أن زارني ببيتي، هنا بطنجة. قمنا بجمع عدد من المقالات الخاصة بالرحلة لنشرها في كتاب يحمل عنوان «أياديهم زرقاء ورؤوسهم خضراء» (1963).

**جدير**: إن بيتر أوين يتحدَّث عن ذلك في مقالته المعنونة «من هو پول بولز؟» والتي نُشِرت في الكتاب الجماعي المعنوَن «بپول بولز بقلم أصدقائه» (1992).

**بولز**: نعم. نعم. هذا صحيح. ثم إن كل كاتب في حاجة إلى أن يقرأ. وهذا لا يعني أن ما ينسبه إليَّ شكري من أقوال صحيح..

**شكري**: «وكنت أقول لنفسي: إنك كذاب يا سينيور بولز. كان يستلم عائدات المبيعات مباشرة أو نسخة من الشيك المدفوع لحساب بنكه في نيويورك يبعث له بها وكيل أعماله وليم موريس أجنسي. وطبعًا لم يكن لي وكيل لأعمالي آنذاك، ولم أكن عارفًا بعد أن الكاتب يمكن أن يكون له وكيل لأعماله الأدبية». (ص144).

**بولز**: لا يكذب أحد إلَّا على شكري، وهذا أمر جيد. إنه امتياز شكري أن يكذب عليه الناس، أن يعتقد أنني كذبت عليه! وإنه امتياز أحظى به عندما أعتقد أنه يكذب عليَّ. إنه يعتقد أن بيتر أوين يبعث لي بالمال وأحتفظ به. ثم إنه يصف بيتر أوين بأنه عولق. فهل هذا أمر منطقي؟ ويقول

عنه في مكان آخر: «وبعدما نشر أوين كتابي ولم يدفع لي حقوقي عن النشر، ما عدا مائة جنيه كتسبيق، أدركت أنه عولق Vampire . هو نفسه يعترف بأنه جانجستير Gangster، لكن دفاعًا عن نفسه، يدّعي أنه يساعد المغمورين على البروز والشهرة» (ص42).. مرّة يقول إن بيتر أوين عولق لأنه لم يؤد له حقوقه، ومرّة يقول إنه بعثها إليَّ وأنا أخذتها. فمن نصدّق شكري رقم 1 أو شكري رقم 2. إنه منطق يفتقد المنطق، وهذا الصنف من المنطق لا يمكن أن يصدر إلَّا عن سكير بامتياز أو رجل مريض نفسيًا وعاطفيًا..

## إشهار الناشر

شكري: «وأيضًا كان اسم پول بولز يكتب بنفس حجم اسمي على الغلاف كأنما هو يشاركني تأليف كتبي. لا شكّ أنه إشهار من خلق الناشر مثل بيتر أوين Peter Owen، لكن پول بولز لم يخجل، هو المشهور والغني، من هذه السفالة التي كان عليه أن يعارضها.!. والأكثر مهزلة هو أن كتبي الأربعة التي أمليتها عليه وترجمها وافق على حقوق نشرها منسوبة إليه مناصفة: (Copyright Mohamed Choukri and Paul Bowles). كان يفعل نفس الشيء مع محمد المرابط، لكن الأمر يختلف؛ لأن المرابط صديقه الحميم، وهو حاضر معه، ويأخذ منه ما يستحق بطريقته الخاصة، أما أنا فأبقى خارج الدائرة وحجة بولز أنه يساعدني على الشهرة.!.». (ص145).

بولز: إن الناشرين هم الذين يبتُّون في كل ما له علاقة بنشر كتاب معين. وهكذا يتصرفون وفق ما يبدو لهم حسنًا ونافعًا، كما يفرض ذلك «قانون» السوق! إن شكري ذاته يعترف أن كتابة اسمي بنفس حجم اسمه وبنفس الخطوط إشهار من عمل الناشر. إن الناشرين، لا يفعلون ما يُطلب منهم. أبدًا. إنهم يتصرفون وفق منطق السوق. والسوق تحكمه المنافسة عامة وسوق النشر تتحكم فيه المراهنة على أسماء الكتّاب «الأكثر شهرة» و«الكتّاب الجدد» الواعدين الذين قد تندرج كتاباتهم ضمن الغرائبي.. إن الناشرين يفعلون ما يريدون فعله من أجل أن يربحوا أكثر. ألا يُعتبر النشر فرعًا من فروع الاقتصاد؟ لقد طلبت من كل الناشرين، الذين ألحوا على القيام بذلك الإشهار - في الترجمة - على أن لا يفعلوا. لقد قمت بذلك كتابة. إن هذه الرسائل موجودة، لكنها لم تدرج في كتابي «على اتصال» (1993) لأنها اعتبرت غير ذات قيمة من لدن الجهة المسؤولة على نشر هذا الكتاب. فالرسائل التي اشتمل عليها هذا الكتاب هي التي اختارها جيفري ميللر. لقد رفضت رسائل كثيرة أردت أن تدرج في هذا الكتاب. إن هذا الكتاب يشتمل على أقل من ثلث الرسائل التي كتبتها. لقد قيل لي إن ما نشر يمثل القسط الأكثر أهمية والأكثر إفادة من مراسلاتي! من منظور الجهة التي نشرت الكتاب. لقد استثنى الناشرون تلك الرسائل من النشر، ولولا ذلك لبيّنت رأيي في الموضوع.

الخطأ ليس خطئي. لو لعب شكري دور الطفل الثائر قبل الآن لضمّها الناشرون إلى الكتاب، خاصة أنه يتهم أحدهم بأنه سرقه أيضًا..

## ترجمة شكري.. واقتسام الحقوق

يجب أن أقول إنني ترجمت كتب شكري لسببين:

- مساعدته، لأنه كان يقول إنه لا يستطيع أن ينشر ما يكتب، وبأنه محاصر في العالم العربي، ولا أحد يرغب في نشر كتبه لأنها تتميّز بالجرأة وتناول المواضيع التي تعتبر تابوهات في العالم العربي...

- طلب بعض أصدقائي أن أترجم ما يكتب وعلى رأسهم إدوار روديتي، وكافن لامبرت وقد سمعته يقول لك ذلك، قبل أيام، خلال زيارته الأخيرة[1].. ومن جهة أخرى، فقد قمنا، دائمًا، باقتسام المداخيل، فيما بيننا نحن الاثنين (شكري وأنا)، المداخيل الخاصة بكتاب «الخبز الحافي» وحده، كما تمّ الاتفاق بيننا حسب العقد الذي وقّعنا عليه.. واعتقد أن الأمر لا يستحق الحديث عنه.. بيد أن ترجمة الكتب الثلاثة الأخرى قمت بها تطوّعًا للأسباب المذكورة أعلاه..

---

(1) زار كافن طنجة لإطلاع بولز على مسودة كتاب مراسلاته مع نيد روريم، الروائي والمؤلف الموسيقي الأميركي، وعلى المقدمة التي كتبها.. وقد صدر الكتاب فيما بعد بعنوان «العزيز پول العزيز نيد»، مراسلات پول بولز ونيد روريم.
**Dear Paul, Dear Ned**, The Correspondence of Paul Bowles and Ned Rorem, Elysium Press, 1997.

أما فيما يتعلّق بقضية حقوق التأليف، فذلك عمل الناشر ولا أحد سواه. وقد احتججت على ذلك قائلًا: إنني لا أريد أن أتدخل في كل ذلك، لأن حقوق التأليف ملك لشكري ويمكن أن تصبح لهذه الحقوق أهمية شرعية في المستقبل. أعني بذلك أنه لو أريد إعادة نشر الكتاب ـ وأتحدّث هنا فقط عن «الخبز الحافي» لأن الأمر يتعلّق به وحده ـ وجب استشارة صاحب حقوق التأليف. في الحقيقة، لم ننتبه أبدًا إلى قضية الحقوق هذه. كيف يمكن لي أن أرفض أن أكون طرفًا في هذه الحقوق؟ لم نكن نعرف ذلك: لا هو ولا أنا. وفضلًا عن ذلك، فلم أعلم بذلك إلّا بعد أن نشر الكتاب. لاحظت ذلك وكتبت إلى الناشر المعني بالأمر وقلت له لماذا ربط بين اسمي وحقوق التأليف؟ أجاب أنه لم ينتبه إلى ذلك. قلت له أود، بالنسبة للطبعة القادمة، إن كانت هناك طبعة قادمة، أن لا يذكر اسمي مرتبطًا بحقوق التأليف. ردّ الناشر بالإيجاب. لكنه لم يفعل ذلك، بالرغم من تنبيهه إلى ذلك. أعتقد أن إعادة نشر كتاب، بالنسبة للناشر، لا تتطلب أي مجهود إضافي، خاصة إذا لم يكن يريد أن يلحق بها مقدّمة للكاتب أو لغيره.. فهو يعتبر صدورها معطى/ مصلحة سبق تحقيقها والدفاع عنها ويجب الدفاع عنها.. ومن جهة ثانية، فقد كنا اتفقنا، شكري وأنا، أن نقتسم مداخيل «الخبز الحافي» فيما بيننا؛ أي أن يحصل كل واحد على 50% لا أعتقد أن شكري سينكر ذلك، لأن الاتفاق كان كتابيًا.

كانت المقادير المالية متواضعة جدًا. لكن شكري لا

يصدّق ذلك، ربما هو يعتقد أنه باع (أتحدث عن النسخة الإنجليزية) آلاف النسخ، من كتابه. هذا ليس صحيحًا. فقد بيع من الكتاب المئات. ومعلوم أن الكتاب نشرته دار تعتبر صغيرة بمقاييس النشر الأميركية، ومن ثم فعدد النسخ الذي تنشره من كل كتاب محدود ومعروف، على الدوام.. على أي، فعدد النسخ المطبوعة من كل كتبي أو الكتب التي ترجمتها مذكور في كتاب جيفري ميللر، ويمكن أن يعود إليه.. وربما كانت المداخيل تتضمن التسبيقات، خاصة بالنسبة للكتيبين عن تنيسي وليامز وجان جينه. لكنه هو كان يعتقد أن هناك إضافات مالية أخرى. هذا الشعور نما لديه، ربما، نتيجة ضربة الحظ التي عرفها في فرنسا. لقد نجح كتاب «الخبز الحافي»، هناك، لكن أعتقد ـ كما قلت أنت ذلك ـ أن الفرنسيين كانوا متحفّزين أكثر ليعيشوا من جديد فترة مشتركة، وأن يشعروا ببعض الزهو الوهمي تجاه المغاربة.. ولسان حالهم يقول ما يقوله المستعمر على الدوام: ها نحن خرجنا ولم تتغيّر أحوالكم نحو الأحسن! وهل كانت ستتحول نحو الأحسن والمستعمر يقيم بالبلد؟ ثم إن الفرنسيين أكثر عناية بالمغرب.. أما الأميركيون فهم أقل عناية به.. ومن ثم لم يعرف كتاب شكري الإقبال ذاته الذي سيعرفه في فرنسا.. ثم إن التوابل الجنسية لها دورها في هذا المجال.. والحنين الفرنسي أيضًا إلى زمن ولّى.. ربما يعتقد شكري أنني تلقيت ملايين وملايين (مثلما يحدث في حكايات ألف ليلة

وليلة) وأن هذه الملايين ملك له. ربما يعتقد أن 90% من مالي ملك له (ضحك)..

## الابتزاز.. والحلم وقوفًا

شكري: «في السنوات الأخيرة، صار R وكيلًا لأعمال المرابط، ورودريغو ري روسا وبإيعاز من المرابط صار أيضًا R وكيلي.

لقد اكتشف R هذا الابتزاز من خلال العقود التي أطلعه عليها المرابط ونسخ الشيكات التي كان يعرف مخبأها في شقة بول. وعندما ناقشه R في هذه الملابسات عن حقوق نشر كتبي أجاب بصوته الرخو، الجامد، الساخر، اللامبالي، كعادته:

«وبعد، فإن شكري سكير، فماذا سيفعل بالمال سوى أن يهلك به صحته ويفسد كتاباته وتقل!؟ إنه عندما لا يجد المال فإنه يكتب أحسن ويثابر على العمل. أنا أعرفه كفاية وقيل لي عنه الكثير».

بول بولز الذي عاش ورأى العوالم يقول مثل هذه السفالة عني. ليس غريبًا، فقد احتقر غيري أكثر مما احتقرني: الذين سخرهم في كتاباته، والذين فقط عاشرهم أو اشتغلوا عنده، لكن هذا لا يعني أنني لا أحب بعض ما كتب، وهو أيضًا أحب بعض ما كتبت. إلَّا أن هذه نزهة في حديقة أخرى». (ص145/146).

بولز: بالتأكيد، إن صاحبنا، يحلم واقفًا عندما يقول إن المرابط أطلع روبيرتو، وكيلهما، على نسخ الشيكات التي كان يعرف مخبأها في شقة بول، فاكتشف هذا الأخير

«اختلاسات»!؟ إذا كان كل ذلك صحيحًا، وهو أمر مستحيل، فلماذا لا يعرضها على الملأ؟ لماذا لا يستنسخها في كتابه؟! وهكذا يمكن أن يقيم الدليل، مرّة واحدة في حياته، في هذا الموضوع، على أنه لا يكذب بشكل شاذ، وأن أكاذيبه ثمرة اضطراب عقلي أو جنون العظمة، أو الإحساس بالفراغ؟

أعتقد أن شكري كمولّد استيهامات يسمح لنفسه أن يقول أي شيء لكي يسيء إلى شخصي ولكي يمنح نفسه شهادة رضى. من بين هذه الاستيهامات:

**أولًا**: كلام شكري الذي ينكر من خلاله حصوله على ما وجب أن يحصل عليه مثل المرابط الذي يأخذ منه ما يستحقه بطرقه الخاصة. وعندما يضيف صاحبنا قائلًا: «أما أنا، فأبقى خارج الدائرة وحجة بولز أنه يساعدني على الشهرة..».

لكن في الحقيقة، كانت ترجَمة القصص الأولى لشكري بتكليف من صديقي إدوار روديتي، وهو من أصدقاء الطفولة.. لاحظ أنه يقوِّلني كلامًا ينضح بلاهة ويثير حنق قارئه..

**ثانيًا**: عندما يقوّلني سخافاته لكي يهزأ مني ويضحك الناس عليَّ، وذلك عندما يجعلني «أقول» لروبيرتو: «وبعد، فإن شكري سكير، فماذا سيفعل بالمال سوى أن يهلك به صحته ويفسد كتاباته وتقل!؟ إنه عندما لا يجد المال فإنه يكتب أحسن ويثابر على العمل. أنا أعرفه كفاية وقيل لي عنه الكثير».. جُملٌ تسعى إلى تحقيق إدانة بالكذب، باعتماد الكذب، وتهدف إلى إضحاك الناس عليَّ وتبشر الشكري بوضع البطل، الشهيد..

جملة واحدة هي الصحيحة في هذه الفقرة، وهي التالية: «شكري سكّير» لذلك يتصرف على هذا الشكل. فقد علّمه السُّكر المبالغ فيه فقدان التوازن الفكري والعقلي.. وعندما يعطّل العقل فاللاعقل أو اللاشعور يحل محله..

## رائحة الانتقام

ما يقوله هنا، بالطبع، كذب، بل هو أمر مثير للسخرية. ويبدو لي أن كل شيء يقوله هو أكثر إثارة للسخرية ممّا قاله من قبل. إنه يزداد ضراوة. إنها طريقة بشعة/ حقيرة للقيام بالإشهار الذاتي بتقويلي كلامًا محالًا وهو في نهاية المطاف مديح في حقّه.

ثم أليس في هذا السلوك عمل ينسب إلى المخبر، إلى الشرطي، غير النزيه، وذلك بنسب كلام إلى أناس لم يتفوَّهوا به أبدًا من أجل تجريمهم؟ هل يتعلّق الأمر بمحاولة للانتقام؟ من ماضيه؟ من هذا الأب پول الذي أصبح إرثًا مزعجًا؟ هل يتعلّق الأمر بلعبة سادية؟ كما أكّد لي ذلك بعض من معارفي. أعتقد أن صاحبنا لو كان يتمتع بحد أدنى من السلطة، لكان دفعني إلى توقيع محضر يضمن لي قضاء ما تبقّى من عمري في السجن أو الحكم عليَّ بالإعدام. ومن يراجع أقواله أو ما يقوِّلني إياه يتأكّد من كراهيته لي.. من غير سبب موضوعي، عدا كوني أنتمي إلى ذلك الماضي الذي لم يعد شكري يتقبل أن يذكِّره به أحد.. من الزوار عامة والصحافيين خاصة.. أي هؤلاء الذين يذكرونه بأبوتي له فيزداد كرهًا لي..

شكري: «قلت ضاحكًا:

- پول بولز فعل نفس الشيء، لكنه عاش فقيرًا وسيموت غنيًا». (ص149).

بولز: إنه أمر يضحكني حقًا عندما أسمع شكري يقول إن بولز رجل غني، وخاصة عندما يؤكد: «لكنه عاش فقيرًا وسيموت غنيًا». ومن جهة أخرى، فهذا الأمر أفضل من يعيش غنيًا ويموت فقيرًا. إنه أمر سيئ جدًا (ضحك). وأخيرًا إن هذا الصاحب يفكر وفق قاموس المال.

شكري: «فعندما طالب وكيل أعمالي دانييل هالبرن بحقوق نشره كتابي «جان جينه في طنجة»، الذي ترجمه بولز، أجابه: «إن الحقوق محفوظة لپول بولز، وشكري ليس إلّا أميًا». (69).

بولز: شكري يقول إنه لم يحصل على شيء جرّاء نشر «جان جينه في طنجة» في الطبعة الإنجليزية وأنني احتفظت بكل شيء! الحقيقة أن المسؤولين عن هذه المجلة (Debats) الذين نشروا عددًا خاصًا من المجلة عن طنجة نشروا بشكل متزامن مع هذا العدد كتاب شكري عن جان جينه. لم يتوصل بتعويضات، فقال إذن إنني المسؤول عن ذلك. لماذا؟ لأن نصوصًا لبورووز ولي نشرت بهذا العدد من المجلة. إذن فقد اعتقد أننا حصلنا على تعويضات، وهو لم يحصل عليها فوجب أن يغضب!؟

يجب عليه أن يستخبر من لدن إدارة المجلة. يا للتصرف الآلي!

قد يكون فعل، لكن يجب أن يتهم بولز لأنه ارتكب إثم ولادة شكري..

قد يكون فعل، لكن يجب أن يتهم بولز ليؤدي دور الضحية، الشهيد..

الغريب في الأمر أن هؤلاء الناس أصحاب المجلة بعثوا إليه بهذا العدد من المجلة وبالترجمة الإسبانية لكتابه عن جان جينه، ممّا دفع به إلى الاعتقاد، أو الزعم، أنني حصلتُ على تعويضات وأنني احتفظت بالقدر الذي كان موجّهًا إليه. لكن لو حصلتُ على تعويض كان على الإسبان أن يبعثوا لشكري بحقوقه. إنه معروف في إسبانيا، وهؤلاء الناس عندهم عنوانه، لأنهم بعثوا له بالمجلة والكتاب معًا، لأنه يعلمون أن الكتاب كتابه.

قام پول بصعوبة من فراشه. ذهب إلى المرحاض من دون أن يضع نظارتيه على عينيه. يتنقل أحيانًا في بيته مغمض العينين، خاصة منذ أن خفت بصره وقرب من التلاشي. أحيانًا يستعين بيديه للتعرف على أطراف الأشياء (الطاولات، الكراسي..) وأركان الغرف للتعرف على ملامح طريقه.. عاد إلى فراشه وهو يلهث. بعد أن استرجع أنفاسه، رفع سبابته، التفت نحوي وقال:

- أذكر الآن أن شكري حصل على تعويض مقابل نشر كتابه «جان جينه في طنجة».. إذا لم تخنّي الذاكرة فقد حصل على ثلاثمائة دولار.. هذا الكلام لشكري نفسه، وأذكر الآن أنه ورد في كتابه «تنيسي وليامز في طنجة».. لو

تفضلت وأمددتني بنسخة من هذا الكتاب. أعتقد أن واحدة توجد عند مدخل البهو في الرف الرابع..

لم أتأخر في البحث عن الكتاب. عثرت عليه في المكان المشار إليه. قدمته إليه وأنا أعلم أنه سيطلب مساعدتي. تصفّح نهاية الكتاب. قال لي:

- نقيصة هذه الطبعات أنها لا تتوفر على فهرس الأعلام وأسماء الكتب.. يلزمني زمان للعثور على تلك الجملة..

التفت نحوي قائلًا:

- هل تذكر أنك قرأت هذه الجملة في هذا الكتاب؟

- أذكرها..

شرعت أتصفّح الكتاب بحثًا عن الجملة المشار إليها. بعد قرابة عشر دقائق عثرت عليها. وهي قول تنيسي وليامز لشكري:

- «هل يعطيك دان هلبرن مقابلًا لإسهاماتك التي تبعثها له [لتنشر بمجلة «أنتيوس» التي يديرها]؟

- لا. لم يؤدِ أبدًا مقابلًا لشيء نشره في مجلته. لقد أعطاني تسبيقًا عن كتابي «جينه في طنجة» (ص39 من الطبعة الإنجليزية، مطابع قدموس، سانتا باربارا، 1979).

قرأت السؤال والردّ لبول فقال معقّبًا:

- ها أنت ترى أنه يدين نفسه بنفسه. الكذاب لا بدّ أن ينسى اليوم ما قاله بالأمس.. لست أدري ماذا سيقول السيد

شكري عندما يطّلع على ردودي هذه.. ولن يرتاح إلى ما كتبه في هذا المجال، بالتأكيد. صعب أن يكشف الإنسان من دون أن يدري، كذبه[1]..

## حجج الحصول على التعويضات

لكي نختم هذا الفصل الخاص بالمال ولكي نضع حدًّا لأكاذيب صاحبنا يجب أن أقول إنني ذهبت مرات إلى إذاعة (Midi 1) ميدي آن، حيث كان شكري يشتغل آنذاك لأترك له، عند الكاتبة، مقادير من المال. وقد تسلّمت تلك المقادير وأعطتها لشكري دائمًا. لقد أعطيت، على الدوام، تلك المقادير لهذه السيدة التي كانت تستقبل المكالمات الهاتفية وكانت توجد عند مدخل الإذاعة، والتي كنت أثق فيها. إنها ابنة خادمة، كانت تشتغل عندنا، جين وأنا، وكانت تسمى عايشة. كانت

---

(1) وأنا بصدد تهييء مساهمتي في تكريم شكري، اقتنيت النسخة العربية من كتاب «تينسي وليامز في طنجة». أعدت قراءتها. في الصفحة 28 من الكتاب ورد ما يلي بقلم محمد شكري:

«قلت لتينسي:

ـ غدًا سأعطيك عدد مجلة أنطيوس ANTAEUS الذي نشر فيه الفصل الأول من سيرتي الذاتية ترجمه پول.

ـ هل يدفع لك دانيال هالبرن مالًا عمّا تنشره في مجلته؟

ـ كلا. لم يدفع لي حتى الآن شيئًا عمّا أنشره في مجلته سوى ثلاثمائة دولار عن كتاب «جان جينه في طنجة».

ـ أنا أيضًا لا يدفع لي شيئًا. إن إحدى قصصي التي نشرتها في مجلته بعتها لمجلة أخرى بثمن جيد».

لم أحدّث پول عمّا قرأته، أبدًا.

الفتاة يومها صغيرة عندما كانت عايشة تشتغل هنا (مشيرًا إلى الشقة التي تقع مباشرة تحت شقته، شقة جين سابقًا). كانت الفتاة تذهب يومها إلى المدرسة وعندما تعود منها كانت جين تعطيها دروسًا. كان عمرها يومئذٍ سبع أو ثماني سنوات. وقد زارنا مرّة مصور مجلة Life من أجل ريبورتاج وأخذ صورة لجين برفقة الطفلة الصغيرة. كانت جين تعطيها درسًا وقت التقاط الصورة. كبرت الفتاة وأصبحت موظفة بمحطة ميدي آن. إنها فتاة أمينة تمامًا، وقد أعطت لشكري القدر المالي الذي تركته لها، كل مرّة تركته عندها. وأعتقد أن هذا دليل آخر، إذا كانت الحاجة إلى دليل، أن شكري توصل بحقوقه.. وأنه ظل يكذب باستمرار في موضوع حقوق التأليف كحرفي في ميدان الكذب. لكن الكذب كالجريمة لا يعود بالنفع على صاحبه. على أي حال إنه يكذب بصدد كل شيء ولا شيء.

كنت أحصل على هذه المقادير المالية من لندن، من بيتر أوين، وقد أعطيت، كل مرّة، لشكري نصيبه 50%، أي حقّه كما تمّ الاتفاق على ذلك فيما بيننا. وقد حصل الأمر بهذا الشكل على الدوام. لكن شكري، بالطبع، ينكر حصوله على حقوقه. كنت أترك له، دائمًا، نصيبه نقدًا داخل ظرف كتب عليه اسمه: السيد شكري. وقد حصل هذا الأمر أقل من عشر مرات.

عندما كنت أمر بميدي آن، كانت هذه الشابة تعلم أنني أجيء فقط من أجل إحضار القدر المالي لمحمد شكري. كانت

تقول لي دائمًا: «نعم، نعم. سأعطيه له مع الظهر عندما ينزل، أو هذا المساء لحظة انصرافه، سيحصل عليه».

أحيانًا، عندما ألتقي به، بالصدفة، في الشارع، كنت أسأله:

- هل حصلت على قدر مالي؟

كان يجيب:

- نعم. نعم. نعم. شكرًا يا پول.

والآن، المسكين لا يذكر ذلك لأنه شاخ (ضحك). إننا نطلب منه أكثر! مما يقدر عليه.. الصدق والاعتراف..

الشابة التي كانت تشتغل بميدي آن، كانت جميلة جدًّا. يمكن أن نسألها عن كل ما أقوله وستؤكده. إنها شاهد وعلى شكري التخلّص منه لكي يستمر في ممارسة الكذب.

ذات مرّة ذهبت إلى هناك وأعطيت للفتاة تلك الصورة التي أخذها مصور مجلة Life . قلت لها:

- إنها تعود إلى فترة كنت فيها طفلة صغيرة.

قالت وهي تضحك:

- آه! نعم. نعم. شكرًا.

## عبدالواحد وشكري

الثالثة زوالًا. طرقت باب بيت پول. فتحت لي سعاد. خادمة پول، كالعادة. تبادلنا التحية وأخبار أحوال العائلة. قالت لي، كالعادة:

- إنه ما يزال يتناول غداءه.

تعوّد سائق پول أن لا يعمل يوم الأحد. فهو يذهب إلى مسيوة، خارج طنجة، لزيارة بيت والديه.. وعندما يتناول پول طعام الغداء وتنتهي سعاد من غسل الأواني تغادر بيت پول ونبقى، هو وأنا، نشتغل حتى مجيء عبدالواحد على الساعة السادسة، السابعة أو الثامنة.. حسب الفصل: صيفًا، خريفًا أو شتاءً..

دخلت غرفة نومه حيث يقضي سحابة نهاره وكامل ليله. كان يقول لي بين الفينة والأخرى: «إنني أقضي عمري في فراشي». ابتلع اللقمة الأخيرة. حيّيته. رفع رأسه باتجاه مصدر الصوت. كان پول يوشك أن يفقد حاسة البصر نهائيًا، وكانت عينه الثانية تتهيأ للانضمام إلى الأولى والامتناع عن أداء وظيفتها.. ردّ على التحية بمثلها وقد مدّ يده نحوي، كالعادة. تصافحنا. شرع يحتسي عصيرًا باعتماد ملعقة صغيرة وهو يسألني عن أخباري وما جدّ فيها.. وسألته عن جديد أخباره: الرسائل التي توصل بها، الزوار الذين تردّدوا على بيته، في بحر الأسبوع الذي انصرم.. وفي معرض ردّه أخبرني أنه توصل بكتابين لمحمد شكري بعثهما إليه الناشر البلجيكي (Didier Duveillez) ديدي ديڤيي. يتعلّق الأمر بترجمة رواية «السوق الداخلي» و«جان جينه» (التتمة). قال مشيرًا بسبابته إلى ما بين فراشه والطيفور الذي يئن تحت وطأة ما يستريح عليه (أنواع مختلفة من الدواء، شمعدان صغير الحجم، علبة أو علبتا الثقاب، ولاعة، منفضة سجاير، آلة حلق الوجه؛ عندما يكون

استعملها للتو. فهو بالرغم من تعبه وشيخوخته وعجزه لا يكاد يتنازل عن طقس حلق ذقنه كل يوم، ولو في فراشه):

- أنظر هنا، لا شكّ أنهما ما يزالان هناك إذا لم تكن سعاد قد نقلتهما إلى مكان آخر، عندما رتبت الغرفة.. ويضيف فيما يشبه الاحتجاج الخفيف: بالرغم من أني أطلب منها أن لا تفعل..

أول ما لفت انتباهي كتاب أخضر اللون يحمل اسم السوق الداخلي باللغة الإسبانية Zoco Chico تصفّحته. احتفظت به فوق ركبتي. تناولت الكتاب الثاني «جان جينه». كتيب هو في الحقيقة. صغير الحجم. بالكاد يتجاوز العشرين صفحة. حرصت على قراءته قبل أن أغادر بيت پول. قال پول:

- لقد جلبهما عبدالواحد من البريد، ولما علم أن الأمر يتعلّق بكتابين لشكري ألحّ على التخلّص منهما بقذفهما في المكان المعلوم.. ولم يتراجع عن فكرته إلّا بعد إلحاح قوي من جانبي (ضاحكًا). قال لي : إنه لا يستحق أن تُعنى به أو تحتفظ بأي شيء يخصّه لأنه لم يحترم صداقتك ولا احترم معروفك تجاهه.. ثم ذكرني [عبدالواحد] بأول زيارة لشكري لبيتي هنا وكيف أنه، يومها، دخل البيت مطأطأ الرأس، شديد اللطف، احترامه مبالغ فيه..

اشتغلنا ذلك الزوال، كالعادة، ولما انتهينا سألني پول عمّا إذا كنت مستعدًا لأقرأ له كتاب شكري «السوق الداخلي» ليعرف

موضوعه. لم أبدِ اعتراضًا. وظلّلت أقرأ صفحاته لپول طيلة أسبوعين.. سيعقب، في الأخير، بقوله:

- شكري كاتب ذكي. يعرف كيف يقود سرده ولا يجعله يضيع وسط لجة التعبير. يقتحم الحدث ولا يمنح الوصف فرصة إقبار حيويته.. مهارته في الحكي تضاهي مهارة رواة الساحات العمومية.

# الجنس

## متعة اللعنة؟

شكري: «يقول عنه صديقه طومسون: «إن پول كان له قليل من الغريزة الجنسية». «ببساطة لم يكن الجنس مهمًّا بالنسبة إليه». (ص64).

بولز: لم أقل أبدًا إنني لا أهتم بالجنس. وحتى لو قال فرجيل: «لم يكن الجنس مهمًّا بالنسبة إليه»، يجب أن أقول إن فرجيل لا يعرف شيئًا في هذا الموضوع. لم يكن يعرفني جدًّا، كإنسان، لكي يكوّن عني أفكارًا تمكّنه من الحديث عني عن خبرة. وعلى العكس من ذلك، كان آرون كوبلاند صديقي. بالمعنى العميق للكلمة. لكن فرجيل لم يكن صديقي بالمعنى ذاته. لقد كان مسليًّا، هذه حقيقة. أحيانًا كان يبدو على حقّ وأحيانًا أخرى لا يكون كذلك.

بالطبع، الجنس بالنسبة إليَّ كما بالنسبة إلى سكان أورليانز الجديدة يمثل الشرّ لأنهم يتّصفون بالطهرانية. هم طهرانيون. وبهذا المعنى فهو يمثل تقريبًا نمط عيش. بالنسبة إليَّ كما بالنسبة إلى الطهرانيين، الجنس والدّين كانا يمثلان شيئين غير إيجابيين

تمامًا، لا يجب التفكير فيهما لأنهما مخلّين بالحياء. هذه القناعات ـ تقريبًا لها علاقة كبيرة بالتربية.

شكري: «وهكذا فإن الجنس سيصبح إثمًا في حياته. وكان أيضًا يخشى أن يغتصبه أحد خاصة في حمام مغربي عمومي. وإذا كان پول مفتونًا باللواط فهدفه منه هو تصعيده حتى يصير تجريديًّا: مجرّد فكرة حتى يسلم منه جسديًا. كتب إلى صديقه بروس موريسيت Bruce Morrissette مؤكّدًا له أن «اللواط هو موضوع أخّاذ بالنسبة لي، كما هي الجرائم الدامية، والاغتصابات، وحكايات المدمنين على المخدرات. إنها مثيرة للمشاعر لأنها ميلودرامية. إنها صراع! ومن لا يهب سنوات من حياته ليستطيع خنق أحد ما دون أن يعاقب؟». (ص64).

بولز: أعتقد أن القول إنّ عند بولز ارتباطًا بين الجنس والجريمة أو الفجور قول مبالغ فيه. لم أحاول أن أجرّم الجنس، ولا طردته من حياتي. كما لا أعتبر أبدًا الجنس كعدو. يتعلّق الأمر، ها هنا، بفرضيات لا مكان لها في كتاباتي. بل يمكن أن أؤكد أن هذه الفرضيات لا علاقة لها بكتاباتي التخييلية، ولا بالنقد الأدبي.

إن شكري يتحدَّث عن كل شيء لا يوجد في كتاباتي. يتحدَّث كأنه يعرف هذه الأشياء وذلك ليقنع القارئ بأنه على معرفة بكل شيء. والحال، لا يوجد شخص يعرف كل شيء.. أعتقد أن صاحبنا سادي، يستمتع بجعل الآخر يتعذب بالكذب

عليه.. ولعل القاموس المستعمل يؤكد ذلك. يقوم كل ما كتبه على الشتم والكذب..

يجب أن تكون الفرضيات (في أي صنف من أصناف الكتابة النقدية) ثمرة قراءات عميقة ويجب أن تفضي إلى نقود عميقة، تصبح لها قيمة تاريخية.

إن سكان أورليانز الجديدة لهم موقف موحد من الجنس: إنهم ضد الجنس. إنه واجب عند هؤلاء الناس أن يعيشوا كما لو أن الجنس لا وجود له. إنهم لا يتحدَّثون عنه. إنهم لا يفكرون فيه. ويمكن أن يمارسونه، ولكنهم لا يمارسوه، لأنه غير مقبول. نعم، هذه حقيقة، هناك خلفية دينية، كما تقول أنت، في هذه الفكرة، في هذا السلوك/الموقف. إنه، ربما، فقط موقف ديني.

كيف يمكنني أن أتصرف نحو الجنس كما لو كان عدوًّا، كيف يمكن أن أبغضه؟ يجب أن يفسر لي صاحبنا هذا الأمر! لا، لا وجود لشيء من كل ذلك في سلوكي نحو الجنس. إنه فكرة صاحبنا. استيهام آخر. إن استعمال كلمة عدو كلمة مبالغ فيها، وهي موحية جدًّا، إذا تحدثنا بالمعنى النفسي.. فهل انتبه شكري إلى ذلك؟

إن للجنس حضورًا في كتاباتي ولكنه حضور معقلن. طبعًا حضوره ضئيل ولكنه مقيد بالعقل..

شكري: «عندما سئل بولز عن دواعي زواجه جين أجاب: «لكي أتخلّص أنا من النساء، وتتخلّص هي من الرجال». لكن بول يقول بأن هذه رواية لفقّها النمامون». (ص82).

بولز: ليس صحيحًا ـ أن يقول باسمي ـ أنني تزوجت من جين لأتخلص من النساء الأخريات. وأن جين تزوجت لتهرب من الرجال! ياله من منطق ديكارتي!؟ إذا لم أكن أرغب في أن تكون لي علاقات بالنساء، فأنا حرّ في أن لا تكون لي هذه العلاقات. لم أكن أفكر في النساء، ولم أكن أُعنى بهن حتى أفكر في التخلص منهن. لم أكن مهووسًا بالنساء.

شكري: «إن طومسون وآخرين من أصدقاء پول وجين يشكون في أنهما (پول وجين) كانت لهما ممارسة جنسية مع بعضهما البعض. لكن مليسنت ديلون Millicent Dillon تؤكد أنهما مارسا الجنس، ولكنه انقطع بينهما بعد سنتين ونصف حسب ما قال لها پول نفسه». (ص64).

بولز: ليس في حوزة صاحبنا أي دليل يجعله يعتقد أنني لم تربطني علاقات جنسية بجين. كل ما يقوله كذب، طبعًا. لا يمكنني أن أقول هذا الكلام، لا خلال استجواب ولا لأصدقاء لأنه كلام غير حقيقي تمامًا. إن صاحبنا هو الذي يخترع، كالعادة. يعتقد أنني تزوجت جين ولم تكن لي علاقة جنسية تربطني بها. فهل هو الشيطان، الذي يكون دائمًا بين المرأة والرجل، عندما يلتقيان بمفردهما؟ إن ما يقوله كذب مطلق. لقد كانت لنا علاقات جنسية جمعت بيننا خلال سنتين، ثم انقطعت هذه العلاقة... (صمت طويل، قطعه صوت إيقاف آلة التسجيل، ثم آذان العصر.. يشرب پول من كأس ماء وضع إلى جانبه.. كأنما ليترك الفرصة لحبل الحديث أن ينقطع.. تعبيرًا عن حرج ما..)

## شيطان معاصر

شكري: «إن جين لم تتمتع إلَّا بالحب العابر. ربما، بسبب تصرفاتها المتقلّبة. كانت تبعد عنها من كان يريد أن يحبّها بعمق وصدق لأن الوضع القار يضاعف من قلقها ومللها.. ولا أتكلم هنا عن الشريفة وطيطوم: إذ لم تكن جين، بالنسبة لهما، إلَّا موردًا للرزق في علاقتهما مع «هاذ النصرانية الكافرة بالله» كما عرف أنهما تقولان عنها. وحتى الشريفة لم تُرض منها جين رغبتها الجنسية سوى في السنة الأولى التي عرفتها فيها كما اعترفت جين نفسها لديفيد هربرت». (ص88).

بولز: هل يجب أن أقول إن صاحبنا وهو يتحدَّث عن الترهات فيما يخصّ جين يحاول أن يغطي عن جهله بالكاتب ونصوصه. فهو تحدث في البداية عن الحفل الذي نظمته باربارا هاتن وصعوبة اختيار جين لزيّ قصد حضور ذلك الحفل. وها هو الآن، يغوص، أكثر فأكثر، في عالم الترّهات، وهو يتحدَّث عما تسميه أنت بالعلاقات العاطفية.

عندما يقول إن العلاقة العاطفية (أو الجنسية) بين جين والشريفة لم تستمر إلَّا سنة واحدة وجب عليَّ أن أقول إنه يعرف أكثر وأحسن مني هذا الموضوع. شيطان حديث. بالطبع، الشريفة كانت تهتم فقط بمال جين وهذا منذ لقائهما الأول، منذ بداية علاقتهما. لقد انتظرت على الدوام مال جين.

## الحب والجنس

شكري: «كل علاقة، بالنسبة لجين، لم تصر إلّا وهمًا. لقد فقدت التماسك بين ما هو واقعي وما هو خيالي [. . .] ورغم أنها كانت تعيش علاقات حميمة ومتحرّرة جنسيًا، مع نساء من بلدها وغير بلدها، فإنها لم تسمح لپول أن يمارس معها الجنس إلّا عند الزواج منها. ولم تدم علاقتهما الجنسية سوى سنتين ونصف. .». (ص52).

بولز: لقد كنت أول من تحدث عن طبيعة علاقتنا (جين وأنا) الجنسية. وقد سجلت ذلك في سيرتي الذاتية. هل يتعلّق الأمر، حقًّا، بموضوع مهم يستحق الحديث عنه، أم أن صاحبنا يكشف نفسه وهو يتحدَّث فيه؟

بالطبع وهو يتحدَّث عن هذا الموضوع لا يستشهد بما كتب، كما يفعل في أحايين كثيرة، كي يمنح نفسه وضع إلٰه صغير يعرف كل شيء. متنبئ بالورق.

يجب أن أقول كذلك إن العلاقة الجنسية ليست لها علاقة مباشرة بالحب.

بالنسبة لنا (جين وأنا) حبنا كان يكفى نفسه بنفسه، ولم يكن في حاجة إلى علاقة جنسية. يبدو لي أن الجنس ليس ضروريًا بين شخصين من جنس مختلف. الجنس ممارسة مكملة، قد تدعم الحب البارد، غير المكتفي بذاته. لقد تخلّصنا من

العلاقة الجنسية بيننا، واكتفينا بالحب، بشكل طبيعي وبعد اتفاق بيننا يمكن أن أنعته بالطبيعي.

شكري: «لم أعرف جين شخصيًا، لأنه حينما قدمني إدوار روديتي إلى پول بولز كانت هي في مرضها العصبيَ والأسيان في مالقة [...] لكنني استمعت إلى الأحاديث الطويلة عنها من پول والذين عرفوها وعاشروها مثل التمسماني (السائق السابق لپول وجين)، وأحمد اليعقوبي [...] ومحمد المرابط وهو أحسن من يدافع عن جين من بين المغاربة الذين عرفوها. كان المرابط يعنى بأكلها حينما تمرض ـ حسب شهادة پول نفسه ـ بينما هي أوعزت إلى پول أكثر من مرّة بأن يطرده من العمل معهما». (ص58).

بولز: لا. ليس صحيحًا أن جين لم تكن تحب المرابط. لقد رأت على الدوام في المرابط رجلًا خيِّرًا وعثرت فيه على مرافق حقيقي. لم تكن تحب أحمد اليعقوبي. كل هذه الأشياء تثبت أن صاحبنا لا يعرف عما يتحدَّث. وعليه فكل أقواله لا يجب أن تؤخذ مأخذ الجد. لست أدري هل يجب أن أتحدث عن نوع من السادية أو عن الرغبة في قتل الأب فقط. لكن، يبدو لي أنه لا يخفي عدوانيته، أيضًا، نحو مواطنه محمد المرابط وهو يشوه الحقيقة. ذلك مجال فنه، لو سمحت لنفسي أن أقول ذلك..

أما أمر الاستماع إلى أحاديث طويلة عنها من فلان وفلان فذريعة لتبرير الكذب عليها، بعد أن أكّد هو نفسه أنه لم يعرفها

بكل معاني الكلمة، وهو ما يؤكد قولي أن السيد شكري يفضل «ثقافة» القيل والقال والحديث عن الترهات بدل معرفة النصّ، بعد عناء قراءته وبذل جهد لاستيعابه..

كانت جين قد ذهبت للإقامة بفندق أطلس، من دون أن تخبرني بذلك من قبل. كانت تعيش ذروة أزمتها. وفجأة اختفت. غادرت البيت وتمّ العثور عليها في ذلك الفندق لأنها كانت مجنونة. كانت تقيم هناك، دون أن تخبرني بذلك. لم تعد ترغب في رفقتي، لأنني، ربما كنت أمثل بالنسبة إليها سلطة المنع؛ كنت أمنعها من الشرب، شرب الخمر. خلال فترة إقامتها بفندق أطلس وزعت عددًا من الشيكات، معظمها من دون رصيد. لم تعد مسؤولة عن تصرفاتها. توصلتُ في الأخير إلى إقناعها بدخول المستشفى بمالقة. خلال إقامتها بالمستشفى، هناك، توصلت بعدد من الفواتير والشيكات من كل جهات طنجة وجب عليَّ أداء ثمنها. لقد أديتُ مبالغ مالية مهمة جدًّا. لكن الغريب في الأمر أن صاحبنا لم يقل إنني أديتُ كل ذلك من ماله الخاص. ألا يصفني بالبخيل! ألا يستشهد بتلك الظروف الشهيرة التي لم تكن جين تحبها!

## جين والشريفة

شكري: «إن جين لم تتمتع إلّا بالحب العابر. ربما، بسبب تصرفاتها المتقلبة. كانت تبعد عنها من كان يريد أن يحبّها بعمق وصدق لأن القار يضاعف من قلقها ومللها. ولا أتكلم هنا

عن «الشريفة» وطيطوم [. . .] وحتى الشريفة نفسها لم ترض منها جين رغبتها الجنسية سوى في السنة الأولى التي عرفتها فيها كما اعترفت جين نفسها لديفيد هربرت». (ص88).

بولز: كانت جين لا تفارق الشريفة، لكن ذلك لا يعني أنهما يمارسان الجنس. على العموم، كانت الشريفة تعتذر. لم تكن تريد أي شيء. لم تكن تريد أن تمارس الجنس مع جين. كان للشريفة صديقة مغربية سوداء اللون. لقد نسيتُ اسمها، لكنني كنت رأيتها. كانت الشريفة تتحدّث، في الغالب، عن هذه الصديقة وتقدم ذلك كاعتذار لكي لا تكون مع جين، أقصد عاطفيًّا. كل ذلك أتصوره لأنني لا أسال الناس عما يفعلونه.

لا أريد أن أكون مثل صاحبنا: أن أتحدث عن أشياء لا أعرفها وأن أوهم الناس بأنني أعرف عما أتحدث. كل ما قاله يجب أن يصحح. هو نفسه يجب أن يصحح/ يؤدب (ضحك).

لم تكن طيطوم أبدًا خادمة جين. كانت تملك حانوتًا بسوق الزرع وكانت تكسب قوتها ببيع منتوجات وأقمشة. كان حانوتها يوجد إلى جانب حانوت الشريفة. إذا قال صاحبنا إن طيطوم كانت واحدة من خادمات جين، فليس الأمر غريبًا لأنه يخطئ، كالعادة. لم يعد الأمر يتعلّق باستيهامات، بل بأخطاء واقعية، مادية، كما كانت تقول كلود ناتالي توما. أخطاء كثيرة.

الزوهرة السمينة كانت متزوجة من عضو في عصابة. كانت الزوهرة جارة. كانت تسكن نفس الحي الذي نسكنه: حي

الميموني. كنا نسكن هناك، آنذاك. يوجد الحي في المدينة القديمة.

## جين والجنس

شكري: «أصبحت مثل هذه العلاقات التي تنسجها جين، لتسكين قلقها، مصدر إزعاج كبير لپول». (ص88).

بولز: علاقات جين مع المغربيات لم تكن تزعجني أبدًا.

إن علاقات جين الجنسية كانت تربطها بسيدات أوروبيات وأميركيات. ربما كانت تريد أن تربط علاقات مع مغربيات، لكن المغربيات صعبات جدًّا، مرتابات جدًّا، كثيرات الخوف، محافظات.. ثم إن هذا الموضوع يعتبر من التابوهات، من يستطيع أن يتحدَّث عنه بكل صراحة؟ باستثناء شكري الذي يستطيع أن يبني إمبراطورية كاذبة.. عمادها الوهم.. كالعادة.

قلت له، مستغلًّا الفرصة التي قدمها لي شكري:

- ماذا لو وضحت هذا الأمر الآن فهي مناسبة تجلو هذا الأمر؟

- لما كنت تلح، أنت (ضحك)، وجب أن أقول إن العلاقة الجنسية بين جين والشريفة، لم تدم سنة. هذا غير صحيح. إن صاحبنا يتحدَّث عن ذلك كما لو أن ذلك كان يحدث كل ليلة، وأمامه! شيطان حقيقي. في الحقيقة، هذه العلاقة لم تتجسد إلّا خلال ليلتين، وذلك خلال سنة تقريبًا. لقد فصلت بين هاتين الليلتين عدة أشهر. ثم انتهت تلك العلاقة.

ليلتان أصبحتا سنة في رواية ـ الأحلام ـ لصاحبنا شكري (ضحك). قد تكون جين قادرة على إخبار دافيد هيربرت بهذا الحدث، لكن حسب علمي فهي لم تفعل ذلك.

لقد علمت أن هذه العلاقة بين جين والشريفة لم تدم أكثر من ليلتين من خلال جين نفسها، فهي التي أخبرتني بذلك. بالطبع، هي تحدثني عن حياتها الخاصة، عن علاقاتها، من دون أن أطلب منها ذلك. يمكن أن نلاحظ أن الواقع، الحقيقة، الدقة، الأمانة لا مكان لها في كتاب صاحبنا.

## نهاية التواصل الجنسي

أبادره بالسؤال، ولم أُرِد أن أضيّع الفرصة:

- هل يمكن أن تحدثنا من جديد عن سبب انقطاع هذه العلاقات الجنسية بينكما، بنوع من الوضوح، وذلك حتى تضيء أجوبتك/أحاديثك كل النقط المثارة هنا ولا تبقى معتمة؟

- بالطبع، سأفعل نظرًا إلى طبيعة الكتيب، ولكن لقطع دابر أكاذيب شكري خاصة، وتقريب القارئ من حياة وأفكار پول بولز الذي أغرقه شكري في محيط الكذب..

## السكر يحفر هوة

... وإذن انقطعت العلاقات، لأن جين شعرت بالملل. أنا، لم أكن أريد أبدًا أن أسكر، بينما هي، كانت تذهب لتسكر

كل ليلة. كانت تحب ذلك. لقد أصبح ذلك جزءًا من طقس لديها، جزءًا من طبيعة ثانية. حدث ذلك ونحن في باريس، خلال فترة شهر العسل، كما استمر بعد تلك الفترة. كنت أقول لها، كل مرّة:

- اذهبي لتسكري، أنا سأبقى في البيت.

هكذا بدأت الأمور.

في الأخير، أصبحنا نلتقي كل يوم، ولم نعد ننام معًا على نفس الفراش. كان الكحول عقَبة تحُول بيننا. وهي نفسها كانت واعية بالمسألة. كانت أحيانًا تعود إلى البيت على الساعة الثالثة صباحًا، وأحيانًا لا تعود إلّا مع الصباح. أعود إلى البيت، من العمل، فألاحظ أنها لم تعد بعد. كنت أنتظرها، في البداية.. كانت تعود إلى البيت، على الساعة الرابعة صباحًا، سكرانة... وفي الأخير، أصبح لكل منا شقته الخاصة به. كنت أفضل أن أكون بمفردي. وهي أيضًا كانت تفضل ذلك.

## بول يضرب جين

ذات يوم من سنة (1940)، كنا نقيم، جين وأنا، في فندق شلسيا بنيويورك، وعندما عدت متأخرًا، في المساء، فوجئت بغرفتنا مليئة بأناس لا أعرفهم، وكانوا يشربون ويدخنون. كانوا أصدقاء جين. في ذلك الوقت، كنت أؤلف موسيقى مسرحية لفائدة وليام سارويان عنوانها (Love's Old Sweet Song). كنت أريد أن أنام لكي أستيقظ، صبيحة الغد، في أحسن حالة لكي

أستطيع أن أعمل بشكل طبيعي جدًّا. عندما ذهبت إلى الحمام وجدت امرأة ممددة في حوض الحمام! عدت إلى الغرفة وقلت لجين:

- اطردي هؤلاء الناس ولا تنسي أن تخرجي تلك المرأة من الحمام.

أجابتني بهذه الكلمات:

- هؤلاء الناس أصدقائي وسيذهبون متى يشاؤون.

انطلق الشجار أكثر من ذي قبل. انصرف أصدقاء جين على عجل. قلت لجين إذا لم أنم جيدًا فلن أستطيع العمل. اتهمتني بالكآبة. شخص مكّدر الصفو حقيقي كما كان يحلو لها أن تناديني أحيانًا.. فوجئت بيدي اليمنى ترتفع وتصفع جين، وفي اللحظة التالية ندمت على فعلتي، وقد أرعبني تصرفي. سامحتني وهي تؤكد لي استمرار حبها لي. أعتقد أن ذلك كان هو الضربة الثانية الموجهة إلى حياتنا الجنسية، بعد ضربة إغراقها في شرب الخمر. حاولت عبثًا أن أقنع جين أن نستأنف حياتنا الجنسية ولكن من دون جدوى.. وقد وافقنا ذلك القرار معًا.

## شذوذ

شكري: «جين تتبجّح بشذوذها بينما پول يكتمه أو يراوغ إذا سئل عنه. منذ البداية اتفقا على أن لا تكون بينهما أية خيانة؛ فهي ستعرف كل عشاقه، وهو سيعرف كل عشيقاتها». (ص83/82).

بولز: إن القول بأن جين وپول لا يخفيان عن بعضهما البعض شيئًا، فجين تعرف عشاق پول وپول يعرف عشاق جين ملحة تثير ضحك الموتى أنفسهم! لم أكن أعرف أيًّا من عشاق جين لأنه لم يكن لها عشاق. كانت لا تفارق الشريفة. لست أدري هل يمكن للشريفة أن تتبوّأ وضع عاشق. غير أن جين كانت لها علاقات جنسية مع نساء أميركيات، خاصة، قبل أن تأتي إلى المغرب. أما فيما يخصّني شخصيًّا، فلم تكن لي علاقات مع أحد. إنه أمر أخرق القول بذلك. ثم إن صاحبنا يستعمل صيغة الجمع ليمارس الكذب: عشاق! إنه كلام غريب حقًّا.

لن يقول شكري كلامًا حقيقيًّا، صادقًا حتى تتخرج الجِمال من الجامعة، بعد إتمام دراستها بها!؟

شكري: «لقد أتيحت لپول، في عدة عواصم، فرص لكي يتحرّر من كبته، ولكنه لم يستطع أن يستجذر ما كان متجذرًا عميقًا فيه. إنه يحبّ عالم الجنس في شذوذه، لكن دون أن يشارك فيه عمليًّا بالمعنى العميق. كان يكتفي بدور المشاهد عن بعد أو المتلصّص Voyeur. هذا يكفي لاستثارة لذته الجنسية. كان دائمًا يخاف أن يغتصب جنسيًّا؟!». (ص163).

بولز: الجنس، بالمعنى العام يعتبر شيئًا مجرّدًا. العلاقات بين الرجال والنساء لا أعرفها، لا أعرف فحواها حتى يمكن أن أتحدث عنها، كما أتحدث عن شيء أعرفه جيدًا. لم أرَ زوجًا يمارس ذلك. إن الجنس تجريد، على العموم. لكنه يعتبر، في

الواقع، شيئًا ذميمًا. شيئًا رديئًا. وبالنسبة إليَّ فهو شيء فظيع، لأنه يتسبّب في النسل. إن كل عمل يمنح ساكنة العالم أطفالًا جددًا هو عمل ذميم إلى أبعد حد. إن الحياة في حد ذاتها تبعث على التقزّز، فلماذا يجب أن نعمل على تناسلها.. أعتقد أن أحسن ما يجب أن يقوم به الإنسان تجاه عبثية الحياة هو الامتناع عن تغذيتها بالضحايا الذين تتفنن [الحياة] في إذلالهم وحرمانهم مما يجعل منهم بشرًا بسبل عدة منها: الحرمان من الطفولة، الاستغلال الجنسي، تجنيدهم في الحروب. . . .

وأعتقد أن في قول شكري إن پول «كان دائمًا يخاف أن يغتصب جنسيًا» كلام لا معنى له. فهذه الأشياء لا يمكن أن يعرفها الآخر إلَّا إذا تحدثنا معه بشأنها.. لكن من يقرأ «الخبز الحافي» بعناية يلاحظ أن شكري هو من عانى من هذا الشعور كثيرًا.. وعليه، يمكن أن نقول إنه يحاول أن يتحدَّث عن نفسه عبر وسيط، أو هو يقوم بما يسمى في علم النفس بالإسقاط.. يجب أن لا نغفل البعد النفسي ونحن نقرأ كتابات شكري، أو هجومه على خصومه المفترضين، المعروفين، الذين انتقاهم السيد شكري وفق مبدأ «يجب أن نختلق أعداء لنقدر على مواجهة الحياة ونبرِّر سلوكنا ونرضى على الذات..!».

شكري: «عندما عرفت جين پول بولز قالت له حرفيًا: «لا أريد أن تكون لي معك أية علاقة جنسية إلَّا إذا ما تزوجنا. أريد أن أتزوج وأنا عذراء».

تظل هذه الرغبة غامضة حتى الآن في علاقتهما. وطبعًا

هي هنا لا تريد أن تذكر المرات الضائعة في العدّ التي تركت فيها نفسها تفتض مع السحاقيات مثلها وهي بين الثانية والثالثة عشرة من عمرها قبل أن تعرف پول». (ص86).

بولز: القول بأن جين كانت سحاقية منذ بلغت سنتها الثالثة عشرة أمر يتعلّق بعالم الأسرار أكثر مما يتعلّق بقراءة البخت/التنبؤ بقراءة الورق. لا يمكن لصاحبنا أن يعرف شيئًا عن بداية جين السحاقية. وأنا أيضًا لا يمكنني ذلك. فالكتاب الأكثر تفصيلًا في تناول حياة جين ـ والذي انتحله صاحبنا واستعمل مادته لأغراض تناقض تمامًا الغرض الذي كتب من أجله، وتنمّ في الآن نفسه، عن عدم فهم ذلك الكتاب، والرغبة الدفينة في التعريض بپول بولز ـ هذا الكتاب نفسه لم يشر إلى هذا العمر لما تناول الجانب السحاقي في شخصية جين. إن صاحبنا يقوم بعمله بأسهل طريقة تعرّف عليها الكون. يخترع ويعطي الانطباع بأنه يعرف كل شيء. لكنه، في الواقع، لا يعرف شيئًا.

شكري: «وحتى الشريفة نفسها لم ترض منها جين رغبتها الجنسية سوى في السنة الأولى التي عرفتها فيها.. ». (ص88).

بولز: أعتقد أن هذه الأشياء لو كانت حدثت وكانت حقيقية لكنت أعرفها. لمن وجب أن تحكيها؟ بالطبع، ليس لصاحبنا الذي لم يتعرف عليها أبدًا! (ضحك) ربما هاتَفته من ما وراء القبر (ضحك). وبهذه الطريقة هو على علم بكل شيء.

شكري: «إن جين ستحب الإناث بشراهة، وپول سيحبّ الذكور أقل شهوة منها. إنه قدرهما». (ص86).

بولز: بالرغم من أن الحديث في هذا الموضوع تافه حقًّا، فإني أود أن أقول إنه معروف عن محمد شكري أنه لم يكن يمارس الجنس كأي إنسان معافى، فهو غير مسلّح (Mal armé) لتلك الممارسة. Mal armé، كما كان جان كوكتو يقول في السياق ذاته. ولعل كتاب «الخبز الحافي» يقول ذلك بصريح العبارة.. أذكر أن شكري يتحدَّث، عن صداقته للمرابط، في مكان ما من كتابه هذا [«للمرابط ذكريات مع البغايا اللواتي عرفهن شابات واليوم تجعدت وجوههن، وأيديهن وازرقت شرايين سيقانهن، وتسوّست أسنانهن وترهلت أجسادهن. يحبّ أن يزورهن، لكنه يستحب أن يصحبه رفيق إلى حاناتهن. يكرمهن بسخاء. يجد غالبًا أكثر من واحدة منهن في نفس الحانة. صارت تروقه رفقتي. ربما لأننا من نفس الطينة، أو أيضًا لأننا ريفيان، والريفيون يتآزرون، خاصة في الأزمنة الأخيرة، فيما بينهم. لم يكن المرابط يتناول غير الليمونادا وأنا البيرة أو الويسكي. (47)] لقد حدثني المرابط عن هذه الصداقة وعن تلك الزيارات إلى الحانات، لكن ما أعرفه هو أن شكري والمرابط كانا أحيانًا يدعوان بعض البغايا إلى بيت ما، وكان شكري هو الذي يكرمهنّ بسخاء، لأنه مخمور، لكن، في الصباح، كانت البغي تقول للمرابط، عندما يسألها عما حدث بينها وبين شكري، ببعض الامتعاض:

- أنا نعستُ مع ...

وهكذا يمكن أن نستخلص مما ورد في «الخبز الحافي»،

ومن شهادة المرابط أن شكري، أيضًا، كان (Mal armé)، غير مسلّح لخوض غمار تجارب الجنس، ومن ثم شذوذه الذي تحدث عنه في سيرته، أقصد المثْليّة..

## وهم

شكري: «معروف أن پول بولز بارد جنسيًا كما يعترف هو نفسه بصراحة. مرّة سألته:

- سينيور پول، أما زلت تمارس الجنس في سنك؟
- كلا. منذ أكثر من عشر سنوات لم أمارس خلالها الجنس.

كان ذلك في أواخر السبعينيات. ونحن نعرف أنه لم يكن يفرّق بين الذكر والأنثى حتى بلغ السابعة عشرة من عمره». (ص87).

بولز: أعتقد أنه عليَّ الآن أن أستعمل هذه العبارة: إنه أمر مخز. فصاحبنا يزعم أنه طرح عليَّ هذا السؤال عند نهاية السبعينيات؟

بالطبع، يتعلّق الأمر هنا بكلام مختلق، إذ لا وجود لعلة تدفعني أن أقول لهذا السيد أنني لم أعد أمارس الجنس مع أي كان منذ أكثر من عشر سنوات. لم أقل له أبدًا هذا الكلام الذي ينسبه إليَّ، كما لم يطرح عليَّ أبدًا ذلك السؤال. لا أفهم لماذا يقول هذا الكلام؟ ماذا سيربح؟ هل كان يريد أن يعرض نفسه عليَّ؟ (ضحك).

لو أراد أن يثبت أن علاقة حميمة تربط بيننا، فهو يكذب،

كالعادة. لم يكن هناك، أبدًا، شيء حميم بيننا. عندما كان يأتي إلى هنا [بيت پول]، عندما كنا نشتغل على ترجمة كتابه «الخبز الحافي»، يكون سكرانًا، في الغالب، أو يغادرني وهو كذلك. والحال أنه لا يمكن أن تربطنا صداقة حميمة مع سكير.

لكن، هل نسي صاحبنا ما قاله أعلاه من أن پول طهراني، يكره الجنس، ويسعى إلى تجريمه إلخ، إلخ.. يبدو لي أن شعار شكري هو: كل الأكاذيب تؤدي إلى الهدف.. والهدف الإساءة إلى من أسدى له معروفًا في وقت سابق. لاحظ ما طبيعة علاقته، الآن، مع المرابط، الطاهر بن جلون.. بل إن علاقته تدهورت بوكيله روبيرتو الذي طلب منه حذف الشتائم التي كالها لي في كتابه هذا ليتمكّن وكيله من ضمان نشر الكتاب باللغة الألمانية.. لم يرد حذف الشتائم بالرغم من أنها ضمانة نشر الكتاب ممّا يبين أنها صلب الكتاب والهدف من كتابته..

# بوصات

## أجنبي

شكري: «عاش پول بولز في المغرب مؤمنًا أنه أجنبي غير مرغوب فيه ولا مصالحة معه. «إنهم لا يقبلونني، لم يقبلوني أبدًا. ما زلت أُعتبر أجنبيًّا هنا». هكذا صرح في استجواب أجراه معه خيسوس رويث مانطيا Jesus Ruis Mantilla لجريدة البايس El Pais (95.5.30)». (ص140).

بولز: لا يضيرني في شيء أن أُعتبر كسائح مدّد فترة إقامته في المغرب، إلى الأبد. لقد قلت على الدوام إن كثيرًا من الناس ـ مغاربة وأجانب ـ يعتبرونني سائحًا مدّد إقامته، أي أنهم لا يعتبرونني مقيمًا حقيقيًّا. في حديثي للصحافي قصدت كيف ينظر إليَّ.. وهو ذات الأمر الذي قد يشعر به كل مغربي مقيم في بلد أوروبي.. يصعب على غير ابن البلد أن يعتبر نفسه ابن البلد، بالرغم من أنه عندما يقيم به، يقيم به عن طيب خاطر..

شكري: «إن پول بولز ما زال يعتبرونه، هنا، مثل

سائح طالت إقامته وليس مقيمًا. وهذا يؤلمه. هكذا قال لي». (ص152).

بولز: هذا كلام كتبته ولم أقله للسيد شكري.. وهو عندما يقول قال لي بولز فليبرز بعض الحميمية التي لم تطبع علاقتنا أبدًا.. وتعلم أنني قد أشير أحيانًا إلى قضية السائح عندما يدور الحديث عن كيف ينظر إليك الناس الذين لا يعرفونك.. كل من يرى مواطنًا تنمّ هيأته عن أجنبي يعتبره سائحًا..

بالطبع، أنا رحالة. في روايتي «شاي في الصحراء»، يقول السارد عن پورط، بطل الرواية: «لم يكن يعتبر نفسه سائحًا، لكن رحالة. يكمن الفرق في عامل الزمن، كما كان يبين ذلك. فبينما يتسرّع السائح، عامة، للعودة إلى بلده بعد بضعة أسابيع أو بضعة أشهر، يظل الرحالة، الغريب على الدوام عن أمكنة مواقع إقامته المتتالية، يتنقّل ببطء على امتداد حقب عدة سنوات، من قطر إلى آخر..».

شكري: «لم تعد لي عائلة. وكل من أعرفهم منها ماتوا. من حسن الحظ أن هذا يمنعني من الذهاب إلى أميركا. إني مستسلم للمقدور» (من الفيلم الوثائقي الموضوع عنه: أميركي في طنجة). لكن پول بولز ظلّ يخاف من الرجوع إلى أميركا بسبب شكوكه من أن يُسحب منه جواز سفره كما يفعلون مع الذين لهم ميول يسارية وله هو سوابق». (ص152).

**بولز:** يبدو لي أنه يوجد هناك فرق بين هذين الكلمتين: أحيانًا ودائمًا. يبدو أن صاحبنا لا يدرك ذلك الفرق. الدليل أن أحيانًا تصبح لديه دائمًا. بالطبع، فيما سبق، كنت أحيانًا أخشى العودة إلى الولايات المتحدة لأنني كنت أخاف أن يُسحب مني جواز سفري بسبب سوابقي الشيوعية. وقد تحدّثت عن كل ذلك في سيرتي الذاتية. لدي الانطباع أن صاحبنا يتحدَّث عن هذا الأمر، كما لو أنه كان الوحيد الذي يعرفه. اكتشاف أنجزه شكري! لماذا لم يقل إني كنت عضو الحزب الشيوعي الأميركي. يريد أن يوحي أنه يعرفني حقّ المعرفة لأنه كان صديقي، أو بالأحرى رفيقي (ضحك). لقد قضى عدة سنوات، إلى جانبي، في الحزب الشيوعي (ضحك).

**شكري:** «عاش پول بولز في المغرب مؤمنًا أنه أجنبي غير مرغوب فيه ولا مصالحة معه. «إنهم لا يقبلونني، لم يقبلوني أبدًا. ما زلت أعتبر أجنبيًا هنا». هكذا صرح في استجواب أجراه معه خيسوس رويث مانطيا لجريدة البايس El Pais (95.5.30) حيث يحذر من الإسلام مقتنعًا بأن القرن القادم سيكون موسومًا بالمواجهة بين المسلمين والغرب». (ص140).

**بولز:** إنه يجهد نفسه ليقدّمني كأجنبي ويستخلص أنني لم أستطع أن أندمج في المجتمع المغربي. لكن، يا سيد شكري إنني أجنبي. ثم إننا لسنا ملزمين على الاندماج عندما

نختار أن نعيش في بلد آخر غير بلدنا الأصلي، خاصة عندما تختلف ديانتا البلدين وعاداتهما. وخاصة، أيضًا، عندما لا نرغم على ذلك الاندماج. فلماذا نحاول الاندماج؟ حتى نتبنى نفسَ السلوك كالهيبيين؟ (ضحك). فليطمئن، السيد شكري، إنني أرى نفسي كأجنبي، لأنني أعلم علم اليقين أنني أجنبي. فأنا لم أولد هنا، وأنا لم أتلق تربيتي هنا... والناس ينظرون إليَّ وفق ذلك.. فلون بشرتي وشعري ولكنة حديثي بالدارجة تقول ذلك..

أما عن كون القرن القادم سيكون موسومًا بالمواجهة بين المسلمين والغرب فهذا الأمر أصبح مسألة بدهية منذ أن تعرّض الاتحاد السوفييتي للتشظّي. أصبح العالم يعيش تحت هيمنة قطب واحد. والواحد لا يكون أبدًا عادلًا. لأنه سيتصرف وفق هواه، ما دام لا يقاسمه أحد السلطة. وهكذا فلا بدّ أن يختلق القطب الرأسمالي عدوًّا أو أعداء جددًا. لا يمكن للأميركيين وللأوروبيين أن يعيشوا من دون عدو. وأنا متأكّد من أن العدو المرشح للعب هذا الدور هو الإسلام. فالقطب الرأسمالي يرى أن الإسلام لم يروّض ولم يخضع بعد للتدجين الكافي. وهكذا سيكون هذا القطب قد عثر على عدو في مستوى نياته.. وهكذا لم يضيّع هذا القطب وقتًا في البحث عن عدو، فقد عثر من دون كبير عناء على عدو قوي مترامي الأطراف، عدو أقوى من الشيوعية ويعِد بفصول أطول من فصول مناهضة الشيوعية. وما دام هذا القطب

تمرّس على الحرب، أي محاربة الشيوعية في كل مكان، فله تقاليد في تحديد عناصر الخطورة واختلاق مبررات المحاربة.. لعل سلوك القطب الرأسمالي يعكس موهبة إنسانية، موهبة تشي ببعض الحماقة والبلاهة. فالإنسانية، في الغالب الأعم، تعاني برمتها من البلاهة (ضحك).. يبدو أن الحاجة إلى عدو حاجة إنسانية.. بليدة..

**بخل!**

**شكري**: «إن بخل پول بولز يتجلى حتى في الورق الذي كان يكتب عليه بعض رسائله إلى جين: ورق فظيع كانت تكرهه كما تشير في حاشية رسالتها إليه في نهاية العام 50 من باريس...». (ص60).

**بولز**: هذه هي قصة تلك الأظرفة. ستمكّن هي أيضًا من إبراز الجهل المطلق بپول بولز وعالمه من لدن السيد محمد شكري.

كنت اشتريت بطاقات، كانت تباع بالبريد الإنجليزي، واستعملتها في مراسلاتي لأنها لا تتطلب وضع طوابع بريدية عليها. فالبطاقة تشمل أيضًا الطابع البريدي. ولولا ذلك لأضعنا وقتًا كبيرًا، في بريد البلد الذي نذهب إليه، لمعرفة ثمن الطابع البريدي الذي يجب وضعه على الظرف. لقد كانت تلك البطاقات تسهل عليَّ المأمورية، لأنني كنت دائمًا على سفر، وكانت تلك البطاقات تعفيني من عذاب الصفوف الطويلة بالمدن الكبرى التي أزورها. لكن جين لم تكن تحب

تلك البطاقات، كانت تكرهها لأنها لا تستطيع فتحها. لم تكن تعرف كيف تفتحها، لأنها كانت صعبة الفتح. كانت مصنوعة من ورق مصمغ. لفتحها يجب البحث عن الجانبين اللذين يجب قطعهما. لكن جين كانت دائمًا جزعة... كنت أعلم أنها لا تحب تلك البطاقات، لكنها كانت تباع في كل مكاتب البريد بالتايلاند، سريلانكا، الهند... كان بيع بطاقات عليها طوابع البريد نظامًا معمولًا به في كل بقاع العالم (ألسنا نعيش في عالم تطبعه السرعة وتسهيل المعاملات؟) لكنها لم تكن تباع في المغرب. كنت أستعملها عندما أكتب لجين رسائل من خارج المغرب. إذن من الواضح أن استعمال هذه البطاقات لا علاقة له بالبخل، لكن له علاقة بحسن تدبير الوقت، وعدم الرغبة في أن تظل مصطفًّا وقتًا لا نهائيًا، بالبريد، لمعرفة فئة الطابع البريدي الذي يجب وضعه على الظرف.. فليس هناك شيء أضجر، خلال السفر، من أن تقضي وقتًا سجين صف طويل.

كالعادة، صاحبنا لم يفهم ولا يمكن أن يفهم بمَ يتعلّق الأمر. لقد تحدّثت، من قبل، عن Misstatement وقبل ذلك كنت تحدّثت عن Cut - Up [تقطع/تقطيع] التفكير. وها هو يقدّم مثالًا آخر على ذلك. عندما لم يفهم شيئًا عن سياق تلك البطاقات «استخلص» خلاصات مغلوطة، وها هو يقطع بحورًا ومحيطات مستخلصًا، من دون رابط منطقي، خلاصة أخرى:

## رغبات

شكري: «إنه حقًا قد عاش فترة فقيرًا أيام دراسته في أميركا..».

بولز: لما كنت طالبًا كنت أعيش على نفقة أسرتي. لا، لم أذق أبدًا الفقر. ورغم ذلك فالفقر ليس عيبًا... لكن، يبدو لي، أن صاحبنا باعتباره طفلًا يريد أن يرى رغباته تتحقّق، ولو على الورق. لم لا؟ ما دام ذلك سيخفّف عنه. وهكذا سيعيد خلق قدر المواطن پول بولز كما يحلو له. بالإضافة إلى ذلك، فصاحبنا يتناقض عندما يقول عن بولز:

شكري: «يقال عنه: «هو يعيش حياة قناعة» لكن لماذا لا يقال عنه: إنه يعيش حياة شح. فهو تعجبه حياة الرفاهية، لكنه لا يدفع ثمنها». (ص61).

بولز: متى وأين أمكن الحصول على الرفاهية من دون دفع ثمنها؟ في العالم الحلمي، عالم الخوارق، عالم صاحبنا المدعو محمد شكري؟ ثم ألا يقول في مكان سابق:

شكري: «فهو تعجبه حياة الرفاهية، لكنه لا يدفع ثمنها. ورغم تحسن أحواله المادية، في نهاية الأربعينيات، فقد تردّد كثيرًا قبل أن يشتري أول سيارة. لكن، بإيعاز من براين جيسن الشيطاني، وضع حدًّا لتخوفه من الخصاص المادي فاشترى جغوار Jaguar جديدة غطاؤها قابل للطيّ décapotable، وشغل معه محمد التمسماني سائقًا له بلباس

رسمي اقترحته عليه صاحبة أوتيل ڤيللا ميموزا Hôtel Villa Mimosa». (ص61).

بولز: إنه لأمر غريب حقًّا! حقيقة، فقد اشتريت سيارتي بإيعاز من صديقي براين غيسن. وهذا شيء أشرت إليه في سيرتي الذاتية. ولا أعتقد أنه يوجد أدنى أثر للبخل في هذا الأمر. لو كنت بخيلًا لما اشتريت جَغوار غطاؤها قابل للطيّ ـ الأولى في طنجة ـ وألحقت سائقًا بخدمتي والذي أصبح صديقي؛ محمد التمسماني. بل إنني أهديت هذه الجَغوار للتمسماني عندما طلب مني ذلك..!

أذكر أني كنت زرت الصحراء برفقة صحافية تدعى نادا باتسيفيتش. ذهبنا إلى وجدة، كلمب بشار فتاغيت. وقد عانينا خلال الرحلة من صعوبة التنقل من مكان إلى آخر. ولما عدت إلى طنجة قلت لبراين غيسن إن هذه الرحلة أعطتني الرغبة في أن أمتلك سيارتي الخاصة بي حتى أذهب أين أشاء متى أشاء.. فكان ردّه، إن عليَّ أن أشتريها لأنني أملك الوسيلة. صدمني كلامه لأنه يعكس الحقيقة ولأنه جعلني أنتبه إلى شيء خاص بسلوكي: كنت أعتقد أن المال يجب أن يكنز ولا يبذر بل يجب أن يصرف في رفق! (ضحك). إن شكري لا يملك أي منطق. إنه يخلط كل شيء، عن قصد، قصد أن يقدّم صورة سلبية عن پول.

## قصص بولز

شكري: «بعض القصص التي كتبها بولز مستوحيًا

أجواءها من المغرب، قائمة، أساسًا، على «السحور» Es'heur وليس Tseuheur كما ينطقها ويكتبها بولز ومعناه «السحر» الخفيف القائم على الإيهام «بالتعزيم» المكتوب على ورقة أو على شيء مثل البيضة، و«التوكال» Ettoukal وليس Tsoukil كما ينطقها ويكتبها بولز وهو «المأكول أو المشروب» ومعناه «السحر» الفعّال، السام، والهدف منه هو قهر الشخص جسديًا ومعنويًا حتى يتمّ الاستسلام، أو الإشلال (الجزئي أو الكلي) ـ حسب الكمية المتناولة ـ وقد يؤدي إلى الموت كما في قصة «ريح بني ميدار». وأخفّه هو فقدان الذاكرة amnésie كما في قصة «البستان». «السحور» بالتعزيم يمارسه الرجال الذين درسوا في «المسيد» (الكتاب)، وتسميهم العامة، عن جهل، «الفقهاء». أما «التوكال» فغالبًا ما تمارسه النساء لجهلهن القراءة والكتابة. والشائع أيضًا أن «السحر» القوي الفعّال يمارسه اليهود وتلامذتهم البرابرة». (ص149/150).

بولز: إن قصصي القصيرة لا تقوم أساسًا على السحور. إن هذا الأخير مكون واحد من مكوناتها. السحور ممارسة نسائية، وليست رجالية.

شكري: «يتولد عن السحر والكيف والمعجون الحيلة، الخداع، الاحتيال، الانتقام والإرهاب كما في القصتين: «صديق العالم» و«الفقيه»». (ص151).

بولز: لا أثر للعنف ولا للانتقام في قصتي القصيرتين

«صديق العالم» و«الفقيه». فعل العنف الوحيد الذي ورد في هذه القصة الأولى يتلخص في هذا الحدث: الطفلة الصغيرة التي سقطت وانجرحت ركبتها بفعل زجاجة. وقد حدث ذلك عرضًا. في قصة «الفقيه»، هناك الكلب الذي يعض الطفل الصغير ويعضه أخوه. هذان الحدثان ـ في هاتين القصتين ـ لا يتعلّقان لا بالعنف ولا بالانتقام. لا أحد يريد أن ينتقم من أحد. هو [شكري]، ربما يريد أن يفعل لأنه يبدو مهووسًا بهذه الفكرة. . . وعلى العكس من ذلك الانتقام موجود في القصة الأخرى المعنونة «ريح بني ميدار» التي ترجمتها مؤخَّرًا إلى العربية. إن صاحبنا يخلط كل شيء. يبدو أن جوهر عمله هو تحريف كل شيء [النصوص والأحداث]. . إنه لا يقرأ النصوص، وهذا دليل آخر. ويكتفي بسماع الأصداء. ولا يسمعها جيدًا. إن سمعه يخدعه. إذا أردنا أن نذكر بعضًا من قصصي التي يعتبر العنف واحدًا من موضوعاتها، يمكن أن نذكر «طريدة هشة» و«فصل بعيد». .

## صوفية

شكري: «إن بولز مولع بصوت المؤذن الذي يوقظه، في بعض قصصه المغربية ومذكراته، بشكل صوفي. وهو يرى أن الأذان، يفقده اليوم الميكروفون الكثير من جماليته وخشوعه وعذوبته». (ص151).

بولز: بالطبع، صوت المؤذن جميل جدًا. لكن الميكروفون يفسده، يشوهه، ينال من جمال هذا الصوت لأنه يضخمه. ومن جهة أخرى فقد قلت في «يوميات طنجة، سنتان قرب البوغاز»:

«اعتبر هذا الأمر غريبًا، كما أعتبر استعمال صفارة الغارة الجوية للإعلان عن اليوم الأول من الشهر المبارك».

شكري: «إننا نوافقه على ملاحظته هذه، التي لها وجاهتها، لكن من أي مصدر أخذ هذا الحكم على المرأة في الدين الإسلامي الذي يورده في قصته «عصرية في الجبل»». (وجبة خفيفة عند العصر)؟ (151/152).

بولز: لا يمكن أن نعبّر عن رأي يخصّ موضوع وضعية المرأة في الإسلام من خلال قصتي «شاي فوق الجبل»:

«سمعت من بعيد صوتًا ضعيفًا لكنه واضح يؤذن. نظرت إلى مجيد:

- المؤذن؟ إنه يُسمع من هنا إذن؟

- بالطبع، فمرشان ليس بعيدًا. ما الفائدة من امتلاك بيت في البادية إذا لم يكن بالإمكان أن نسمع من هناك الأذان؟ الأحرى أن نعيش في الصحراء.

- صه! أريد أن أسمع.

- إن له صوتًا جميلًا، أليس كذلك؟ إن لهم أقوى أصوات العالم.

- إنه يجعلني دائمًا أشعر بالحزن.

- لأنكِ لا تؤمنين.

بعد لحظة تأمل، أجابت:

- أعتقد أنك على حق.

كانت على وشك أن تضيف: «لكن دينكم يزعم أن النساء لا روح لهن».

**أولًا**: إن شخصياتي ليست هي أنا، وهي ليست ناطقة بلساني. وهذا رأي يتقاسمه كل الكتّاب. **ثانيًا**: يجب أن نعنى بفكرة مجيد: المرأة الأميركية لا إيمان لها، ومن ثم فأفكارها وأحكامها لا قيمة لها. إن نهاية الاستشهاد تبين أن المرأة الأميركية تعترف بذلك، أي تؤيد فكرة مجيد، ولذلك لم تعبر عن فكرتها لشعورها أنها مخطئة لأنها لا تعرف حقيقة هذا العالم الذي توجد به الآن، وبذلك كانت تشعر بمفهوم النسبية..

## ترجمة «رواة طنجة»

**شكري**: «مع مرور الوقت، أخذ أسلوب پول الخاص يتحول موازيًا لترجماته من الدارجة المغربية. وهذا ما يفسر نتاجه عن البيئة المغربية. وهنا يحتجّ المرابط على أن پول بولز لم يكن ينقل بأمانة ما كان يمليه عليه من حكايات حسبما قيل له من طرف بعض المغاربة الذين يعرفون الإنجليزية واستمعوا إلى تسجيلاته وقارنوها مع الترجمة المتصرف فيها. لكن الغريب هو أن پول محا نسخ تسجيلاته مع المرابط». (ص153).

**بولز**: يقول صاحبنا إن الذين استمعوا إلى تسجيلات حكايات المرابط وقارنوها مع الترجمة تحدثوا للمرابط عن

انعدام الأمانة التي تتميّز بها ترجماتي لتلك النصوص! وعليه فكل عمل يقوم به پول هو عمل منحرف! استفت الدكتور شكري، ويؤكد لك ذلك.

لكن، شكري ككل كذاب لا يذكر اسم أي واحد من هؤلاء القراء (الخياليين) المفترضين الذين استمعوا إلى هذه التسجيلات. ثم إن هذه النصوص بعد ترجمتها محاها المرابط نفسه. لم يكن يريد أن يشتري شرائط أخرى جديدة، ليسجل عليها قصصًا أخرى. وأخيرًا، فالسينيور شكري لا يقدّم أي مثال عن هذه الترجمة الخائنة! كما لم يذكر أي نص كان «ضحية» لهذه الخيانة!؟ لأنه لا يوجد مثال واحد من جهة، ولأن بإمكان أي كان آنذاك أن يتأكّد من كذب شكري، من جهة ثانية..

إن شكري كممثل جديد للنيابة العامة يجب عليه أن يقدّم حججًا ليجرّم المواطن پول بولز! بعض الأنظمة الشمولية ذاتها تتحرّر من نزعتها الكليانية، بينما شكري يرث تلك النزعة! مبروك عليه.

لا يمكن لشكري أن يذكر لا الأشخاص ولا النصوص، لأنه لا يملك السبل ولا الحجج: فهو لا يعرف النصوص لأنه لا يقرأ. إنه يقنع بتجميع معلومات ـ وليس أفكار ـ عن طريق حاسة السمع، ولا يملكُ الوسائل للتأكّد مما ينقله، يسمعه.. بل حتى الاستشهادات التي يوردها في كتابه وينسبها إلى أشخاص بعينهم لا أثق في مضمونها، بالرغم من أن بعضهم ترجم له

مقاطع منها، فهو قادر على تحويرها لخدمة أهدافه غير النبيلة وغير العلمية..

أما فيما يخصّ ترجماتي لحكايات المرابط يجب أن أقول بأنني حاولت دائمًا أن لا أغير شيئًا في نصوصي. غير أن الأمر كان يتطلب، أحيانًا، تغييرًا، أي إضافة جملة/ جمل أو حذف أخريات. لم أتردّد في القيام بذلك، بعد الاتفاق مع المرابط. فعندما كنت أنتهي من ترجمة نصّه أعيد قراءة مضمونه عليه ليعلم ما في النصّ ويقترح ما يمكن أو ما يرغب في اقتراحه. وهذه طريقة عملنا دائمًا.. ماذا سأجني من تغيير المعنى؟ أو تعديل النصّ؟ سأخسر كل شيء. معنى ذلك أن النصّ لن يكون نصّ المرابط، ولن يكون نصّ بولز.. أعتقد أن بعض النقاد أكّدوا الاختلاف الموجود بين نصوصي (التي أكتبها) ونصوص المرابط (التي ترجمتها). أقصد اختلاف أسلوبيْنا (المرابط وأنا). لقد كان نقّاد نصوصنا (معًا) أكثر وعيًا باختلاف نصوصنا: كلود ناتالي توما، بريس ماتيوسان، وأنت أيضًا تعرف هذا الموضوع لأنك اشتغلت على نصوصنا وترجمتها..

إن المرابط هو الذي محا التسجيلات حتى لا يشتري شرائط جديدة. الدليل على ذلك أنني ما زلت أحتفظ، حتى الآن، بشرائط تسجيلات العربي العياشي ـ وأنت تعرف أين توجد. إذن فلست أنا من محا تسجيلات حكايات المرابط.

وقد قمتَ أنت بمقارنة مقاطع من تسجيل المرابط لروايته

«المرآة الكبيرة» وترجمتي لها فهل لاحظت خيانة؟ كما قمت بمقارنة مقاطع من تسجيل العربي العياشي لسيرته «حياة مليئة بالثقوب» فهل وقفت على ما يدعيه شكري؟ وأنت تعلم أني لم أعط لأحد عيّنة من تسجيل العياشي أو المرابط أو غيرهما فعمّن يتحدَّث الأستاذ شكري؟

شكري: «لقد بدا العمل طيعًا وسهلًا عندما بدأ ينقل حكايات المرابط؛ لأن المرابط يحكي ولا يعقد أسلوبه. وكانت جين تعارض ما يفعله لأنها تريد له أن يكتب كتبه لا ما كان يمليه عليه الساذجون ليستمر كاتبًا». (ص153).

بولز: لم تكن جين ترغب في أن أستمر في ترجمة نصوص من سميتهم أنت «رواة طنجة». كانت تعتقد أنه يجب عليَّ أن أكتب كتبي الخاصة. لكن لم يكن في وسعي القيام بذلك، عندما كانت جين مريضة. ولم أكن أقدر أن أقول لها ذلك..

كنا نتوفر على هاتفين، أحدهما داخلي يربط بين بيتينا. كان أحمر اللون. واحد هنا (پول مشيرًا بسبابته إلى مكان محدّد بغرفة نومه) والآخر هناك، في الطابق السفلي (حيث كانت تسكن جين). كانت تناديني مرّة كل عشرين دقيقة: «بررر، بررر، تعالى، تعالى». وكنت أذهب مسرعًا إلى هناك، لأنه كان من الضروري أن أفعل ذلك، وهكذا، لم يكن بإمكاني أن أشتغل، أي أن أكتب التخييل. لم يكن بوسعي إلَّا إنجاز ترجمات.

لكن أود أن أؤكد أنني لا أعتبر «رواة طنجة» سذّجًا بل هم مبدعون على صلة بتراث بلدهم وتقاليده، ومن ثم خصوبة إبداعهم وتأثيره في كل من قرأه، بلغته، عبر العالم..

**اللقاء بمحمد المرابط**

جدير: كانت جين هي من التقت المرابط..

بولز: صحيح أن جين هي التي التقت المرابط قبل أن ألتقي به أنا. تعرّفت عليه كساقٍ، خلال حفل أقامه ذلك الأميركي: السيد تامبل. لم أتعرف على هذا السيد لأنني لم أكن أشرب الخمر، ولذلك لم أكن أذهب إلى ڤيلا هذا السيد. كان يقيم حفلات ساهرة يسكر خلالها كل الحضور. وكان المرابط يذهب إلى هناك دائمًا لأن هذا السيد الأميركي كان يشغله ليخدم ضيوفه. وأنا، لم أكن ضمن لائحة ضيوفه. ذهبت إلى هناك مرّة واحدة. وهناك التقيت المرابط، بعد أن كانت جين امتدحت موهبته وقدرته على ارتجال قصص شيقة وغرائبية..

جدير: وكان ذلك اللقاء بينكما هو الثاني من نوعه..

بولز: صحيح. صحيح. كان ذلك اللقاء بيننا هو الثاني. اللقاء الأول كان بمرقالة. ذهبت إلى هناك برفقة بعض أصدقائي ومنهم أحمد اليعقوبي، بيل بورووز، ترومان كابوتي، غريغوري كورسو.. والتقينا المرابط يصطاد سمكًا على عادته.. أعتقد أن حب البحر يجري في دمه وكذلك

صيد السمك.. لا يمرّ يوم لا يذهب فيه المرابط إلى البحر أو يحدثك عن علاقته بالبحر ومغامراته هناك.. يبدو المرابط كائنا بحريًا بامتياز..

ثم إنني لم أكن أترجم العربي العياشي، المرابط.. لأستمر كاتبًا، كما يقول صاحبنا (وهذا كلام لا معنى له)، لكن لأكتب، لأستمر في الكتابة، وليس لأصبح كاتبًا. إنه لا يفهم سبب ممارستي للترجمة..

كانت جين مريضة، ولم يكن بإمكاني أن أكون وحدي وأنعم بالهدوء والسكينة. ولم يكن بإمكاني أن أنعم بوقت كثير أخصّصه للعمل، أي أن أجلس إلى مكتبي ساعات كاملة. كنت أُرغم، بين الفينة والفينة، على التوقف عن العمل. وأنا لا يمكن أن أشتغل في ظروف مماثلة. ربما هو يمكن أن يشتغل في مقهى، في بار. بل وهو يشرب! أنا، لا أستطيع ذلك. يجب أن أكون وحيدًا. إن كتابة التخييل تفترض الصمت، وأن لا نرغم على التوقف عن العمل في كل لحظة. كان هناك هاتف داخلي للاتصال بيني وبين جين التي تسكن الطابق السفلي. وكان الهاتف الداخلي لا ينقطع عن الرنين..

شكري: «إن پول بولز يعتقد أن الحياة ينبغي أن تنتسب فقط إلى الناس الذين يفكرون مثله، لأن الحياة هبة، لكن مع وقف التنفيذ». (ص155/156).

بولز: بالطبع، الناس الذين يفكرون، يتأملون.. يهمونني كثيرًا، أكثر من غيرهم. إني أعتبرهم لأنهم وحدهم من لهم

الأهمية بالنسبة إليَّ، هذا صحيح. ولا غرابة في هذا.. تحدثني عن الشعب. إنه لا يمكن أن يُقصى من دائرة هؤلاء الذين أعتبرهم.. وإذا كان الشعب يعني كل الناس وجب أن أقول إنني أنتمي إلى الشعب، أنا أيضًا.

## شكري لا يعرف بولز

شكري: «زرت پول بصحبة إبراهيم الخطيب حوالي الخامسة مساء [...] ثم وجّه لي پول سؤال الزيارة:

- ماذا هناك من جديد؟

أدركت أنه يقصد آخر ما أكتبه. كنت قد أخبرته أني أكتب مذكراتي معه وأشياء أخرى عن طنجة.

- لقد بلغت 107 صفحات بخط اليد.

إنه ينفعل دائمًا عندما أذكر له أني مستمر في كتابتي عنه كتابًا. «ماذا سيكتب عني شكري؟ إنه لا يعرف عائلتي ثم هو لا يعرف عن حياتي الكثير». هكذا قال لبدرو Pedro. ولي قال: «أتمنى أن أقرأ ما تكتبه عني»». (ص156).

بولز: لقد زارني محمد شكري برفقة إبراهيم الخطيب سنة (1993). على الأرجح وقال لي إنه يكتب شيئًا ما يخصّني.

قلت له: «أتمنى أن أقرأ ما تكتبه عني»! وهذا أمر طبيعي. لكن ليس لأن ما يكتبه شكري يمكن أن أنتفع به أو يمكن أن يكون مفيدًا! بل لأرى إذا ما كان بالإمكان أن نكتب شيئًا حصيفًا، منطقيًا عن موضوع نجهله تمامًا.

إن صاحبنا لا يعرفني. لا يعرف عائلتي ولا يعرفني. لقد اشتغلنا خلال فترة معينة لكن لم تكن لنا اهتمامات مشتركة. قليلة هي المرات التي تحدثنا فيها عن موضوع حقيقي. لم يكن يعرف، أبدًا، إنتاجي الأدبي في ذلك الوقت. لم يكن ترجم لي إلّا عمل روائي واحد.. ولما ترجمت الأعمال الأخرى، لم يقرأها، لأنني لا أهمه..

بالتأكيد، قلت لروبيرتو دي هولاندا ولآخرين أيضًا: «ماذا يمكن لشكري أن يكتب عني؟» لأنني كنت، وما زلت على يقين أنه لا يعرف أعمالي، ولا شخصي. لو كنت أريد شخصًا أن يكتب عني، فلن يكون شكري لأنه لا يرى بوضوح جيد. إن شخصًا يرى عبر ستار الكحول لا يرى بوضوح. أعتقد أن من يشرب باستمرار يظل دائمًا سكرانًا: يتعلّق الأمر بأثر الكحول الذي شربه بالأمس أو قبل الأمس. إن الكحول يظل يستحوذ على شاربه، ويظل الستار مسدولًا..

## شكري لم يقرأ كتب التمساح

شكري: «أما پول فقد رفس كل شيء يعوقه ولم يشفق أبدًا على أحد من أجل تحقيق ذاتيته. الإنساني في كتاباته يكاد ينعدم. وليس نادمًا حتى الآن». (ص 93).

بولز: هذه فكرة على جانب كبير من الصدق! كل ما هو إنساني تخلو منه أعمالي (ضحك)، ومعنى ذلك أن تمساحًا هو الذي كتب كل هذه الكتب (ضحك). ربما هو لا يحبّ ما أكتب

ويعتبره كنتاج غير إنساني. من العجب أن يكون قرأ كتبي. بأي لغة يكون قرأها: لن يكون قرأها بالإنجليزية ولا بالفرنسية. بالإسبانية؟ ربما. إذن سيكون انتظر ترجمتها إلى الإسبانية. ورغم ذلك سيكون من العجب أنه قرأ كتبي. ربما يكون قرأ كتابات نقدية باللغة العربية. أذكر أن السيد الخطيب كان أخرج له بحثك [دبلوم الدراسات المعمقة] من مكتبة كلية الآداب بالرباط ليقرأه، كما أخرج له شخص آخر بحثك الثاني [دبلوم الدراسات العليا] للغرض ذاته. وهناك مقالات تصدر هنا وهناك بالصحافة العربية. ثم هناك ذلك النهج الذي دأب عليه شكري، فهو يطّلع على فهارس الكتب ولا يقرأ إلّا جملة أو جملتين تتعلّق/ تتعلّقان بتيمة معينة أو شخصية بعينها. أنت تعلم أن الكتب المطبوعة في أميركا تلجأ إلى إثبات فهرس خاص بالموضوعات والشخصيات والأماكن والأعلام. وقد ورد هذا الفهرس في سيرتي الذاتية أيضًا. وقد لجأت الترجمة الإسبانية إلى النهج ذاته. إذن يلجأ شكري إلى تجميع هذه الجمل ويعثر على من يترجم هذه الجمل (ومن مترجميه واحد يشتغل بإذاعة ميدي آن) وها هو أصبح قارئًا! بالوساطة.. وهو شخص تحتل الوساطة مكانة مهمة في حياته.. الطاهر بن جلون.. المرابط.. بولز..

## تحقيق الحلم

شكري: «لكن السؤال الذي أطرحه على پول بولز هو هل انتصر وحقّق حلم المبدعين الأميركيين الحجاج إلى العواصم الثقافية: باريس، برلين، روما وطنجة، في زمن مجيئه إليها؟ ثم

أهو حقّق، أيضًا، حلمه معزولًا عن أحلام الآخرين الذين سبقهم إلى مغامرة السفر عندما يقول: «مثل أي رومانسي، كنت دائمًا مقتنعًا، في غموض، أنه ذات يوم سأجدني في مكان ساحر يكشف لي عن أسراره، ويهب لي الحكمة والنشوة، وربما الموت»!؟». (ص21/20).

بولز: بالطبع، تمكّنت من تحقيق حلمي، كما تقول، لكن من دون أن أَلِدَ أولادًا. صحيح أنني سافرت تقريبًا إلى كل بقاع العالم (ولم أسافر إلى الاتحاد السوفييتي، ولو أني كنت أرغب في ذلك، لأنني أعلم أنهم يعتبرونني، هناك، مرتدًّا: شيوعي سابق!) وألّفت الموسيقى، وكتبت كتبًا أتمنى أن تضمن لنفسها بعض البقاء، وترجمت نصوصًا مغربية، ما كانت الحياة ستكتب لها لولا عشقي للمغاربة، وعشقي للمغرب وإقامتي به. وأعتبر ذلك العمل من أهم ما أنجزت في حياتي، وهو دين للمغرب في عنقي عملت على ردّه. كما أن جمعي للموسيقى المغربية وتسجيلها جزء آخر من الدين نجحت في تسديده قبل الوفاة.. من هذه الناحية الحياة، حقيقة، حية. وكلما سمعت أو توصلت بنسخة من هذه النصوص أغبط أصحابها وأغبط نفسي على أن تلك الترجمات لم تذهب سدًى وأنها تنقل متعة ما لقرّاء عبر العالم.. والشيء ذاته أشعر به عندما يعاد إصدار الموسيقى المغربية الشعبية بشكل من الأشكال..

لكن الحياة الأخرى، الوجه الآخر للحياة، أي الحياة

البشرية بلا أي زيادة؛ الأطفال، الرضّع، تربيتهم... كل ذلك شيء باعث على التقزّز. إني لا أحب تلك الحياة على الإطلاق، كما لا أحب التصور الذي تقوم عليه. ربما يعود الأمر، كما تقول أنت، إلى أنني ورثت كل ذلك من انجلترا الجديدة. لست أدري. صحيح، إن سكان إنجلترا الجديدة هم طهرانيون. في الحقيقة، يبدو لي أن الحياة الجنسية باعثة على التقزّز إلى حدّ كبير. لذلك السبب كنت رفضت تجريبها هنا في طنجة خلال مرحلة الشباب ذاتها.

**طنجة: نهاية 1997**

# غيابات

لمّا أعلن عن إقامة «أيام دراسية» بتاريخ: 25/ 26/ 27 نوفمبر/ تشرين الثاني من سنة (1999) تكريمًا لمحمد شكري، واتخذت هذه الأيام لها شعار: «محمد شكري بين الكتابة والحياة»، وسمع بولز بالخبر، سألني ذات زوال:

- هل أنت مدعو للمشاركة في هذه الندوة؟

- نعم، وقد أتحدث عن «التيمات الأصلية» في كتابات شكري، أقصد بذلك تلك التي ظهرت في نصوصه الأولى وظلّت حاضرة في نصوصه التالية..

رشف رشفتين من شاي بالليمون. هيأته سعاد التي غادرت البيت للتو. يبدو الشاي كمشروب مذهب في الزليفة الزجاجية الشفافة.. رفع رأسه نحوي وقال بعد برهة:

- لست أدري هل أحضر هذه التظاهرة، لربع ساعة أو ما تسمح به قوتي، أم لا أحضرها؟

- أنت تعرف رأيي في المسألة، حضورك دال وهو خيرٌ من غيابك..

قبل سنتين ونيف، لما زرت بيت پول ذات زوال

وجدت هناك مواطنًا مغربيًا معروفًا بطنجة وبالخارج، في أوساط المثقفين. تجاذبنا أطراف الحديث قرابة نصف ساعة ثم انصرف. لحظتها قال لي پول:

- أود أن أستشيرك في أمر معين..

- أنا في الاستماع.

- بوبكر أتى ليدعوني للقاء بهنري برنار ليفي وزوجته وبعض المثقفين الفرنسيين.. إنهم يلحّون على اللقاء بي، كما قال، ولا أريد تلبية الدعوة، فأنت تعلم أن ذلك يتعبني كثيرًا.

- على العكس من ذلك، إن حضورك سيخفّف عنك، وعندما تعود سيغتالك النوم على وجه السرعة، وذلك أفيد من انتظاره ساعات في الفراش محرومًا من متعة القراءة..

كان بولز يومها قد تعطلت عينه اليمنى عن البصر والأخرى في طريق الالتحاق بها.. فأصبحت قراءة السطر الواحد تتطلب منه دقائق..

- هناك أمر آخر. الطاهر بن جلون سيكون من بين الضيوف..

- هذا مبرِّر إضافي للحضور..

أتى حركة متسائلة بيده اليمنى وقال، في الآن ذاته:

- هل أنت جاد في حديثك، أم تتلاعب بالكلمات، كما تفعل ذلك أحيانًا؟

- أنا جاد، كالعادة الأخرى..

- طبعًا، أنت تعلم طبيعة علاقتي بالطاهر بن جلون. أتذكر ما كتبه عني؟ لقد كان أنكر وجود محمد المرابط مشيرًا إلى أنني انتحلت هذا الاسم المستعار لأقول بعض هواجسي. ثم إنه اتهمني بأنني استعماري..

- اللقاء بينكما، وهو الأول من نوعه، سيكون إيجابيًا لا ريب في ذلك. قد لا يثار بينكما الحديث عن هذا الموضوع القديم، ولكن ستسمح لكما مناسبة اللقاء بالتعرف على بعضكما البعض بشكل مباشر وشبه حقيقي.. وقد تسمعان بعضكما البعض تتحدّثان إلى بقية الضيوف.. على أي حال، هذه فرصة سترى خلالها هؤلاء الناس وتلبي دعوتهم، وترى الطاهر بن جلون أيضًا فيعلم أنك نسيت ما قاله فيك وقد يأسف، بينه وبين نفسه، عما صدر منه في حقك.. فالمشاعر تتبدل. ليست قارة..

اقتنع بولز. لبى الدعوة. لكن الطاهر بن جلون تخلّف عن الحضور «لأنه لم يكن يرغب في رؤيتي، حسبما فهمت». هكذا عقب بولز عن الحادث..

رفع بولز بصره نحو سقف الغرفة، كأنما يسجل وقفة تأملية، وظل صامتًا.. صوت الطبل والغيطة يقتحمان الغرفة. انطلقت الفرقة الموسيقية الشعبية من الشارع المحاذي لبيت بول. شرع ينقر بإصبعيه.. لما تلاشى الصوت، قال:

- إذن عليَّ أن أحضر تكريم السيد شكري، سأحضره. هو كاتب ذكي، لا شكّ في ذلك..

- حسنًا ستفعل..

ضحك فجأة ثم قال:

- هل تعتقد أنه سيأسف، ولو بينه وبين نفسه كما تقول، عما صدر عنه من أكاذيب في حقّي؟

- لا أشكّ في ذلك.. من خلال تجربتي، شكري رجل مزاجي لكنه في العمق طيب.. والمشاعر، كما تعلم، تتبدل وليست قارة..

- [ضاحكًا] تخيّل لو تصرف مثلما تصرف الطاهر بن جلون؟

- هو حرّ في تصرفه.. لكنه.. لن يتصرف وفق هواه..

- [ضاحكًا] ومن يدري؟

- للبعد الرسمي إكراهاته أو متطلباته.. سيحضر اللقاء السلطة المحلية وكذا وزير الثقافة، وهو صديق سابق لشكري قبل أن يصبح رجلًا رسميًا..

- أود رؤية شكري رسميًا، لا شكّ أنه سيفرض على نفسه الجدية والاهتمام. يحلق رأسه ووجهه ويرتدي ربطة العنق.. سيكون كالذاهب إلى حبل المشنقة. ولو أنه يحبّ الظهور، في الغالب. هذا إذا لم يقتدِ بالطاهر بن جلون؟

- لن يفعل..

لم يحضر بولز اللقاء الخاص بتكريم شكري، فقد منعه من ذلك القدر.

مات يوم الثامن عشر من شهر نوفمبر/تشرين الثاني (تاريخ استقلال المغرب، كأنما ليسخر القدر أو الموت من الذين يقولون إنه لم يحبّ المغرب، وكأنما ليقول لهم بولز ها أنذا متّ يوم فجر هذا الاستقلال الذي أردتم أن تضعوا بيني وبينه فجوة مفتعلة) من سنة (1999) قبيل شهر ونيف من إحيائه عيد ميلاده التسعين يوم الثلاثين من شهر ديسمبر/كانون الأول..

أشرفت المدرسة الأميركية بطنجة على حفل تأبين بولز وتكريمه. دعت لهذا الغرض بعض أصدقاء بولز من كتّاب وباحثين للحديث عنه: فيرجينيا سبنسر كار (من جامعة ولاية جيورجيا بأطلانطا)، مترجمة بولز إلى اللغة الفرنسية كلود ناتالي توما (من باريس)، الروائي صديق بولز جون هوبكنز (من لندن)، تلميذه سابقًا الروائي رودريغو راي روصا (من غواتيمالا)، محمد شكري وعبدالعزيز جدير. حضر كل المدعوين وغاب محمد شكري. حضر هذا اللقاء أيضًا صاحبة السمو الملكي الأميرة لالة فاطمة الزوهرة، سفير الولايات المتحدة الأميركية بالرباط إدوارد غابرييل، الديبلوماسي وليام إيغلتون (الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة المقيم بالعيون في الصحراء المغربية) وعشرات الكتّاب والفنانين من القارات الخمس. وقُدِّر الحضور بمائتي شخص ونيف ومثل طنجة المغربية متعدّدة الملل والنحل..

حضر كل المدعوين ولم يحضر محمد شكري. وهو ما دفع الصحافي جمال عمير إلى القول إن «النغمة النشاز الوحيدة، خلال تلك الليلة، هي غياب محمد شكري الذي أعلن عن حضوره بالرغم من ذلك»، في تغطيته للحدث..

لم يلتقيا فكانت مادة هذا الكتاب هي الحوار الأخير الذي دار بينهما..

انطلق هذا الحوار الأخير مدّثرًا برداء المونولوج (عبر ما نشره محمد شكري) وها هو يستوي حوارًا بنشر إضاءات بولز وردوده..

إنه حقًّا الحوار الأخير الذي دار بينهما..




## الكتاب

يشير الكاتب الأميركي، جون هوبكنز، في تقديمه لهذا الكتاب إلى أن الخصام الأدبي «يشبه السّر العائلي في خصوصيته وحميميته ومرارته وطوله». وقد استطاع الكاتب أن يرقى بهذا الخصام إلى درجة قضية يسلط الضوء، من خلالها، على تاريخ طنجة الأدبي المنسي كما شكّله أدباء أميركيون مثل غيرترود شتاين وجين بولز وجاك كيرواك وگـــور فيدال وترومان كابوتي ووليام بورووز وآلن غينسبيرغ وبراين غيسن وروم لاندو وگـــافن لامبرت وبول بولز. بولز الذي استطاع أن يشكّل من هؤلاء جميعًا تيارًا أدبيًا حين جذبهم نحو المدينة وكتبوا عنها، كما أنشأ تيارًا أدبيًا آخر، محليًا، تمثّل في من سُمّوا بـــ «رواة طنجة»: أحمد اليعقوبي والعربي العياشي ومحمد المرابط وعبد السلام بولعيش إضافة إلى ذائع الصيت محمد شكري استلهموا المدينة في إبداعهم. كل ذلك يجعل مدينة طنجة تبدو عاصمة الكتّاب الأميركيين الذين اتخذوا منها مرفأ عابرًا أو مقامًا دائمًا. ملاذًا للمتعة أو أفقًا للإبداع... فردوسًا أرضيًا مستعادًا.


ISBN 978-614-418-075-4


جداول Jadawel
www.jadawel.net